الشعر في عهد المتوكل

(دراسة في السياق التاريخي)

إعـــداد

آلاء خليل عادل سارة

المشرف

الدكتور ياسين يوسف عايش

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

كليـــة الـدراسـات الـعليا

الجامـعة الأردنيـــة

تشرين الثاني /٢٠١٠

قرار لجنة المناقشــــة

نوقشت هذه الأطروحة (الشعر في عهد المتوكل – دراسة في السياق التاريخي)

أجيزت بتاريخ ٢٠١٠/١١/٢٨

أعضاء لجنة المنــــاقشة	التوقيع
١. الاستاذ الدكتور ياسين يوسف عايش، مشرفا	....
التخصص: أدب عباسي	
٢. الأستاذ الدكتور عبدالجليل عبد المهدي، عضوا	....
التخصص: أدب عباسي	
٣.الأستاذ الدكتور يوسف بكار، عضوا	....
التخصص:أدب عباسي	
٤. الأستاذ الدكتور عفيف محمد عبدالرحمن، عضواً (جامعة العلوم الاسلامية العالمية)	....
التخصص: أدب قديم	

الإهـــــــداء

إلى اللذين علماني أن الحياة بسمة وأمل نعيش بهما

وغاية نصبو لتحقيقها .... والديّ

إلى الشمس التي تنير دربي.............. زوجي

إلى الشمعة التي أضاءت حياتي مجددا .....طفلي

إلى دفء الأخوة وعبيرها .... إخوتي

إلى من ساعدوني ووقفوا بجانبي .... عائلتي

شكر وتقـــــــــدير

بعد حمد الله وشكره ....

أتقدم بالشكر الوفير لأستاذي الفاضل د. ياسين عايش المشرف على هذه الرسالة، الذي ما ادّخر جهداً في مساعدتي وتقويم هذا البحث .

وأتوجه بالشكر إلى أساتذتي الأفاضل الذين تفضلوا بقبول مناقشة الرسالة، وبذلوا جهداً كبيراً في إبداء الملاحظات التي أفادت منها الدراسة.

فهرس المحتويات

الشعـــــر في عهد المتوكل
(دراسة في السياق التاريخي)

إعــداد
آلاء خليل عادل ســـــارة

المشرف
د. ياسين يوسف عايش

ملخص

قامت هذه الدراسة بمعالجة الشعر في خلافة المتوكل العباسي (٢٣٢ ــ ٢٤٧ هـ) وبنيت على مقدمة وتمهيد وبابين وخاتمة . تحدثت في التمهيد عن المتوكل العباسي: اسمه، ولقبه، و توليه الحكم، والتغيرات التي أحدثها في خلافته في شتى الجوانب السياسية والدينية والعمرانية، والفكرية، وكما عرضت لمحة عن أبرز رجالات زمنه. تضمن الباب الأول عرضاً للموضوعات الشعرية في خلافة المتوكل من موضوعات سياسية واجتماعية ومذهبية وعمرانية ،ومحاولة بيان تجليات الشعر في رسم ملامح الخلافة المتوكلية ؛ إذ عكست أشعار الحقبة كثيراً من مضامين الحياة آنذاك.

وجاء الباب الثاني مشتملاً على دراسة للجوانب الفنية في شعر الفترة آنذاك، وضم حديثاً عن هيكل القصيدة وبنائها من حيث الشكل والمضمون، كما تعرض لأساليب الشعراء في رسم صورهم الأدبية، وحاول البحث عن مصادر هذه الصور وأنواعها كما تناول أساليب الشعراء آنذاك من حيث: لغتهم وأساليبهم وقد تبين من خلال ذلك بعض الخصائص والأساليب الجديدة التي أضافها شعراء الخلافة المتوكلية.

المــقدمـة :

قدمت هذه الدراسة صورة عن الشعر في خلافة المتوكل؛ فقد صور الشعراء جوانب كثيرة من الحياة السياسية والاجتماعية والعمرانية والحضارية والمذهبية إبان خلافة هذا الخليفة العباسي الذي يوصف بإنه أول خليفة تولى الخلافة في العصر العباسي الثاني، لذا قامت هذه الدراسة بتحديد حقبة زمنية بعينها تبعد الباحث عن الاضطراب والتشعب عصر هيمنة الأتراك على مقاليد الحكم لذا قامت هذه الدراسة بتحديد حقبة زمنية بعينها تبعد الباحت عن الاضطراب والتشعب، وعلى الرغم من قصر المدة التي تولاها المتوكل للخلافة التي امتدت(٢٣٢هـ -٢٤٧هـ) فقد حفلت هذه الحقبة بكثير من التغيرات والصراعات كما حفلت هذه الحقبة بكثير من التغيرات والصراعات كما قد حظي المتوكل بأن عاش في زمنه شعراء عباسيون كبار نذكر منهم البحتري وعلي ابن الجهم وغيرهما وقد ارتبطت أسبابهم بأسبابه فجاء كثير من شعرهم حافلاً بصور سياسية وبوصف لمظاهر من الحياة الاجتماعية والعمرانية والمذهبية .

فقد حفلت هذه الحقبة بكثير من الأحداث السياسية والصراعات المذهبية وشهدت نشاطاً ملحوظا في البناء والعمران ولذلك غدت هذه الحيوات جمعيها جديرة بأن تدرس وأن يجلّى دور الشعر في مواكبته لها، وإن نظرة مدققة في عهد الخليفة المتوكل ترينا قدراً صالحاً من الأحداث والتغيرات التي سجلها الشعر كبيعة المتوكل الخلافة لأبنائه ونقله العاصمة إلى دمشق وغير ذلك .

ثم إن الناظر في مصادر التراث وكتب التراجم يرى عدداً غير قليل من الشعراء ممن عاصروا هذا الخليفة، قد رصدوا بحسهم وبشاعريتهم مظاهر غير قليلة من دفق الحياة ومظاهر التغير وكانت قناعتي ترى أن يُبسط دور الشعر في هذه الحقبة التاريخية المهمة من العصر العباسي لتنضاف إلى دراسات أخرى تاريخية وحضارية قام بها باحثون ودارسون آخرون.

فإن الدراسات السابقة لم تهتم بهذه الحقبة كاملة، ولم يطلع الباحث على دراسة مستفيضة لهذه الحقبة خاصة، وكل ما عثر عليه دراسات لشعراء بعينهم، أو للعصر العباسي بأكمله دون تحديد هذه الحقبة عن غيرها. ومن هذه الدراسات فن التشبيه عند البحتري لحسن ربابعة، البحتري شاعر الخلفاء لرسمي عابد، ودراسة لشعر علي بن الجهم لعبد الرحمن باشا.

وبناء على ما تقدم فإن هذه الدراسة تظل محاولة قد تسهم بعض الإسهام في جلاء ما غفل عنه بعض الدارسين.

وقد أقمت دراستي على المنهج التحليلي الوصفي؛ إذ أتاح لي أن أقارب النصوص الشعرية وأحللها واستخلص منها الأحكام غير المتعسفة .

أما أهم المصادر التي أفادت منها الدراسة فيأتي في مقدمتها ديوانا البحتري وعلي بن الجهم، ثم كتب تراجم الشعراء من مثل طبقات الشعراء لابن المعتز (قتل٢٩٦هـ) ، وكتاب الورقة لابن الجراح(ت٢٩٦هـ) ، وكتاب الأغاني (ت٣٥٦هـ)، ومعجم الشعراء للمرزباني (ت٣٨٤هـ)، وكتب التاريخ وأبرزها تاريخ الطبري (ت٣١٠هـ) ومروج الذهب الذي فتح أبواباً عدّة للدراسة.

أما المراجع الحديثة، فكان من أهم التي احتوت المجاميع الشعرية لبعض شعراء الحقبة؛ شعراء منسيون للنجار، وشعراء بغداد للخاقاني، وشعراء عباسيون ليونس السامرائي الذي جمع عدداً من أشعار شعراء تلك الفترة وكتاب د. شوقي ضيف العصر العباسي الثاني الذي كان معيناً في كثير من المسائل وموسوعة شعراء منسيون للنجار.

التمهيد:

التعريف بالمتوكل :

هو جعفر المتوكل على الله، أمير المؤمنين [١] ،عاشر خلفاء بني العباسي والخليفة الأول في العصر العباس الثاني (عصر هيمنة الأتراك) تجلّى في عصره عدداً من الأحداث والتغيرات التي كان لها صدى واسع في شعر الحقبة.

١.ينظر في ترجمة المتوكل : اليعقوبي، احمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب ابو واضح (٢٨٤هـ) ،**تاريخ اليعقوبي**، د.ط ،دار صادر، دار بيروت ، بيروت ،١٩٦٠، المجلد الثاني ص ٤٨٤ ،الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ) ، **تاريخ الرسل والملوك**، ط١ ، دار الكتب العلمية، بيروت ،٢٠٠١م، المجلد الخامس ٢٨٩-٣٣٧، المسعودي ،أبو الحسن علي بن الحسين بن علي(ت٣٤٦هـ) ، **التنبيه والاشراف**، د.ط ،(صححه عبدالله الصاوي)، المكتبة التاريخية ،د.م،ص ٣١٣ ، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ط٣،(تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد) مؤسسة السعادة، مصر،١٩٥٨م،ج٤ ،ص٨٥ ،الخطيب البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي (ت٤٦٣هـ) **تاريخ بغداد أو مدينة السلام**، ط١، (دراسة وتحقيق عبدالقادر عطا) ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧، ص١٧٥-١٨١ ، ابن عساكر، ثقة الدين أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي (ت٥٧١هـ)، **تاريخ دمشق الكبير**، ط١ (تحقيق أبو عبدالله علي عاشور)،دار إحياء التراث العربي، بيروت ،٢٠٠١م، ج١١، ٥٣ ، الجوزي ، جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ)، **المنتظم في تواريخ الملوك والأمم** ،د.ط (تحقيق د. سهيل زكّار)، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٩٥م، ج٦ ص٤٠٣ ، ج٧ ،٨ .ابن الأثير ، عزالدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم (ت٦٣٠هـ) **الكامل في التاريخ**، ط١،(تحقيق خليل مأمون شيحا)، دار المعرفة، بيروت،٢٠٠٢،ج٥ ، ٥١٦،الكلبي، ابن دحية (ت٦٣٣هـ)، النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس، ط١،(تحقيق مديحة الشرقاوي)، مكتبة الثقافة الدينية، بورسيعد، ٢٠٠١م، ص٧٥ ،ابن خلكان ،أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر(ت٦٨١هـ)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، ط١، (تقويم محمد عبدالرحمن مرعشلي) ، دار إحياء التراث،مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ،١٩٩٧، ج١،٣٥٠-٣٥٦ ، ابن العبري ،غريغوريوس الملطيّ(ت٦٨٥هـ)، **تاريخ مختصر الدول**،ط١، دار المسيرة، بيروت، د.ت، ١٤٢-١٤٦، ابن كثير الدمشقي،أبي الفداء الحافظ (ت٧٤٤هـ)، **البداية والنهاية ومعه نهاية البداية والنهاية في الفتن والملاحم**، ط١، (تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي)، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦، ج٧ ،٣٢٢ ، الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ)، **تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، ط١، (تحقيق عمر عبد السلام)، دار الكتاب العربي، ١٩٩١م، ج١٨،

بويع أميراً للمؤمنين بعد موت أخيه الواثق وكانت بيعته يوم الأربعاء لست بقين من ذي الحجة سنة ٢٣٢هـ (١).

لُقب في بداية حكمه بالمنتصر بالله، إلى صبيحة يوم الجمعة الأولى من خلافته، فقال أحمد بن أبي دؤاد (٢) رأيت أن يُلقّب أمير المؤمنين بالمتوكل على الله، فاتفقوا على ذلك(٣).

ظهر المتوكل بعد وصوله إلى سدة الحكم بشخصية رياسيّة فذّة ، لقيت محبة عامة الناس، وأثرت في مسيرة الخلافة العباسية وتطورها،فقد عزم على التحرر من براثن الاعتزال؛ إذ قضى على المعتزلة، وأنهى سيطرتهم ونفوذهم على الحكم، وخلّص أحمد بن حنبل من محنته، وأنهى فتنة القول بخلق القرآن الكريم، التي سادت في خلافة المأمون، والمعتصم، والواثق من

= الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن (ت ٧٦٤هـ) ،**فوات الوفيات**، ط١، (تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد عبدالجواد)، دار الكتب العلمية، بيروت،٢٠٠٠ ،ج١،ص٢٨٩ ، ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي (ت ٨٠٨هـ)، **تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصروهم من ذوي السلطان**، اعتنى به تركي المصطفى، دار إحياء التراث ، بيروت، ج٣، ٢٧٠، السيوطي ،جلال الدين (ت ٩١١هـ)، **تاريخ الخلفاء** ، ط١، (تحقيق ياسر رمضان و د. وليد سيف)، دار الأسرة، دار عالم الثقافة ، عمان ، ٢٠٠٦، ص٢١٩.الديار بكري، حسين بن محمد بن الحسن(ت ٩٦٦هـ)، **تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس**، دار صادر ، بيروت، د.ت، ج٣٣٧/٢

١. "وكانت الخلافة لمحمد بن الواثق فلما مات الواثق أجمع وصيف التركي، وأحمد بن دؤاد، ومحمد بن عبدالملك، وأحمد بن خالد المعروف بابن أبي الوزير، وعمرو بن فرج، فعزم أكثرهم على تولية محمد بن الواثق، فأحضروه وهو غلام أمرد، فقال أحمد بن دؤاد: أما تتقون الله ! كيف تولون مثل هذا الخلافة؟ ؟ فأرسلوا بغا الشرابي إلى جعفر بن المعتصم فأحضروه، فقام ابن أبي دؤاد فألبسه الطويلة ودراعه، وعممه بيده على الطويلة، وقبّل بين عينيه وقال: السلام عليك ياأمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ثم غسّل الواثق وصلى عليه المتوكل ودفن." **تاريخ ابن عساكر**٥٣/١٢ وبويع له وهو ابن سبع وعشرين سنة وأشهر ، وقيل إنه ابن ست وعشرين سنه . ينظر **مروج الذهب**، ج٤ ص٨٥، **تاريخ مختصر الدول** ص١٤٢ **تاريخ الطبري** ، المجلد الخامس ، ص٢٩٣ وينظر**تاريخ اليعقوبي**، ج٢ ، ص٤٨٤

٢. أحمد بن أبي دؤاد فرج بن جرير بن مالك الإيادي، ولد في البصرة، أحد القضاة المعروفين زمن الواثق نكّل به المتوكل وصادره، **تاريخ بغداد** ١٤١/٤_ ١٥٥ وينظر **وفيات الاعيان** ج١ /٨١

٣. **البداية والنهاية**، ج٧، ص٣٢٢ ينظر في ذلك: **تاريخ الطبري** ٢٩٣/٥

قبل، فعمل على إحياء السنة من جديد، وأعاد المذهب السني مذهباً رسمياً للدولة العباسيّة .

وصفت أيام المتوكل بأنها[١] من أحسن الأيام وأنضرها، من حيث استقامة الملك، وشمول الناس بالأمن والعدل[٢]، وأثنى الشعراء ثناء كبيراً على المتوكل الذي قمع الظلم، وأرسى قواعد الشريعة الإسلامية السنيّة، وبددّ المخاوف، فغدا الناس يعيشون في رياض غضّة، وذلك بعد أن قاسو ما قاسوا في أيام من سبقه، فسجلت المدائح المتوكلية رفاهية الحياة آنذاك وما نعم به شعب المتوكل من خير؛ إذ التزم العدل والمساواة، وأرسى موازين الحق، فكانت سياسته عادلة ومحتكمة إلى شريعة الله، وسنة نبيه، رافعة الغمة والمحنة عن نفوس العامة .

ووصف الشعراء عصر المتوكل بأنه عصر نعيم وأمن ورفاهية ودعة، فهذا البحتري يقف مقارناً حال الخلافة زمن المتوكل بمن سبقه :

بِنُعْمى أميرِ المؤمنينَ وفضلِهِ غدا العيش غضّاً بعد طول ذُبُولِهِ[٣]

ويقول في مدحية أخرى :

خلافُة "جعفر " عَدْلٌ وأمنٌ وحِلْمٌ لم يَزَلْ يَسَعُ الأناما [٤]

ويصف حال الدنيا وحسنها بقوله في قصيدة أخرى :

فكأنّما الدُّنيا هُنالِكَ رَوْضَةٌ راحتْ جوانِبُها تُرَاحُ وتُوبَلُ

أو ما ترى حُسْنَ الرّبيع وما بَدَا وأعادَ في أيّامِهِ المتوكّلُ

---

١. ينظر في وصف خلافة المتوكل اليعقوبي،أحمد بن أبي يعقوب بن حعفر بن وهب (ت٢٨٤هـ) **مشاكلة الناس لزماتهم**،تحقيق وليم فلورد دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٢٦،ص٣٢

٢. **مروج الذهب** ٨٦/٤

٣. **ديوان البحتري** ، تحقيق حسن كامل الصيرفي ، دار المعارف ، ١٩٦٣م ، المجلد ٣ ، ص ١٦٣٤ .

٤. السابق ، ص٢٠٠٩

أشْرَقْنَ حتّى كاد يُقْتَبَسُ الدُّجى ، ورَطُبْنَ حتى كاد يجري الجَنْدَلُ
من بعدما اسْوَدَّ الزّمانُ المُنْتَضى فينا ، وجفّ لنا الثّرى المتَبلِّلُ
اللّـهُ سَـــــــهّل بالخليفةِ جَعْفَرٍ مـن دَهْرنـا ما لم يكنْ يُتسهَّلُ [١]

فعهد المتوكل كما عبّر عنه البحتري عهد عدل وأمن شَمِل الناس جميعا؛ فتبدلت الدنيا وبدت بحلّة ربيعية بعد أن كانت متشحة بالسّواد ، ووصف عهده بأنه : (غضّ العيش، وعهد عدل وأمن، بدت الدنيا روضة، فقد سهل المتوكل كل صعب وبه أشرقت الأيام ورطبت...)، أما عهد من سبقه :(فاتشح بالسواد وصعبت أيامه، وجفّ الثرى ...)

وصفوة القول فإن المتوكل قد جاء بنهج جديد حاملاً معه انقلاباً على ماسبق من نواحٍ عدّة، لعلّ أبرزها إبطال القول في خلق القرآن، وإظهار عقيدة أهل السنة والجماعة، وما أحدثه من الناحية العمرانية الحضارية والأبنية الجديدة، كما جاء بسياسة جديدة سنعرف شيئاً من تفاصيلها فيما سيأتي:

ملامح الخلافة المتوكليّة:

إن المتوكل أول خليفة تسوقه أقداره إلى الخلافة دون أن يُبايَع إلا أن القدر حتّم عليه أن يكون الخليفة العباسي بعد أخيه الواثق. لكنه ورث عن الواثق حملاً ثقيلاً وعبئاً كبيراً؛ فالترك يسيطرون إداريا على مناصب الدولة؛ وحاولوا كثيراً القضاء على رأي الخلافة وسلطتها؛ لذا عاش المتوكل معهم صراعاً مريراً يحاول كسر شوكتهم بعدّة وسائل، إلا أنها باءت جميعها بالفشل.

---

١. **ديوان البحتري**، المجلد ٣ ، ص ١٧٥٥ +١٧٥٦ تراح من الرَّوح وهو نسيم الريح ، الجندل : الصخر العظيم ، المنتضى: الناصل الذي ذهب لونه، تطل : يصيبها الطل، توبل : يصيبها الوبل، ينظر حواشي الديوان

فولّى أبناءه الثلاثة العهد؛ المنتصر [١] والمعتز، والمؤيد ظناً منه بأنه سينهي نفوذ الأتراك وتسلطهم، ولكن خُيّب ظنه ولم يفلح وأعاد مأساة صراع الأخوين (الأمين والمأمون) فأصبح الابن الأكبر المنتصر عميلاً للأتراك وتعاون معهم لاغتيال أبيه.

قام المتوكل بجملة إصلاحات في الدولة وفي القصر، كان من جملة الاصلاحات الداخلية التخلص من بعض الشخصيات السياسية التي شكلت خطراً على الحكم، إذ قام المتوكل عزل الوزير محمد بن عبد الملك الزيات والي ديوان الضياع، وابن أبي دؤاد الذي كان كبير القضاة، قد صادر أموالهما وممتلكاتهما، واستعان بوزيره الجرجرائي وكان أديباً فاضلاً وشاعراً بليغاً، ثم استوزر بعده الفتح بن خاقان، الذي اتصف بسعة ثقافته، وذكائه الوقّاد فظل وزيراً إلى أن قتل المتوكل وقُتِل معه .

وبعد أن يئس المتوكل من الشيوخ استوزر عبيد الله بن يحيى بن خاقان وظل وزيره إلى أن قُتِل الخليفة .

ومن رجالات المتوكل يحيى بن خاقان والي ديوان الخراج، وإسحق بن ابراهيم مسؤول الخراج وبعده ابنه محمد ثم عبدالله بن إسحق. ووّلي أحمد بن المدبر سبعة دواوين هي الخراج، والضياع والنفقات الخاصة والعامة والصدقات والموالي والغلمان والجند والشاكريّة فوفر أموالاً عظيمة على الدولة [٢].

---

١. المنتصر : هو الابن الأكبر للمتوكل ، كان المتوكل أميل لابنه المعتز لعدة أسباب منها : محبته لأمه قبيحة التي كانت باستمرار تميل الخليفة إليه،وما أثره الفتح بن خاقان وابنه عبدالله بتقريب المعتز على قلب أبيه. ينظر في ذلك **الطبري** ٣٩٠/٧ ، **مروج الذهب** ١٢١/٤.

* للاطلاع على قضية ولاية العهد في العصر العباسي منذ تأسيس الدولة ، ينظر العبسي، هدى أحمد (٢٠٠٦ م)، **قضية ولاية العهد منذ تأسيس الدولة العباسية حتى وفاة المتوكل** ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة دمشق، دمشق، سوريا ص ١٢٥ وما بعدها

٢. **تاريخ اليعقوبي** ٤٨٨/٢وانظر في التعريف بطبيعة هذه الدواوين القلقشندي، أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ)، **صبح الأعشى في صناعة الانشا**، (تحقيق محمد حسين) دار الفكر ودار الكتب العلمية، بيروت، د.ت ج١+٣ ، وينظر الكساسبة، حسين فلاح(١٩٩٢م)، **المؤسسات الادارية في مركز الخلافة العباسية** (الدواوين)،منشورات جامعة مؤتة

غضب المتوكل على عدد من رجالات زمنه مثل: الفضل بن مروان الذي قبض أمواله ونفاه، ثم رضي عنه فرده[١]، وقبض على هرثمة بن النصر عامل مصر[٢]، وغضب على عمرو بن فرج الرُّخَّجي [٣] وسجنه ونكّل به وبأرضه، وهذا ما ذكره علي بن الجهم حين قال :

جَمَعْتَ أمرينِ ضَاعَ الحَزْمُ بينهما   تِيهَ المُلُوكِ وأفعالَ المَمَاليكِ

أردتَ شكراً بلا برٍّ ومَـــرْزَئةٍ   لَقَدْ سَلَكْتَ سبيلاً غيرَ مَسلوكِ

ظننتَ عِرْضَكَ لمْ يُقرعْ بقارعـةٍ   ومـا أرُاكَ على حالٍ بِمَتْروكِ [٤]

وكان الهدف من هذه الاصلاحات التخلص من سيطرة الأتراك؛ فعمل على التنكيل بهم، ومصادرة أموالهم، وقتلهم وجعل ساداتهم عبدة، وعبرة لمن اعتبر؛ فبطش المتوكل بإيتاخ ووصيف التركيين محاولاً في ذلك إنهاء نفوذهما.

مع هذا وذاك لم ينتهِ صراع المتوكل مع الأتراك، ولم يستطع التخلص من نفوذهم الواسع مما كان له صدى داخلي[٥] وخارجي؛ تمثل الأول باضطراب الحياة الاقتصادية والإدارية، أما الثاني فكان بتجرؤ الدولة البيزنطية على المتوكل مرات عدة، بحيث اضطر إلى مجابهة الصراع مع الروم البيزنطيين، الذين هاجموا عدداً من الثغور الاسلامية واحتلوها .

---

١. **تاريخ اليعقوبي** ٢/ ٤٨٥ .

٢.السابق ، ص ٤٨٦ .

٣.كان من ندماء المتوكل واشتهر بالميل عن علي بن أبي طالب وآله، استخدمه المتوكل والياً على المدينة سنة ٢٣٣هـ ثم غضب عليه وصادره الأصبهاني،أبو الفرج، **مقاتل الطالبيين** ،ط ،(تحقيق أحمد صقر) دار المعرفة، بيروت، د.ت

٤. **تاريخ الطبري**، المجلد الخامس ص٢٩٧ ، وينظر **ديوان ابن الجهم** ، تحقيق خليل مردم بك،ط٣، دار صادر، بيروت، ١٩٩٦م، ص١٦٩ (مع اختلاف الرواية) .

٥. كان لانشغال المتوكل بتدبير أمور العاصمة فرصة لظهور عدد من عوامل التفكك والفرق السياسية منها الصفارون في سجستان واستطاعوا تكوين سلطة سياسية، وكما ثارت قبائل ربيعة في أذربيجان بقيادة محمد بن البعيث، وأظهر البطارقة في أرمينيا حركة تمرد واسعة وقتلوا الوالي العباسي فاشتعلت الحرب، وفي أسفل صعيد مصر تحرك البجة الأحباش وقتلوا المسلمين سنة ٢٣٧هـ ولكن الحملة العباسية استطاعت إخضاعهم لشروط العهد السابق ، ينظر فوزي فاروق عمر(٢٠٠٣م) **الخلافة العباسية**، رام الله ، دار الشروق ج١ ، ص٢٩٢

كان المتوكل رجل التناقضات؛ إذ أنه يرغب في التخلص من الأتراك، ومع ذلك كان يسلمهم زمام الأمور، كقيادة الجيش والمناصب الإدارية والحجاب، كما أن حارسه الخاص- باغر- كان تركياً.

وقد أضعف المتوكل نظام الوزراة بإسرافه في تعيين الوزراء ورؤساء الدواوين والمصالح وعزلهم .

وكان من الإجراءات الإدارية التي قام المتوكل بها نقل خلافته من بغداد إلى دمشق ظاناً أنه سيتخلص من نفوذ الترك، إلا أنه سرعان ما أعاد العاصمة إلى بغداد بعدما مورس عليه من ضغوط وإجبار على العودة. وحين عاد إلى بغداد تذرع باختلاف طقس دمشق [١] وعدم اعتياده عليه. ومن ملامح سياستة أنه لم يعتمد على العرب؛ لضعفهم بسبب صراعاتهم المتعددة كصراع العرب القيسيين واليمنيين، فالمتوكل لم يبتعد طويلاً عن مسرح الأحداث، وعاد إلى الاعتماد على الفرس تارة وعلى الأتراك تارة أخرى.

وقد حاول المتوكل مرة أخرى التخلص من النفوذ التركي فبنى مدينة جديدة شمالي سامراء تسمى المتوكلية أو الجعفرية، محاولا أن يؤسس مدينة عربية بحتة لا تطولها يد الأتراك. لكنه وقع في أزمة مالية؛ فهو يحتاج أموالاً كثيرة لبناء المدينة، فأمر رئيس ديوان التوقيعات -آنذاك- نجاح بن سلمة بمصادرة الأموال ففعل إلى أن أحدث اضطراباً وبلبلة فلم يعد أحد يعمل، فحدّث عبيدالله بن يحيى بن خاقان المتوكل في ذلك، فأدرك المتوكل خطأ فعلة نجاح وأحضره وضربه حتى مات، وكان لذلك صدى قوي في الشعر، فقال القصافي[٢] يتشفى بقتل نجاح:

غدا على نِعَـــمِ الأحرار يَسلُبها   فراحَ وهو سليبُ المالِ والبدنِ [٣]

---

١. كانت إقامته في دمشق شهرين وأياماً في رواية الطبري (تاريخ الطبري ٣٢٧/٥)، وفي رواية المسعودي ثلاثة أشهر وسبعة أيام (مروج الذهب ١١٤/٤).
٢. القصافي : عمرو بن نصر التميمي وكنيته أبو الفيض، بصري ، ابن الجراح ،**الورقة** ، ط٣، (تحقيق د. عبدالوهاب عزام و عبدالستار أحمد فراج)، مصر: دار المعارف، ص٧.
٣. **تاريخ الطبري** ٥ / ٣٣١ أحداث سنة ٢٤٥ هـ .

ويمكن أن ننهي الحديث هنا بالإشارة إلى أنّه رغم ما عاناه المتوكل في محاولته التخلص من الأتراك، فقد كانت هناك صراعات ونزاعات بين الأحزاب، وأبرز تلك الصراعات الحزبية الصراع بين أهل السنة والشيعة، والصراع القبلي بين المضرية واليمنية والصراع العرقي بين العرب والفرس والصراع مع الزنج والصراع بين العباسيين والروم في الثغور الاسلامية، والصراع داخل البيت العباسي نفسه فكثرت في عهد المتوكل النكبات الداخلية، ولاننسى حروبه الخارجية.

لم يتخذ الخلفاء العباسيون مذهباً رسمياً للدولة إلا في عهد المأمون الذي اتخذ الاعتزال مذهباً رسمياً وظل الحال على ماهو عليه(١) إلى أن جاء المتوكل فأصدر مرسوماً أعلن فيه إنهاء المحنة التي ابتلى بها أهل السنة والجماعة على يد المعتزلة، والمحنة التي نجمت عن القول بخلق القرآن .

وذكر محمد بن علي العبدي الخراساني الإخباري في خلافة القاهر بالله بأن قال في وصف خلافة المتوكل : إن المتوكل " خالف ما كان عليه المأمون والمعتصم والواثق من الاعتقاد، ونهى عن الجدل والمناظرة في الآراء وعاقب عليه، وأمر بالتقليد وأظهر الرواية للحديث، فحسنت أيامه، وانتظمت دولته، ودام ملكه" (٢).

كان موقف المتوكل من العلويين والشيعة موقفاً مغايراً ومباينا لموقف أسلافه العباسيين، فقد هاجم الشيعة ونكّل بهم ، وأساء معاملتهم ومعاملة أئمتهم،

---

١. كان الاعتزال مذهب الدولة عهد المأمون والمعتصم والواثق. ينظر في ذلك العجرمي، أحمد شوقي ابراهيم(٢٠٠٠م) **المعتزلة في بغداد وأثرهم في الحياة الفكرية والسياسية من خلافة المأمون حتى وفاة المتوكل على الله** ،(ط١)، مصر : مكتبة مدبولي.

٢. **مروج الذهب** ٤/ ٣١٩

واستهزأ بشعائرهم الدينية واضطهد إمامهم على بن محمد بن علي بن موسى وطلبه .كما أنه شجع الحركات المعادية للعلويين كحركتي الناصبة والنابتة [١]
وشجع الشعراء على النظم في مدح العباسيين وإثبات حقهم في الخلافة . [٢]

فتجلت مواقف المتوكل من العلويين في الشعر، حيث دارت هذه الأحداث السياسية على ألسنة الشعراء، فصوروا حالهم وما آل إليه أمرهم بخلافته .

و قد أوضح المسعودي حال العلويين في خلافة المتوكل حين قال إنهم في محنة عظيمة وخوف على دمائهم. [٣]

وكما أطلق الخلفاء العباسيون-غالباً- الحرية الدينية لأهل الذمة، وأخذوا يشركونهم في تحمل مسؤوليات الدولة، فتسلم الذميون المناصب الإدارية والمالية وعاشوا في رفاهية ودلال، يقيمون الأديرة والمعابد والكنائس إلى أن جاء عصر المتوكل فبدأ عهد جديد لأهل الذمة،إذ أمرهم بلبس الطيالسة العسلية، والزنانير وركوب السروج الخشبية، وأمر نساءهم إذا ظهرن أن يرتدين إزاراً عسليّ اللون.

---

١. الناصبة : حركة معادية للعلويين ، والنابتة حركة معادية للعلويين موالية للأمويين وهي تمثل الجيل الجديد المعادي لسياية العباسيين ولمذهب الاعتزال ولآراء الشيعة العلوية ينظر : المثاني،موسى(٢٠٠١)، **الصراع السياسي والفكري في عهد الخليفة العباسي المتوكل على الله (٢٣٢هـ-٢٤٧هـ)** . رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة آل البيت ، المفرق، الأدرن ، ص١٦٧

٢. وينظر مقال فاروق عمر فوزي، (١٩٧٢م) نظرات في سياسة الخليفة العباسي المتوكل ، **المجلة التاريخية** (٢) : ١٣٤-١٣٦

٣. ينظر **مروج الذهب** ج٤ ، وفي تفصيل ذلك ينظر الجانب المذهبي من الباب الأول

كما أمر أن تفرّق دورهم عن دور المسلمين وأن يطبع على أبوابها شياطين تميزهم، كما نهى عن تعيينهم في الدواوين وحضورهم كتاتيب المسلمين، وأمر بتسوية قبورهم بالأرض تفريقاً لها عن قبور المسلمين[١]. وفي سنة ٢٣٩هـ أمر أهل الذمة بلبس دراعتين عسليتين على الأقبية والدراريع في المحرم، وأمر في صفر أن يقتصر مركبهم على البغال والحمير[٢] ، وكان المتوكل أول عباسي يأمر بهدم الكنائس. وكان لذلك صدى واسع في الشعر فقال علي بن الجهم:لما أمر المتوكل سنة ٢٣٥هـ أن يؤخذ أهل الذمة بلبس

العَسَلِيَّات التي فَرَّقـتْ   بين ذوي الرِّشْدَةِ والغَيِّ
وماعَلى العاقِلِ إن يَكْثُرُوا   فإنـــهُ أَكْثَرُ لِلْفَيِّ[٣]

ومن ملامح سياسة المتوكل ايضاً الاهتمام بالعمران، فأعجب العربي بالزخرفة وأناقة الرياض وافتتن بهما وأخذ ينمقها ويطورها ويصفها في شعره وتميزت الدولة العباسية بحضارتها إذ تفاعلت عناصر بيئتها على مسرح الأحداث مع الحضارات الأخرى كالحضارة الفارسية والرومانية والهندية واليونانية ،فأنتجت دولة لها حضارة متميزة؛ لتوافر العناصر

المدنيّة والحضارية فيها. ويعود النشاط الحضاري والعمراني وازدهاره في الدولة العباسية إلى عدّة أسباب منها:جمال الطبيعة كالمناخ والموقع الجغرافي ومصادر المياه وغير ذلك، وما نعم به العباسيون من ثراء مادي وازدهار اقتصادي،إضافة إلى شغف الحكّام والولاة بالتطور والتفنن بالبناء واهتمامهم به.

---

١. ينظر **الطبري** ٥ /٣٠٤ أحداث سنة ٢٣٥ وينظر **المنتظم**٦/ ص٤٣٦
٢. ينظر **المنتظم** ٦/ص٤١٧ أحداث سنة ٢٣٩، ينظر **الطبري** ص٣١٨ وأورد الطبري الكتاب الذي وجّه إلى النصارى في ٥/٣٠٥-٣٠٧
٣. **الطبري** ٥ /٣٠٦ وينظر **ديوان علي بن الجهم** ص٢٢٥، العسليات:. ملابس النصارى

فتساندت هذه العوامل جميعها لتجعل من العمارة العباسية فنّاً قائماً بذاته، مستقلا له شخصيته المائزة عن غيره من الفنون، فأخذ يحاكي الفن البيزنطي حيناً، وينفرد ويضيف ويبدع أحياناً أخرى، وقد شكلت العمارة العباسية وقتذاك مزيجاً فريداً للفن البيزنطي السائد في مصر والشام، والفن الساساني السائد في العراق وبلاد فارس [١] .

واللافت ما أضافه العباسيون من خصائص معمارية ذات طابع إسلامي مميز، تعكس صفاته المعنوية والروحيّة، وبالتالي أصبحت الحضارة العباسية مزيجاً حيوياً من الزخرفة الرومانية التي أولع بها العرب وأضافوا عليها، ومن الآثار الاغريقية والبيزنطية والفارسية والتركية والهندية والبيئة العربية وخصائصها الطبيعية التي اندمجت ببعضها لتخلق فناً عربياً خالصا، له سماته المميزة؛ فنجد التقليد والمحاكاة حيناً،ونلمس الإبداع أحياناً أخرى؛ إذ رغب العباسي بأن يصهر الحضارات كلها، ويحققها في حضارته.

وعُرِف المتوكل -كغيره ممن سبقه من خلفاء بني العباس - بشغفه وولعه بفن العمارة والبناء، فكان مهتماً ببناء القصور، وشق الترع والقنوات والبرك منمّقا إياها ومضيفا إليها أسباب الرفاهية.

ويذكر المؤرخون والشعراء أكثر من خمسة وعشرين قصراً بناها المتوكل عدا مدينته الجديدة قرب سامراء التي سماها المتوكلية أو الجعفرية[٢] وصور الشابشتي ذلك فقال:

" ومن الأبنية التي أحدثها المتوكل قصر العروس، والقصر المختار، والوحيد، والجعفري المحدث والغريب، والسّيّدان، والبرج، والصبيح، والمليح، وبستان الإيتاخية، والتل، والجوسق، وبركوار والمسجد الجامع، وغيرها من القصور والميادين ". [٣]

---

١. ينظر أبو غزالة ،ضاهر (٢٠٠١م) ، **الشعر والعمارة توأما حضارة (دراسة عباسية)**، (ط١) ، بيروت: دار المنهل اللبناني

٢. ينظر الشرقي، طالب علي(٢٠٠١م) ، **قصور العراق العربية والإسلامية حتى نهاية العصر العباسي ٦٥٦هـ**، ط١، بغداد: دار الشؤون الثقافية

٣. ينظر الشابشتي، أبي الحسن بن محمد (ت٣٨٨هـ) **الديارات** ،ط٢، (تحقيق كوركيس عواد)، مصر: مطبعة المعارف ، ١٩٦٦ ،ص ٣٦٤-٣٧١ .

وقد أولع البحتري بوصف مظاهر الحضارة والعمران، كالمباني، والقصور التي شيدت في عهد المتوكل، فضلاً عن دقة تصويره لمظاهر الطبيعة، وما تحويه من برك وأنهار ونبات، فها هو يتغنى بجمال مدينة سامراء الجديدة، ويزهو بحسنها وجمالها فيقول :

زَهَتْ سُرَّمَنْ رَا بالخَليفةِ جَعْفَرٍ   وعَــادَ إليها حُسْنُها وَجَمالُهَا
صَفَا جَوُّها لمّا أتاهَا، وكُشّفتْ   ضَبَابَتُها عَنْها، وهَبّتْ شَمَالُها [١]

وتأثر الشاعر العباسي ببراعة فن العمارة؛ إذ أخذ منه الصبغ والتلوين والزخرفة، وأخذ في أشعاره يجسد ما تثيره مشاهد البيئة وأحداثها؛ فكانت المدينة وحضارتها المنهل العذب، يستقي منه صوره ومعانيه، فيتغنى بجمالها وبجمال بنائها ورياضها. كما عمد العديد من الشعراء إلى وصف تلك القصور الفارهة من الداخل والخارج، فوصفوا الأسقف والجدران والقباب والأعمدة والزخارف والألوان.

وهكذا أملت الحضارة العمرانية على هؤلاء الشعراء مادتهم الأولى وأغنتهم بأساليب التزويق والتأنيق وأمدتهم بترف الفكر ورهافة الإحساس وجودة الوصف .

ولذلك انتقل الشعراء من وصف المباني الى وصف المجالس وما تحويه من أحداث، وبهذا غدت القصور مسارح أدبية واجتماعية تحفل بالمجون والسرور، فأحبها الشاعر وجعلها محطة له، ومنبعاً لرزقه، ومثاراً لقلمه، ومصدراً لإبداعه محررة له من القيود والجمود والتقليد.

خلاصة القول تفضي بنا إلى أن المتوكل حاول إلباس مظاهر الحضارة والمدنية للعباسيين، بمختلف العناصر والأجناس من العرب والعجم، وذلك بالارتقاء بمستوياتهم وتطوير مناحي الحياة المختلفة كالمباني والقصور .

ونشطت الحركة العلمية والفكرية في خلافة المتوكل، فأنتج هذا الترف الحضاري ترفاً فكريًا تمثّل في عدد من الوجوه، فنشطت المناظرات بين الناس في المجالس والمساجد لا سيّما المناظرات النحوية بين أهل الكوفة والبصرة.

---

١. **ديوان البحتري** ٣/ ١٦٣٠

وأنتج النشاط الفكري عدداً من مفكري العصر كالفتح بن خاقان، وعلي بن المنجم [١] وغيرهما.كما اهتم المتوكل بالشعر والشعراء، وأجزل العطايا لهم، واستخدم الشعر سلاحاً قوياً يعرض أفكاره وآراءه كصراعه مع العلويين مثلا.

وساعد على انتعاش الحركة العلمية آنذاك انتشار الورق ورخص ثمنه وانتشرت المكتبات فتبادل الناس العلم وعمت المنفعة على الجميع .

ونشطت حركة الترجمة في خلافة المتوكل؛ إذ أغدق على المترجمين الهبات والعطايا فأخذوا يتنافسون في ذلك، فقد أهدى المتوكل حنين بن إسحاق [٢] أموالا عظيمة لترجمة عدّة كتب، وكثر التأليف في هذه الخلافة، وتعددت موضوعاته ومناهجه، ونشطت الكتابات التاريخية وكتب الطبقات والتراجم، وحفّز الخليفة حاشيته على تأليف الكتب، منه ما أعطاه الفتح بن خاقان للجاحظ عند تأليفه رسالة فضائل الترك [٣].

وظهر اهتمام بالحديث وروايته وتصانيفه كما تطور علم تفسير القرآن وعلم القراءات.

وإلى جانب هذا كله ظهر اهتمام واسع بعلوم اللغة العربية كعلم البلاغة مثلا، وظهرت الآراء البلاغية مثل ما أورده الجاحظ في كتابه البيان والتبيين عن مطابقة الكلام لمقتضى الحال.[٤]

---

١. علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم كان راوية للأخبار والأشعار شاعرا محسنا، نادم المتوكل، وكان من خاصة ندمائه ،توفي أيام المعتمد ودفن بسر من رأى ، **تاريخ بغداد** ١٢ /١٢١

٢. حنين بن إسحاق : كان عالما باللغات الأربع غريبها ومستعملها العربية والهندية واليونانية والفارسية ونقله في غاية الجودة، ابن أبي أصيبعة ، موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسن السعدي الخزرجي (ت٦٨٨هـ)،**عيون الأنباء في طبقات الأطباء** ، ضبط محمد باسل عيون السود، ط١ ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٩٩٨ م ، ص٢٥٦ .

٣. ينظر ضيف، شوقي، **العصر العباسي الثاني**، (ط١٠) مصر: دار المعارف، ص ١٣١٠

٤.الجاحظ ، أبو بحر عمرو بن عثمان ،**البيان والتبين** ،ط١ ، (تحقيق وشرح عبد السلام هارون)، دار الفكر، د.ت، ج١ ص٨٨

كما تعمق مفكرو ذلك العصر بعلوم العربية فعرفوا أسرارها وفصّلوا خصائصها والتفتوا إلى الموازنة بين درجات فصاحة اللغة وفاضلوا بينها، فمقتضيات العصر ومتطلبات بيئته الاجتماعية فرضت وجود لغة أخرى دارجة على ألسنة العامة .

واتسعت الحركة النقدية في خلافة المتوكل فنقدوا الجوانب النحوية الإعرابية، كذلك التفتوا للجوانب المعنوية (المعنى) (١).

أما الشعر فأغدق المتوكل على شعرائه الهبات والعطايا فكان جواداً ممدحاً، يقال: " ما أعطى خليفة شاعراً ما أعطى المتوكل " (٢)، ويقول مروان بن أبي الجنوب (٣) في كرمه :

فأمسكْ نَدَى كَفَّيْـكَ عَنّي ولا تَزِدْ   فَقَدْ خِفْتُ أن أطغى وأن أتجبرا (٤)

وبلغ من كرم المتوكل أن أجاز علي بن الجهم بدرتين تساوي الواحدة منهما مائة ألف (٥)

وكان في شعر خلافة المتوكل بعض الإشارات التاريخية من أمثلة الإشارة إلى إحياء المتوكل للسنة، وتنكيله بعدد من رجالات زمنه، وبيعته العهد لأبنائه، ونقله للخلافه إلى دمشق، وبناء عدد من القصور وغير ذلك من الأحداث التي غدت مسجلة في شعر تلك الفترة، والناظر لموضوعات الشعراء في عهد المتوكل يجد فيها منحيين: منحى الموضوعات التقليدية من مدح وهجاء ووصف ورثاء وآخر يلبي متطلبات العصر مثل شعر الثورات السياسية متمثلا بشعر

---

١. ينظر ضيف، شوقي، **العصر العباسي الثاني**،(ط١٠)، مصر: دار المعارف، ، ص١٨٥
٢. السيوطي، **تاريخ الخلفاء** ، ص٢٢١
٣. مروان بن أبي الجنوب: اسمه يحيى بن مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة، يكنى بأبي السمط، حسنت حاله عند المتوكل وخُص به ونادمه، المرزباني ،**معجم الشعراء**، (تحقيق عبد الستار أحمد فراج)، دون مكان، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٠م، وينظر ترجمته في **تاريخ بغداد** ١٥٥/١٣
٤. السيوطي، **تاريخ الخلفاء**، ص٢٢١
٥. السابق، ص٢٢١

محمد بن البعيث[١] وشعر الحزب العلوي مثل شعر محمد بن صالح العلوي [٢].

واهتم الخليفة وحاشيته بالطبقة المتعلمة فلقيت نوعاً من التكريم، فنال المعلمون مكانة خاصة شريطة ارتباطهم بالخليفة والطبقة العليا وإلا فلا مكانة لهم وذكر ذلك الجاحظ في كتابه البيان والتبين فقال :" منهم رجال ارتفعوا عن تعليم أولاد العامة إلى تعليم أولاد الخاصة، ومنهم من ارتفعوا عن تعليم أولاد الخاصة لتعليم أولاد الملوك أنفسهم المرشحين للخلافة ..." .[٣]

---

١. محمد بن البعيث بن حَلْبسَ الرَبْعي، من ولد هند بن أفصى بن دعمي بن جديبة بن أسد بن ربيعة بن نزار خرج على المتوكل في أول أيامهبنو أمي أذربيجان، فأخذه وحبسه، المرزباني، **معجم الشعراء** ص ٣٨٥

٢. محمد بن صالح بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن يكني أبا عبد الله حملهُ المتوكل من البادية بالحجاز في سنة ٢٤٠هـ فيمن طلب من آل أبي طالب، فحبس ثلاث سنين ثم أطلق، قأقام بسر من رأى، ثم رجع إلى الحجاز وكان راوية أديباً شاعراً، المرزباني، **معجم الشعراء** ص٣٨٠

٣. الجاحظ، **البيان والتبين**، ج١ ، ص٢٥٠.

البــاب الأول
مظاهر الحياة في شعر الحقبة

الفصل الأول :

مظـــاهر الحياة السياسية

الدولة العباسية دولة عريقة سياسياً وحضارياً ذات تاريخ واسع وممتد استمر خمسة قرون ونيفاً، ومرت بعدد من المراحل، اتسمت كل مرحلة بسمة مميزة لها تغلب عليها وتطبعها وتجعلها متفردة عن غيرها من المراحل، فشهدت الدولة العباسية مراحل من العمران والحضارة والبناء وأوجهاً من التمدن والتحضر والاستقرار والأمن السياسي، ودار بها الزمن لتشهد وتسجل مراحل الضعف السياسي والاقتصادي والإداري، لتشهد مدنها صاحبة الحضارة والعمران تخريباً وتدميراً، والتفت الشاعر العباسي إلى كل ذلك فأخذ يسجله في أشعاره، ويتغنى بأمجاد وطنه ويتباهى بحضارته عند ازدهارها ومدنيته، ويبكي عليها ويرثيها في دمارها وخرابها.

وقد كان الشعر في خلافة المتوكل استمراراً لما سبق؛ إذ بات يستأنس بالشعر في رصد مظاهر العمارة والسياسة يصور وينطق بمعطيات العصر؛ فرسمت الأشعار صورة واضحة للحياة العباسية، وغيرها من ملامح الحياة العربية، وغدا الشعر في خلافة المتوكل ريشة تكتب وترسم الأحداث وتنمقها وتزينها، فسجل الشعر أحداث خلافة المتوكل بكل جوانبها: السياسية، والحضارية والاقتصادية والاجتماعية.

***الشعر في الشؤون الداخلية للدولة:**

أ. تولي المتوكل الخلافة وحقه بها :

ساقت الأقدار الخلافة للمتوكل دون سابق إنذار، فتغنى الشعراء بهذه الخلافة الرشيدة الجديدة، وسياستها الحكيمة، التي حاولت بناء دستور جديد، فاستحوذ المتوكل بهذه السياسة على أفئدة عدد ضخم من الشعراء، فهنأوا الخليفة بالخلافة، وأكدوا حقه -كسائر العباسيين- في الخلافة، فهي موروث من مواريث النبي لهم، وبهذا بدا عدد من الشعراء يناصرون الخليفة العباسي وينطقون بلسانه ويبرون أقلامهم للدفاع عنه.

فهذا ابن الجهم يقول مادحًا الخليفة معلناً بهجته ببيعته، وواصفاً الدنيا كأنها اكتست حلّة ربيعيّة رائعة الجمال ، أشرقت بخلافته :

قالوا أتاكَ الأَمَلُ الأكْبَرُ   وفازَ بالمُلْكِ الفتَى الأزْهَرُ
واكتسَتِ الدنيا جمالاً بهِ   فَقلتُ قد قَام إذاً جعفرُ
ذاك الذي كانت إلى ملكهِ   أبصارُنا طامحة تنظرُ
الآن فليهن لذيذُ الكَرى   مَنْ كَان تأميلاً له يَسهرُ
يا وارثَ الأرضِ الذي أصبحتْ   أقطارُها من نُورِهِ تُزْهَرُ

قد كـان مشتاقـا إلى خُطْبـةٍ   مـنك سريرُ الملكِ والمنبَر [١]

فيصف الشاعر حال الدنيا التي تبدلت وأشرقت بخلافة المتوكل التي طالما انتظرت مثل هذا الخليفة؛ فزهت أقطار الأرض فرحاً وسروراً بخلافته، فأنظار الناس كانت تتلهف لعدله، وآن لها الآن أن تهنأ بلذيذ الكرى بعد وصول المتوكل سدة الحكم، فحتى سرير الملك والمنابر تشتاق لأن يرتقيها المتوكل .فتدفق الشعر على لسان الشاعر كتدفق الماء من ريق الغيث ، يعبر عن فرحته الغامرة بخلافة المتوكل.ويؤرخ في هذه المدحية بخلافته التي عُقِدت في شهر ذي الحجة :

يا شَهْرَ ذي الحِجَّةِ قد أصبحت   تُشبِهُكَ الأيامُ والأشْهُرُ [٢]

فقد أصبحت الدنيا أعياداً بخلافته فهذا الشهر(ذو الحجة) شهر عيد الأضحى التي غدت الأيام مثله فوصفت بالرخاء واليسر والنعم.

وفي أحد مجالس المتوكل مدحه أبو الشبل (عاصم بن وهب) [٣] فقال واصفاً إياه بالعدل والإنصاف مؤكداً أنه أمل كل إنسان

أقبلي فالخيرُ مُقْبِل   واتركي قولَ المعلِّلْ
وثِقي بالنُّجح إذ أبـ   ـصرتِ وجه المتوكِّلْ
ملِكٌ يُنصِف يا ظا   لمــتي فيكِ ويَعدلْ
فهُو الغايَةُ و المـأ   مول يرجوه المؤمِّلْ [٤]

فالمتوكل منصف كل مظلوم ولا يرجوه أحد إلا نال رجاءه .

---

١ . ديوان **علي بن الجهم** ، ص١٢٦-١٢٧
٢. السابق ص١٢٧
٣. أبو الشبل عاصم بن وهب من البراجم مولده في الكوفة نشأ وتأدب بالبصرة **الأغاني** ٣٨٢/١٤
٤. **الأغاني** ٣٨٢/١٤

وقال إبراهيم بن العباس الصولي [١] في مدح المتوكل في مقطوعة شعرية غلب عليها التكرار وخفة الموسيقا مبيناً عزة دين محمد بعد خلافة المتوكل، وكيف أن الله بعثه داعماً وحافظاً لرسالة النبي محمد ومؤيداً لها

اللهُ أظهرَ دينَهُ   وأعـزَّه بمـحمّد
واللهُ أكرمَ بالخلا   فـةِ جعفر بن محمد
والله أيّد عَهْدَهُ   بمــحمّد و محمّد
ومؤيّد لمؤيّدَيْنِ   إلى النّبــيّ محمّد[٢]

فكما أعز الله الاسلام بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم فقد أعز الخلافة الاسلامية بجعفر بن محمد (المتوكل).

ويشيد الصولي بالخليفة المتوكل ، ذاكراً أسلافه ومناقبهم الحسنة :

إذا امـــرؤٌ كَنَفَتْ به آباؤهُ   كنفتْـكَ و اكتنفتْ بكَ الآباءُ
ووضعتَ نفسَكَ من قديمِ فَعَالِهِم   و مناقبٍ لك حيث شئت وشاءوا [٣]

ويقول في موضع آخر مظهراً حق المتوكل في الخلافة متسائلاً من أولى منه بهذا المنصب، فهو أمل الناس في الغد مؤيداً وناصراً لهم، وولى عهده مؤيد اسماً ووصفا فالمتوكل المرجو لكل الأوقات:

مَنْ بالخلافة أولى   مِنْ جعفرٍ بن محمدِ ؟
ومَنْ أحقّ بعـهدِ   من الأمــيرِ المؤيدِ؟
ومَنْ المؤمل في اليو   مِ و المؤمـّل في الغدِ[٤]

١.ابراهيم بن العباس بن محمد بن صول مولى يزيد بن مهلب كنيته أبو اسحاق ، الحموي، **معجم الأدباء**،ط١ ، (تحقيق إحسان عباس) دار الغرب الاسلامي ، ١٩٩٣ ، ٧٠/١ .

٢.الميمني، عبد العزيز، **الطرائف الأدبية** ص ١٣٢، معجم الأدباء ١٢٧/١

٣. السابق ص١٣٢

٤. السابق ص١٣١

ويتمم البحتري المعنى نفسه، مستذكرا آباء المتوكل وأجداده الأوائل وأفعالهم الحسنة الشجاعة التي أعادت المجد الضائع وأصبحت أفعاله تستدعي تذكر الآباء والأجداد وأمجادهم، يقول :

أحيا الخليفةُ " جَعْفَرٌ " بفعاله   أفـْعالَ آبــاءٍ لهُ وجُـدودِ
تتكشّــف الأيّامُ من أخلاقهِ   عن هَدْي " مهديّ" ورُشْد " رشيدِ"(١)

فالمتوكل حفيد المهدي والرشيد يستلهم رشده وهدايته من سنن من قبله من الخلفاء العباسيين في هديهم ورشادهم.

وقال الصولي أيضا في مدح المتوكل و ابنه المنتصر مصوراً رشد الخليفة وسياسته الحكيمة وتبع نهجه ابنه المنتصر فسار على خطى أبيه :

خيرُ ماسائسٍ و خيرُ مَسُوسِ   للإمام الإمام وابن الإمام
قمــرٌ طالــع لليلةِ تمٍّ   وهـلالٌ يَنْمِي على الأيام (٢)

ويمدح مروان بن أبي الجنوب المتوكل مبينا أنه الخليفة العاشر داعياً له بدوام الملك والهناء فيقول :

يا عاشرَ الخُلَفاءِ دُمْتَ ممتَّعاً   بــالملكِ نَعْقِدُ بعدهم للعاشرِ
حتّى تكون إمــامهم وكأنّهم   زُهْرُ النّجوم دَنَتْ لبدر زاهر (٣)

فعاشر الخلفاء هو متمم العقد وهو رمز السعادة والهناء للرعية .

ويشير البحتري في إحدى مدائحه إلى أن المتوكل هو الخليفة العباسي العاشر ولكنه الأول في الكرم والإحسان:

---

١ . **ديوان البحتري** ، ٧٠٠/٢

٢. **الطرائف الأدبية** ،ص١٣٧، السائس: القائد أو الرئيس.

٣. **مروج الذهب** ١٣٦/٤

فضلُ الخلائفِ بالخلافَةِ واقفٌ   في الرُّتبة العُليا، وفَضْلُكَ أَفْضَلُ

أوفيتَ عاشرِهَمْ فإن نُدِبُوا إلى   كــرمٍ وإحسانٍ فأنتَ الأوّلُ[١]

ويؤكد البحتري في إحدى مدائحه حق الخلافة لبني العباس، فيعبر عن سروره بأن الخلافة في بني العباس مقيمة لا يخشى انتقالها فلهم الحق فيها وفي إرثها وليس لغيرهم شيء منها:

وقَدْ سَرّني أنّ الخلافةَ فيكمُ   مخيّمةٌ ما إن يخافُ انتقالُها

لكم إرثها والحقُّ مْنهَا، ولم يكنْ   لِغيركمُ إلا اسمُها وانتحالُها [٢]

فالشاعر يؤكد أن الخلافة إرث لبني العباس رغم البعد الزمني وزوال ملك بني أميّة ورغم مطامع الشيعة العلويين بها، وهذا مؤشر دال على الخطر الذي يهدد العباسيين وبخاصة من العلويين وكأنّه ظل هاجساً عند العباسيين وأنصارهم.

ويقول البحتري عن حال الخلافة في إحدى مدائحه للمتوكل:

اليومَ أُطْلِعَ للخلافةِ سعْدُها   وأضاءَ فيها بَدْرُها المُتَهَلّلُ

لبستْ جلالةَ جعفر فكأنّها   سَحَرٌ تَجَلّلهُ الصّباحُ المُقْبِلُ[٣]

فتبدلت الدنيا وأضاءت بنوره وبسعد أيامه حتى بدت كأنها بدر مكتمل تجللت بسحره وخيره.

وفي إحدى مدائح البحتري للمتوكل يصف حال الأمة وهيئتها وكيف صلح أمرها، فالمتوكل حامي راية الدين والدولة فهابه الأعداء وارتدعوا، فكأن النعيم شمل جميع مظاهر الحياة؛ لأن الخليفة توكل على الله وصان رعيته وأعطاها حقوقها فنشر العدل في أركان الدولة كلها. ويؤكد لنا هذه المعاني برسم صورة الخصب والخضرة إذ بخلافة المتوكل خصبت الأيام والدنيا وامتنعت عن الجدب والقحط :

حَمَى حَوْزَةَ الإسلامِ فارْتَدَعَ العِدَى   وقَدْ عَلِمُوا ألاّ يُرامَ مَنِيعُها

---

١. **ديوان البحتري** ١٧٥٧/٣

٢.السابق ١٦٣١/٣

٣.السابق ١٧٥٤/٣

ولمّا رَعَى سِربَ الرّعيّةِ ذَادَها   عن الجَدْبِ مُخَضَرٌّ البلادِ مَرِيعُها

علمتُ يقيناً مُذ توكّل " جعفرٌ"   على اللهِ فيها أنّهُ لا يُضيعُها

جلا الشَّكَّ عَنْ أبصارِنا بِخِلافَةٍ   نَفَى الظّلْمَ عنّا والظّلامِ صَدِيعُها(١)

ويؤكد مروان بن أبي الجنوب حق الخلافة لبني العباس وأنهم أولى من العلويين بها مقيماً الحجة على العلويين من نظام الميراث في الأسلام فالعم يحجب ميراث أبناء العم قائلا :

يرجو التّراث بنو البنا   ت وما لهم فيها قُلامَهْ

و الصِّهرُ ليس بوارثٍ   والبنتُ لا ترثُ الإمامهْ

ما للذين تَنَحَّلوا   ميراثكم إلا الندامهْ

أخذ الوراثة أهلُها   فَعَلام لومُكمُ علامهْ!

لو كانَ حقّكُمُ لما   قامت على الناسِ القيامَهْ

ليس التراث لغيركم   لا والإلهِ ولا كَرَامَهْ

أصبحتُ بين محبِّكمْ   و المبغضينَ لكم علامَهْ(٢)

فالخلافة محصورة في بني العباس لا في مدّعي الخلافة من أحفاد الرسول عليه السلام فأبناء البنات لا يرثون – فالرسول لم يعمر له من الصبيان أحد – وليس لهؤلاء المطالبين من أحفاد ابنته فاطمة إلا الندامة .

ويؤكد البحتري في إحدى مدائحه للمتوكل حقّ بني العباس في الخلافة، ويستحضر لذلك بعض المشاهد في التاريخ فقد كانت السقاية لبني العباس

وأرى الخلافَةَ، وهي أعْظَمُ رُتْبَةٍ،   حقّاً لكَمْ، ووراثَةً ما تُنْزَعُ

أعْطَاكُمُوها اللهُ عَنْ علْمٍ بكمْ؛   واللهُ يُعطي مَنْ يشاءُ ويَمْنَعُ

من ذا يساجلُكُمْ وحَوْضُ "محمّدٍ"   بسقايةِ " العبّاسِ" فِيكُمْ يُشْفَعُ؟(٣)

١.**ديوان البحتري** ١٢٩٨/٢

٢. **تاريخ الطبري** ٥/ ٣٣٩ ، وينظر الكامل في التاريخ ٥/ ٥٦٨-٥٦٩ معجم الشعراء ص٣٢٢

٣. **ديوان البحتري** ١٣١١/٢

ويقول محمد بن أبي الوليد الكلابي الأبرص[١] في مدح المتوكل:

إن الإمامة فضل الله مَكّنه   في الأرض يأمر بالتقوى ويأتمرُ
همْ أناسٌ أبوهمْ كلما نسبوا   عَمُّ النبي الذي استُسْقِى به المطرُ
وجعفرٌ لقريش كلها غُررٌ   بأُمّنا وأبينا تــــلكمُ الغُررُ
هو الخليفة لم يذهب به كِبرٌ   كلّ الذهاب ولم يقُعُد به صِغرُ[٢]

فهو يؤكد أن الإمامة فضل من الله أعطاه لجعفر المتوكل القرشي حاميها وراعيها

ويقول محمد بن صالح العلوي في مدح المتوكل وإثبات أحقيته بالخلافة، كما يستذكر أفعال الممدوح ودوره في إحياء السنة والمحافظة على إرث النبي عليه السلام :

فرأى الهدايةَ أن أناب وأنّـهُ   قصر َ المديحَ على الإمامِ العاشرِ
يا ابن الخلائف والذين بهديهمْ   ظهرَ الوفاء وبانَ غدرُ الغادرِ
وابن الذين حَوَوْا تُراث محمدٍ   دون الأقارب بالنـصيب الوافر
نطق الكتابُ لكم بذاكَ مصدّقاً   ومضتْ به سننُ النبيّ الطاهر
ووصلتَ أسبابَ الخلافة بالهدى   إذ نلْتها وأنمتَ عين الساهرِ [٣]

ويرى مروان بن أبي الجنوب [٤]أن الله اختار المتوكل بإرادته المتعالية كما يختار أنبياءه :

كانتْ خلافُة جـعفر كنبوة   جاءت بلا طلب ولا بتنحل
وهب الإله له الخلافة مثل ما   وهب النبوة للنبي المرسل

---

١. محمد بن يزيد الكلابي الأبرص كان والده حجة في اللغة احتجّ به الفراء وابن الاعرابي في شواهدهما ، **معجم الشعراء** ،ص٣٨٨

٢. السابق ص٣٨٩

٣. **الأغاني** ٢٥٥/١٦

٤.محمود بن مروان بن أبي الجنوب بن مروان بن سليمان بن أبي حفصه وأسماه المتوكل محمود لغمزه على الطالبيين ،ويكنى أبا مروان، جالس المتوكل ومدح ولاة عهده، **معجم الشعراء**، ص٤٩٢

وقد كرر الشاعر هذا المعنى أي تدخل إرادة الله في اختيار المتوكل للخلافة مما يعطيه الأحقية بها فيقول :

تخيّر ربُ الناس للناسِ جعفرا   فملّكه أمر العباد تخيّرا [١]

ومدح الشعراء المتوكل الذي حسم النزاعات والنعرات الطائفية، والفتن المذهبية التي شاعت زمن أسلافه المأمون والمعتصم والواثق، وكان المعتزلة حملوا الناس على اعتناق مذهبهم وأجبروهم على القول بخلق القرآن، وأنزلوا العذاب بكل من عارضهم، ويكفي أن نشير هنا إلى ما ذاقه الإمام أحمد بن حنبل من العذاب على أيديهم .

وحين آل الأمر إلى المتوكل أبطل القول بخلق القرآن، وقضى على سيطرة المعتزلة، فأثار صنيعَهُ قريحة الشعراء، فجعلوا يقرضون الشعر في مدحه والثناء عليه؛ فوصف ذلك أبو بكر بن الخبازة[٢] مصوراً إحياء المتوكل السنة و إماتة النزعات المذهبية الأخرى، فيقول مادحا المتوكل، مظهراً فرحه بانتصار أهل السنة:

وبَعْدُ فإنّ السّنَةَ اليوم أصبَحَتْ   مُـعَزَّزَةً حتى كأنْ لمْ تذلَلِ
تصولُ وتسطو إذ أقيم منارها   و حطَّ منار الإفكِ والزّورِ مِنْ عَلِ
وولّى أخو الإبداع في الدين هارباً   إلى النـَّارِ يهوي مُدْبِرَاً غَيْرَ مُقْبِلِ
شفى الله منهم بالخليفة جَعْـفَر   خليفتِـهِ ذي السّنَة المتوكّـلِ[٣]

فيصف الشاعر حال السنة وكيف أصبحت عزيزة كأنها لم تطلها يد طائل قبل ذلك؛ فقد قضى المتوكل على أصحاب البدع والنحل وحط من قدرهم ورفع من شأن أهل السنة.

---

١ . **الطبري** ١١٧/٥ وينظر عصام سخنيني (٢٠٠٢م)، المتوكل العباسي نموذج دراسي لتوظيف الدين لتحقيق أغراض سياسية ،**مجلة البصائر** ٦(١)ص١٤٥ ينظر الأبيات في **الطبري** ١١٧/٥

٢.أبو بكر بن الخبازة هو محمد بن عبدالله بن يحيى بن زكريا أبو بكر الشاعر المعروف بابن الخبازة له شعر كثير في الزهد والتذكير بالموت والمواعظ **تاريخ بغداد** ٤٢٥/٥

٣.السيوطي، **تاريخ الخلفاء** ص٢١٩

ويقول إبراهيم بن المدبر[١] مادحاً المتوكل وذاكراً إحياءه للسنة إذ أعاد الدين غضاً نضيراً يانعاً بعد أن كان يابساً ذابلاً :

اليومَ عادَ الدّين غضّ العود ذا ورقٍ نَضيرِ

واليوم أصبحتْ الخلا فة وهي أَرْسَى من ثَبيرِ[٢]

فاليوم أصبحت الخلافة متينة راسية ثابتة كجبل ثبير الذي لا يهتز بفضل المتوكل الذي أرسى دعائمها وعمادها بدين الله وسنة رسوله .

ويقول علي بن الجهم مادحاً المتوكل بأنه سنيّ يمشي على سنة الله ونبيه وبأنه أهل للثأر لأمة محمد ممن زاغ وانحرف، فأمة محمد مدينة له بالشكر والعرفان لأنه خلّصها من غياهب الفتن، يقول:

متوكلاً فيها على من خَصّهِ بِسَنَائِها

تدنيه أُمّةُ أحْمَدٍ للثأر من أعْدَائِها[٣]

ويصور لنا ابن الجهم إقامة شرع الله وإحياء سنة نبيه في عهد هذا الخليفة بأنه أعاد اللحمة بين المسلمين وجعلهم على كلمة سواء، ورفع الظلم والفتن عنهم ، فيقول :

أعادَ لنا الاسلامَ بعد دُرُوسِهِ وقامَ بأمرِ الله والأمرُ مُهْمَلُ

وآثر آثار النبيِّ محمّدٍ فقال بما قالَ الكتابُ المُنَزَّلُ

وألفّ بينَ المسلمينَ بيُمنِهِ وأطفأ نيراناً على الدّين تُشْعَلُ [٤]

---

١. إبراهيم بن محمد بن عبيد الله بن المدبر يكنى بأبي اسحاق كان المتوكل يؤثره ويقدمه ويفضله الحموي، **معجم الأدباء** ٢٢٦/١ وينظر السامرائي، يونس(١٩٨٦م) **شعراء عباسيون** (ط١) بيروت: مكتبة النهضة العربية

٢. يونس السامرائي ، **شعراء عباسيون** ، ص ٣٦٩، ثبير: اسم جبل.

٣. **ديوان علي بن الجهم** ، ص٦٣

٤. السابق ص١٧٤

ويستمر في مدح الخليفة، حيث يفتخر بنسبه وقرابته لرسول الله ـ ويثبت أحقيّته بالخلافة، فهو يقول ويفعل بما شرع نبي الله محمد عليه السلام:

أنتم بني عمّ النّبيّ محمدٍ أولى بما شَرَعَ النّبيُّ محمَّدُ(١)

ويقول البحتري إن عز الدين قام بخلافة المتوكل، فربط بين عزّة خلافته وعزة دين محمد عليه السلام، فبقاء هذا الخليفة يحمي السنة ويجعلها عزيزة كريمة، كما يربط بين خلافته وبقاء الكرم :

نَعْتَدُّ عِزّكَ عِزَّ دينِ "محمدٍ" ونرى بقاءَك من بقاءِ الجُودِ (٢)

وفي إحدى مدائحه للمتوكل، نراه يصور الصحوة في عهده، مستعيداً ما كان يقال عن الرشيد في حجّه عاماً وجهاده عاماً آخر، إذ يقول :

يا كالئ * الإسلام في غَفَلاتهِ ومُقِيمَ نَهْجَيْ حَجِّهِ و جهادهِ (٣)

ويصف ابن الجهم إحياء المتوكل للسنة وتمسكه بها، مشيراً إلى فضله وخيره على المسلمين قائلاً :

عـنايتُهُ بالدّينِ تشْهَدُ أنّه بقوس رسول الله يرمي ويَنْصُلُ
إذا مـا رأى رأياً تيقنت أنّه بـرأي ابن عبّاس * يُقَاسُ ويُعْدَلُ
له المِنَّة* العُظمى على كلِّ مسلمٍ وطـاعتُهُ فَرْضٌ من الله مُنْـزَلُ (٤)

فهو يصور إلتزام الخليفة بسنة نبيه؛ فيقول ويفعل بما جاء فيها وكأنه يرمي بقوس رسول الله، دلالة على التزامه وتمسكه بالسنة الشريفة، فهو يحكم ويقيس شؤون حياته كما روى أهل الحديث والسنة النبوية فيذكر الشاعر ابن عباس -وهو أحد رواة الحديث وحبر الأمة وابن عم نبيها-مدللاً على احتكام الخليفة للسنة، فله الفضل على كل مسلم، إذ أحيا السنة وجعلها منهجاً يتبعه . ولا يبالغ في جعل طاعته فرضاً على كل مسلم، في إشارة تبين الفرق بين ما كانت عليه السنة في عهد من سبق من خلفاء الإعتزال وما هي عليه الآن .

---

١. **ديوان ابن الجهم** ، ص٩٢
٢. **ديوان البحتري** ، ج٢ ، ص٧٠١
٣. السابق ،نفسه ، ص٧٠٤ كالئ : حامي ،حارس .
٤. **ديوان ابن الجهم** ، ١٧٣ ،ينظر حاشية الديوان، ابن عباس : عبدالله بن عباس (حبر الأمة) ، المنّة : الفضل، ينظر حاشية الديوان.

ويقول إبراهيم الصولي إن عزّة الإسلام ومنعته تمت بخلافة المتوكل وتأييد الله له، وذلك في مقطوعة شعرية أضفى عليها التكرار جواً موسيقياً جميلاً، رغم خلوها من التصوير الجميل، والتعبير المدهش، فيقول : اللهُ أَظْـهَرَ دينَهُ   وأعــزَّهُ بمحمّدِ

والله أكرم بالخلا   فـةِ جَعْفَر بن محمّدِ

والله أيّد عهدَهُ   بمحمّدٍ ومحمّـدِ

ومـؤيّد للمؤيِّديْن   إلــى النبـيّ محمّد[١]

ويتابع الشاعر إخبارنا عن فضل عهد المتوكل على السنة النبوية بقوله :

ما قامَ لله وللرسولِ   بالدّينِ والدّنيا وبالتنّزيلِ

خليفة كجعفر المأمولِ[٢]

ويقول علي بن الجهم - وهو في سجنه- في إحدى مدائحه للمتوكل:

فما بين رّبكَ جلّ اسمُهُ   وبينك إلا نبيّ ُالهُدى

وأنـت بسنتــه مُقْتَـدٍ   ففيها نجاتُكَ منهُ غدا [٣]

ويواصل ابن الجهم في مدحه المتوكل، إذ صوّره ناصراً للدين، ومخلّصه من الزيغ والإلحاد والكفر، مبطلاً الفتن المذهبية وجاعلاً السنة عماد خلافته وفيصل حكمه، فيقول :

فيا ناصر الإسلام غرّك عصبةٌ   زنادقةٌ قد كنتُ قبل أذودها[٤]

ويقرن ابن الجهم الصلة بين الإيمان والعبادة بطاعة الخليفة وحبه فيقول مبالغاً:

ولن يُقْبَل الإيمانُ إلا بِحُبُكمُ   وهل يقبلُ الله ُالصّلاةَ بلا طُهْرِ [٥]

فهو يربط ربطاً عجيباً بين الإيمان بالله وحب الخليفة، وكأن حماية الخليفة للسنة تستدعي حب الناس، فلا يقبل الإيمان منهم إلا بهذا الحب، ويؤكد مبالغته في عجز البيت، فكيف يقبل الله إيمان الناس دون حبكم كما لا يقبل الصلاة بلا طهر !

---

١. **الطرائف الأدبية** ،ص١٣٢

٢.السابق ، ص١٩٣

٣. **ديوان ابن الجهم** ، ص١٠١

٤.السابق ، ص١١٧

٥.السابق ، ص١٤٠

ولما مرض المتوكل مدحه ابن الجهم مصوراً حال الدين عليلاً قبل المتوكل سليماً صحيحاً بعد خلافته فيقول :

وشكا الدين ما شكوتَ من العلّـ ـة* شكوى قَدْ اجْتَوتهَا العُقولُ
فـإذا ما سَلِمْــتَ فهو سَليمُ وإذا مـا اعتللتَ فهو عَـليلُ
ثم لــمّا أقالــكَ اللهُ للدّيـ ـن وصَحّتْ فروعُهُ والأصولُ
أنِــسَ البُرْدُ والقَضيبُ وهَـزَّالـ مُـلْكُ عِطْفَيْهِ واستبانَ السَّبيلُ [١]

فهو يربط سلامة الممدوح بسلامة الدين، هذا الدين الذي كان معتلاً قبله، قد صلح بصلاح خلافته، فسلمت الأصول والفروع .

ويتابع مدحه قائلاً بعد أن أبلّ من وعكة صحية ألمّت به :

فهنيئاً للمُلْكِ صِحَّةُ راعيـ ـهِ و للدّينِ عِزُّهُ المَوْصولُ

ونراه في موضع آخر يصل فرائض الإسلام ونوافله بالخليفة، ويقرنهما معا، فيمدح المتوكل قائلا :

بكَ تزكو الصّلاةُ والصّومُ والحـ ـجُّ ويزكو التّسبيحُ والتّهليلُ[٢]

ويضيف ابن الجهم - معبراً عن خلاص الإسلام من الزندقة والزيغ على يد المتوكل، الذي نزع عن الدين غطاء الكفر والإلحاد- ، قائلا :

به سَلِمَ الإسلامُ مِنْ كلِّ ملحدٍ وحلّ بأهلِ الزيغِ قَاصِمَةُ الظهرِ
إمامُ هدًى جلّى عن الدّينِ بعدما تعادَتْ على أشياعِهِ شيعُ الكُفْرِ[٣]

ويصوّر البحتري ملامح المتوكل الإيمانية وقسماته في بردة يرتديها، وكأنه من خلالها يتمثل ببردة النبي صلى الله عليه وسلم، قائلا :

وعليك من سيما النّبـ ـيِّ مخايلٌ شَهِدَتْ برُشدِكْ
تبدو عليكَ إذا اشْتَمَلْـ ـتَ بُبرْدِهِ من فوقِ بُرْدِكْ [٤]

---

١. **ديوان ابن الجهم** ، ص١٨٠-ص١٨١ العلّة : المرض، البرد، القضيب: من مخلفات النبي يتوارثهما الخلفاء حتى صارا من تراث الإمامة، ينظر حاشية القصيدة.
٢. السابق ، ص١٨٢
٣. السابق ،ص١٣٩
٤. ديوان البحتري ،٧٠٦/٢

ويصف المتوكل في موضع جديد بالسّداد، والرشد والقوامة التي جعلته مطبقا لسنة الله ومجسدا لها، حيث يقول :

خلق اللهُ " جعفراً " قيّمَ الدُّنـــ   يا سداداً ، وقيّم الدِّين رُشْدا

ويتابع مستمداً من قرابة الخليفة وصلة نسبه بالرسول الكريم صورة يرسم فيها ملامح أخلاق المتوكل التي أشبهت أخلاق الرسول، فيقول :

وشبيه النّبيّ خَلقاً وخُلُقاً   ونسيب " النّبيّ " جَدّاً فجَدّا (١)

ويمدح البحتري المتوكل في إحدى قصائده، ملبساً إياه صفة النبوة، من خلال طرح إشارات، لذلك فهو يرتدي ثيابه ويتجسد بوقاره، فكأنه يُلبس ثياب النبي فيقول بسنته، ويرمي بنهجه ،قائلا:

عَلَيْكَ ثِيَابُ " المُصْطَفَى " وَوَقَارُهُ   وأنتَ به أَوْلَى إذا حَصْحَصَ الأمْرُ

عِمَامَتُـــهُ وسَيْفـُهُ وَرِدَاؤُهُ   وسيماهُ والهَدْيُ المُشَاكِلُ والنَّجْرُ (٢)

ويصف في إحدى مدائحه تمسكه بسنة نبي الله في صومه، وبرّه بالعالمين قائلا :

بالبرِّ صُمْتَ، وأنتَ أفضَلُ صائِمٍ ،   وبِسُنَّةِ اللهِ الرّضيّةِ تُفْطِرُ (٣)

ويقول البحتري في إحدى مدائحه المتوكلية واصفاً حمايته للدين:

قَدْ جَعَلَ اللهُ إلى " جعفرٍ "   حِيـاطَةَ الدّين ،وقمعَ النّفاقْ

طاعَتُهُ فَرْضٌ، وعصيانُهُ   من أعظم الكُفْرِ وأعلى الشِّقاقْ

من لم يَبُحْكَ النُّصْحَ من قلبِهِ   فمـا لهُ في دينِهِ من خَلاقْ (٤)

فالله سخّر الخليفة جعفراً ليقول بالدين ويمشي على نهج سنة الله، ويقمع النفاق والمنافقين، ويبطل أي فتنة على سنة الله، ولذلك باتت طاعته فرضاً منزّلاً، وعصيانه شركاً بالله .

١.**ديوان البحتري** ، ٧١٣/٢ وما بعدها

٢. السابق ٩٩٣/٢ حصحص: ظهر وبان، الهدي: الطريقة والسيرة، النجّر: الأصل.ينظر حاشية الديوان

٣. نفسه ،ص١٠٧١

٤.السابق ١٥١٤/٣

ويتابع مدحه مؤكدا إظهار دين الله وسنة نبيه بما يتزيّا به المتوكل وما يتخذ من شارات نبوية، فيقول :

وإنّا نرى سيما النبيِّ "محمّدٍ" وسنّتَهُ في وَجْهك الضّاحكِ الطّلْقِ

وقَدْ عَلِمتْ تلك العمامةَ أنّها تلاثُ على تلك النّجَابةِ والعِتْقِ (١)

فتطبيق سنة الله أشرقت وجه الخليفة وجعلته ضاحكاً طلقاً باسماً. ويشير الشاعر إلى تمسك الخليفة بالسنة عمامة الرسول عليه السلام التي كان يعصب بها رأسه فهي تُعصَب فوق رأس يحمل الشرف والكرم والجود .

ويقول في مدحة أخرى: مشبها الخليفة بالعباس عم الرسول في أفعاله وأقواله فكان شرفاً له أن رفعه الله فوق النجوم:

يَتَقيَّــلُ العبّاسَ عَمّ محمّدٍ ووصــيَّهُ فيما يقولُ ويفعلُ

شرفٌ خُصِصْتَ ◌َبهِ ومجدٌ باذخٌ مُتَمَكّنٌ فوق النجوم مُؤثلُ (٢)

ويسمي البحتري المتوكل في مقدمة إحدى مدائحه ناعتاً ممدوحه بموفق وميسر ومحبب ومؤمّل:

جَمَعْتَ أمورَ الدّينِ بعد تَزَيَ◌ُلِ بالقائمِ المستخْلَفِ " المتوكّلِ"

بموفَّقٍ للصّالحاتِ مُيَسَّرٍ ومُحَبَّبٍ في الصالحين مؤمّلِ

ويقول أيضاً في هذه المعاني:

عرّفْتَنَا سُنَنَ النبيِّ وهَدْيَهِ ، وقضيتَ فينا بالكتابِ المُنْزَلِ(٣)

فقد جعل الشاعر جماع أمور الدين على يد هذا الخليفة، فهو من طبّق نهج النبي وعرّف أمة محمد بسنته وما جاء به من هدى، فحكم الناس بما أنزل الله على رسوله الكريم وبذلك قضى أيامه بالعدل والمساواة .

١.**ديوان البحتري** ج٣ ،ص١٥٤٦ العمامة :عمامة الرسول ، تلاث : تعصب على الرأس ، العتق : الكرم ، النجابة : الشرف

٢.السابق ، ج٣ ص ١٦٠٠+١٦٠١ يتقيّل : يشبه ، الباذخ : الطويل المرتفع

٣.السابق ١٦٢٧/٣

ويستذكر البحتري فضل إحياء المتوكل للسنة الشريفة ويدعو له قائلا :

اسلَمْ – أمير المؤمنين – لسنّةٍ أَحييتها والنّاس حيرى ضُلَّلُ

ورعيّةٍ أحسنتَ رَعْيَ سَوامِهَا حتى غَدتْ والعدلُ فيها مهْمَلُ

اللهُ يشكرُ منك سعياً صادقاً في حفظها ثمّ النبيُّ المُرْسَلُ (١)

فيدعو الشاعر للمتوكل بسلامته وطول عمره ليبقى حافظا لسنة الله، مرشدا الناس إليها بعد ضلالهم زمناً طويلاً، فالمتوكل رعى الناس على نهج الرسول الكريم بعد أن كانوا بلا راعٍ. وقد أصبحوا اليوم ينعمون بالعدل والمساواة بعد أن كانوا يعيشون في ضلال وتخبط .

كما يظهر تبدل الحال وتغيره بمجيء المتوكل فالناس في ظل خلافته تتمتع بالهدى بعد أن كانوا في عمى وضلال، كما تبدّل حالهم من العدم إلى الغنى :

اسلمْ لدين " محمّدٍ" ! فإذا سَلِمْتَ فَقَدْ سَلِمْ

نلنا الهدى بعد العمى بكَ، والغِنَى بعد العَدَمْ (٢)

وتتسع دائرة المدح للخليفة المتوكل، فنرى البحتري يشمل في مدحه بني العباس جميعاً، ويخصّهم بثبات الخلافة وأحقيتهم بها ويذكر قرابتهم ونسبهم لرسول الله ، يقول :

وأنتم – بني العباس – عمِّ محمّدٍ ! يمينُ قريشٍ إذ سواكُم شِمَالُها

وقَدْ سرّني أنّ الخلافةَ فيكمُ مُخيّمةٌ ما إن يُخافُ انتقالُها

لكم إرثُها والحقُّ منها ، ولم يكنْ لغيركُمُ إلا اسمُها وانتحالُهَا(٣)

إن البحتري يعرّض بالعلويين الذين كانوا _فيما يقول _ يدّعون أن الخلافة حقّ لهم وهم ورثتها الشرعيون فيدحض دعواهم، فبنو العباس يمين قريش وسواهم أي العلويين شمالها، وهم ورثتها وسواهم ليس لهم منها إلا الاسم والانتحال الكاذب.

ويستذكر الشعراء ما فعله المتوكل من إحياء السنة وإبطال القول بخلق القرآن وسياسته مع أهل الذمة فيقول ابن الرومي في هجائه آل وهب مستذكراً أفعال المتوكل ومستنكرا أمرهم فقال:

وأحييتُمُ دينَ الصّليبِ وقمْتمُ بتشييد أعْمارٍ وهدْم مساجدِ

وإبطال ما كان الخليفةُ جعفرُ تخيَّرَهُ زِيّاً لكلِّ مُعاندِ (٤)

~~ديوان البحتري ٣/١٧٥٦~~-١٧٥٧ السوام :الإبل

١. السابق ،ج٣ ،١٩٩٩

٢. السابق ،ج٣/١٦٣١

٣. ابن الرومي،(أبو الحسن علي بن العباس)، **الديوان،** ١٩٧٤م تحقيق الدكتور حسين نصار ، مصر: مطبعة دار الكتب العلمية ، ٢/٧٦١

ب- ولاية العهد لأبنائه :

وفي سياسة جديدة تحمل التخلص من العنصر التركي، وتعزيز الدور العربي، وتقوية أواصره المتقطعة قام المتوكل بمبايعة أبنائه الثلاثة محاولاً تثبيت العرق العربي، واستئصال العرق التركي وسجّل الشعراء هذه البيعة بأساليبهم المختلفة مصورين في شعرهم مدى إعجابهم بهذا الرأي السديد الذي يقوي شوكتهم ويعززها .

وبإعلان المتوكل البيعة انكبّ الشعراء مادحين الخليفة، مؤرخين لهذا الحدث المهم، فيقول إبراهيم ابن المدبر(١):

يا بيعةً مِثْلَ بيعة الشّجره   فيها لكلِّ الخلائق الخِيَرَهْ
أكَدَّهَا جعفر و صيّرها   إلى بنيهِ الثلاثــة البرَرَهْ (١)

ويقول أبو الغصن الأعرابي(٢) مادحاً المتوكل وأبناءه، مباركا هذه البيعة في أرجوزة:

إن ولاةَ المسلمينَ الجِلّة   محــمدٌ ثم أبو عبدِ الله
ثمّتَ إبراهيم آبـي الذِّلهْ   بوركَ في بني خليفةِ الله (٣)

ويصور مروان بن أبي الجنوب أبناء المتوكل بالملائكة النورانيين وأصحاب الرشد والهدى ، فيقول :

ثلاثـــةُ أمـلاكٍ؛ فأمَّـا محمد   فنــورُ هُدىً يَهْدي به الله مَنْ يهدى
وأمـــا أبو عبـد الإلـه فإنه   شبيهك في التقْوى و يُجْدِي كما تجدى
وذو الفضلِ إبراهيم للنّاس عصمة   تَقِـــيٌّ وفيٌّ بالــوعيد و بالــوعد
فأولـــهم نـور، وثانيهمُ هدى،   و ثالثهـــم رشد، و كــلهم مَهْدِى(٤)

---

١. **المسعودي** ج٤ص ٨٧، وينظر ديوانه جمع يونس السامرائي ، **شعراء عباسيون** ص٣٧٩

٢.أبو الغصن الأعرابي: لم أجد له ترجمة

٣. **الطبري** ج٥ ص٣٠٧ احداث سنة ٢٣٥هـ

٤.المسعودي،**مروج الذهب** ج٤ /ص١٣٦

وتوالت أشعار الشعراء ومدائحهم الطويلة للمتوكل وأبنائه مهنئين ومباركين للخليفة بإعلان البيعة، فها هو ذا إبراهيم الصولي يبارك في ولاة العهد مشيداً بنصر الاسلام على أيديهم :

أضحتْ عُرَى الإسلام وهي منوطة بالنّصرِ و الإعزازِ و التأييدِ
بخليفةٍ من هاشـــمٍ و ثـلاثةٍ كنفوا الخلافة من ولاةِ عُهُودِ[١]

ويمضي إدريس بن أبي حفصة [٢] في هذا المضمار قائلا :

إن الخلافة مالها عن جــعفر نور الهدى و بنيه من تحويلِ
فإذا قضى منها الخليفةُ جعفر وَطَــراً ومَلَّ وليس بالمملولِ
فمحــمد بعد الخليفة جعفر للـنّـاس- لا فقدوه -خيرُ بديلِ
بقاء ملكك و انتظار محمـد خــير لنا ولهُ مِنَ التعجيلِ[٣]

وفي هذه المقطوعة إشارة إلى ولاية محمد المتوكل – ولي العهد- وكيف أن الخلافة ثابتة في بيت المتوكل لا تخرج .

و يصف علي بن الجهم المتوكل وأبناءه بأهل المكارم والهدى وأهل لصلاح دين الله وعزته ويشير إلى السبب من البيعة وولاية العهد للحد من سلطة الأتراك :

قُل للخليفةِ جعفرٍ ياذا النّـدى وابنَ الخلائفِ و الأئمّةِ والهُدى
لَمَّا أرَدْتَ صلاحَ دينِ مُحَمـّدٍ ولّـيْتَ عَـهْدَ المُسلمينَ مُحَمّدا
وثَنَيْـتَ بالمُعتَزِّ بَعْدَ مُحَمّدٍ وَجَعــلْتَ ثالِثَهُمْ أعَزّ مُؤَيَّدا[٤]

ونراه في موضع آخر يصور المتوكل بدراً تلألأ بالسماء، ويصـور أبنـاء المتوكل نجوماً زاهرة تلتف حول الخليفة :

كأنّه وولاةُ العَهْدِ تَتْبعُهُ بدرُ السَّماءِ تَلَتْهُ الأَنْجُمُ الزّهُرُ[٥]

---

١. **تاريخ الطبري**٥/٣٠٩-٣١٠، ينظر **الطرائف الأدبية** ص١٣١

٢. إدريس بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة أحد إخوة مروان بن أبي حفصة، كنيته أبو سليمان، **الموشح** ص٣٠٣

٣. **مروج الذهب** ج ٤ /١٣٧

٤. **ديوان ابن الجهم** ،٩٨ وينظر **مروج الذهب** ٨٧/٤

٥.السابق ١٢٢

ويقول في قصيدة أخرى مشيراً إلى أسماء ولاة العهد(المؤيد، والمعتز، والمنتصر) وموظفاً معاني هذه الأسماء؛ فهم تأييد للأمة وعز لها ونصر لحالها:

وليّ عهود المسلمين ثلاثةً   يحيّون بالتأييد و العز و النصر[١]

ويشيد البحتري بهذه البيعة، ويصف عزة المسلمين بها وروافد خيرها على الناس جميعاً فيقول:

أعْـزَزْتَ أمـةَ أحْمَدٍ   بالفاضلـينَ وُلاةِ عَـهْدِكْ

فَـــهُمُ جميعاً يَحْمَدُو   نَ، ويشكُرُونَ جميلَ رِفْدِكْ

مُتَـــمَسِّكينَ بِبَيـعَةٍ   أحْكَمْتَهـــا بوثيقِ عَقْدِك

فاسْلَـــمْ لهم ولسؤدَدٍ   أصْبَحْتَ فيه نسيجَ وَحْدِكْ ![٢]

يهنئ الشاعر الخليفة المتوكل ببيعة أولاده الخلافة، ويصور المتوكل بشعاع النور الذي أضاء الدنيا وجعله الساري منارة له يهتدي به طريقه، ويشير إلى كلام الحساد والوشاة، وخلاصة هذه البيعة المباركة داعياً له بالعزة والنصر والبقاء والتأييد ، فيقول :

حاطَ الرَعيّةَ حين ناطَ أمُورها   بثـلاثةٍ بَكَرُوا ولاةَ عُهُـودِ

قُـدّامَهُمْ نُورُ النّبيّ وخَلْفَهُمْ   هـَدْيُ الإمامِ القائمِ المحمودِ

لن يجهلَ السّاري المَحَجَّة بعدما   رُفعت لنا منهم بُدورُ سُعودِ

كانوا أحقّ بعَقْدِ بيعتها ضـحىً   وبنظـمِ لؤلؤ تاجِها المَعْقُودِ

عـــرفوا بسيماها فليس لِمُدَّعٍ   من غيْرِهِمْ فيها سِوَى الجُلْمودِ

فَنِيَــتْ أحاديثُ النُّفوس بذكرِها   وأفــاقَ كُلُّ منافسٍ وحَسودِ[٣]

وغدت أيام المتوكل صورة زاهية يتغنى بها الشعراء و يتذكرون أيامها و محاسنها فذكرت أيامه عندما مدح الشعراء ولاة عهده (أولاده)، وفي ذلك يقول محمود بن مروان بن أبي الجنوب:

---

١. **ديوان ابن الجهم** ٢٥٦

٢. **ديوان البحتري** ٧٠٦/٢

٣.السابق ٧٠١/٢، نسيج وحدك:لا مثيل لك، لا نظير لك، ناط: علق، الساري: المسافر، المحجة: الطريق، ينظر حاشية الديولن.

أعـادَ إلينا الفضل أيامَ جعفرٍ وأحيا لنا بالعدلِ و الجودِ جعفرا

إمــامٌ له في كلِّ قلب محبّة كـوالدهِ قولاً و فعلاً و منظرا

ظـفرتَ بحقٍ طالما قد ظُلمته ومن كان ينبغي ذاك أمس مُظفرّا [١]

فالشاعر يصور ازدهاء أيام المتوكل وبهاءها به، وببيعته العهد لأولاده أعاد محاسن الأيام .

ويقول الشاعر المعروف بالسُّلمى[٢] ببيعة المتوكل لابنائه:

لقد شدّ ركن الدين بالبيعة الرضا وطائر سعد جعفر بن محمد

بمنـــتصر بالله أثـبت ركنه وأكَّدَ بالمــعتز قبل المؤيد [٣]

ويلاحظ أن النفاق والمجاملة قد غطت على أعين الشعراء من إبصار الحقيقة المؤكدة من أن مثل هذا الحدث سينقلب خطراً على الدولة، وعلى وحدة الصف ، فتغنى الشعراء بهذا الحدث الذي سيحيي العدل ويحق الموازين.

---

١. المرزباني ،**معجم الشعراء** ، ص٤٩٣ .

٢. لم أجد له ترجمة

٣. **مروج الذهب** ١٣٦/٤

ج – صورة المتوكل في الشعر وبعض ملامح سياسته:

مدح الشعراء المتوكل بمعان مختلفة، فتحدثوا عن صفاته الخُلقية وما يتحلى به من شجاعة وثبات وسداد في الرأي ورجاحة في العقل وغير ذلك من المعاني التي تخبر عن هذا الخليفة العادل .

ومن ذلك ما مدحه به البحتري الخليفة المتوكل فجعله من أفضل خلفاء بني العباس وأشرفهم رأيا وعزما، فهو إمام العباسيين جميعهم بما يتحلى به من صفات :

وما الخَُلَفاءُ ولو جاروكَ يَوْماً   بِمُعتَلـِقِيكَ رَأياً واَعتِزَاماَ
ألسـت أعمّهم جوداً، وأَزْكَا   هُمُ عُوداً! وأمضاهُمْ حُسَاما؟
ولو جُـمِعَ الأئـمَّةُ في مَقَامٍ   تكـونُ به لَكُنْتَ لهمْ إمامَا (١)

ويبالغ البحتري في إحدى مدائحه للمتوكل إذ يصفه ببحر يرغب الناس بوصله، وفضّله على سائر الناس هدىً وتقىً:

إمـــامٌ رآهُ اللهُ أولى عـبادِهِ   بـحقٍّ، وأهداهُمْ لِقَصْـدِ سَبيلِهِ
خليفتهُ في أرَضْهِ ووليُّهُ الـ   ـرَّضِـيُّ لَدَيْهِ، وابن عَـمِّ رَسُولِهِ
وبحرٌ يَمُدُّ الرّاغِبُونَ عيونَهُـمْ   إلى ظِاهر المَعْرُوفِ فيهم جَزِيلِهِ
تَرى الأرضَ تُسْقَى غيثَها بمُرُورِهِ   عَـلَيْهَا، وتُكْسَى نَبْتَها بنزوُلِهِ(٢)

ويمدح البحتري المتوكل مبيناً كرمه وعطاءه المدرار فهو صاحب الفضائل والنعم، زين بني العباس وجوادهم :

علينا _ بحمداللهِ _ لله نـعمَةٌ   تروحُ وتَغْدُو من يدِ "المتوكّلِ"
إذا نَحْنُ جدّدْنا له الشكْرَ جدّدتْ   له نعمٌ أخرىْ ببــذلٍ مُعَجّلِ
وإن نَحْنُ عُدْنَا عاودَتْنَا سمـاؤهُ   بأحمدَ من جَدْواهُ أوّلَ أوّلِ
فأقْسِمُ ما ينفكُّ بالفَضْلِ عـائداً   عَلَيْنَا،ولا ننفكُّ من فَضْلِ مُفْضِلِ
جوادُ بني العبّاسِ قد تَعْلَمُونَهُ   وزين بني العبّاسِ في كلِّ مَحْفِلِ(٣)

---

١. **ديوان البحتري** ٢٠١٠/٣
٢. السابق، ج٣، ص١٦٣٤
٣. السابق ، ١٩٢٣/٣

ويمدح البحتري المتوكل مدحا يتضمن معاني تقليدية حيث يشيد بطبائعه وسجاياه ويمدح كرمه وشجاعته وإصراره على الحق فيقول :

لعمرُ أميرِ المؤمنينَ لقَدْ كَـفَى ... نـوائبَ دَهْـر، مِثْلهُ (مِثْلَها) يَكْفي

غدا وهو كَهْفُ المسلمين ورِدْءُهُمْ؛ ... فأكْرِمْ به من رِدْءِ قَوْمٍ ومن كَهْفِ!

كريمُ السَّجَايا، وافرُ الجُودِ والنّدى ... فلا ناقِصُ النُّعْمَـى، ولا جامِدُ الكفِّ

يحنُّ إلى المعروفِ حتّى يُنِيلَهُ ... كـما حنَّ إلـفٌ مُسْتَـهَامٌ إلى إلْفِ

وَيقْلَقُ حتى يُنْجِزَ الوعْدَ مثل ما ... يُجَافي الّذي يمشي على رَمَضِ الرَّضْفِ(١)

فهو يصف أمير المؤمنين يأنه حامي المسلمين وديارهم يذود عنهم نوائب الدهر ومصائبه كأنه كهف يحميهم ويعينهم، كما أنه كريم الطباع جواد دون إسراف، ينجز الوعد ولا يخلفه، ويسارع به كأنه يسير على الحجارة المحماة، فهو بذلك يشير إلى الإسراع في إنجاز الوعد، ويتابع مدحه عاجزاً عن وصف أخلاقه فلا يستطيع أحد أن يحصيها ويعدّها

متى ما أصفْ أخلاقَكَ الغُرّ تَعْتَرِضْ ... غرائبُ أفْعَالٍ تَزِيدُ على الوَصْفِ(٢)

ويمدح البحتري المتوكل في إحدى قصائده واصفاً حال الرعية بخلافته، فهم ينعمون بالعدل والخيرات والحياة الهانئة القائمة على شريعة الله وسنة رسوله إذ ابتعد عن ضَلال المعتزلة وعماهم:

ملكٌ بدا وجبـيـنُهُ ... شمْسُ الضُّحى، بَدْرُ الظُّلَمْ

قل للخليفةِ جَعْفَرِ الـ ... مُتَوَكِّـلِ بن المُعْتَصِمْ

المرتضى ابن المُجْتَبَى ... والمُنْعِمِ ابن المُنْـتقِمِ

أمّا الرّعيّةُ فهـي منْ ... أمَنَاتِ عَـدْلِكَ في حَرَمْ

نعمٌ عليها في بَـقَا ... ئك، فَلْتَـتِمّ لها النّعمْ!

يا بانيَ المَجْدِ الّـذي ... قد كـان قُوِّضَ فانْهَدَمْ (٣)

---

١. **ديوان البحتري** ١٣٦٩/٣+١٣٧٠، الردء: الناصر، العون، الرضف: الحجر المحماة.

٢.السابق ، الصفحة نفسها.

٣. السابق ،١٩٩٩/٣، المجتبى: المختار

ويصف اهتمام الخليفة بالرعية وأحوالهم ومفارقته للنوم ساهراً لراحتهم وحمايتهم :

لم تَكْرَعن قاصي الرّعِيَّة عَيْنُهُ   فَينامَ عن وِتْرِ القريبِ الدَّاني[١]

فالمتوكل هو باني المجد، يسهر على راحة شعبه وسلامة عيشه ، وبه نال هذا الشعب الهدى والنعم بعد أن كانوا في حال بائسة في عهد من سبقه من خلفاء الاعتزال .

ويقول البحتري في مدح المتوكل ذاكراً عدله وكرمه مؤكدا حقه بخلافة الناس هو وبنيه راسماً تلك المعاني بجمال العبارة ورشاقة الكلمة ولطافة الصورة، إذ جعل من يدي الخليفة ضرتين كل واحدة تغار من الأخرى دلالة على كرمه وجوده فما تأتِ به يده اليمنى تأتِ اليسرى:

"بسُرَّ مَنْ را" لنا إمامٌ   تَغْرِفُ من بَحْرِهِ البِحَارُ

خليفةٌ يُرتَجَى ويُخْشَى   كأنّهُ جَنّةٌ ونــــارُ

كلتا يَدَيْهِ تَفيضُ سَحّاً   كأنّها ضَرّةٌ تَغَـــارُ

فليس تأتي اليمينُ شيئاً   إلاّ أتَتْ مثلها اليَسَارُ

فالمُلكُ فيهِ وفي بنيهِ   ما بقيَ اللّيلُ والنّهارُ[٢]

ويقول في مدحية أخرى يتآلف فيها التناغم الموسيقي وترق فيها الألفاظ وتنساب عذبة طلقة تلذ السامعين :

قلْ للخليفةِ "جَـعْفَرٍ":   أعْـيَا الرّجال مَكَانُ ندِّكْ!

أيُّ امْرىءٍ يَسمْو سُمـ   ـوّكَ، أو يجيءُ بِمثْلِ مَجْدِكْ؟

وعُلا قُصَيّكَ أو قُرَ يْـ   ـشِكَ أو نِزَارِكَ أو مَـعَدّكْ؟

باعٌ تـُمَدُّ به النُّبُـوّ   ة والــــخلافةُ قَبْلَ مَدّكْ[٣]

يتحدث البحتري عن مجد هذا الخليفة وكرم أصله، ويشير إلى نسب العباسيين الذي يمتد ليصل إلى الرسول الكريم، وبطون كرام قبائل العرب (قصي_ قريش، نزار، معد)

وَرَعَيْتَنَا فأريَـــتْنا   سَنَنَ الرَّشادِ بِحُسْنِ قَصْدِكْ

حَسُنَتْ لنا الدُّنيا بحَمْـ   ـدِ الله رَبكَ ثم حَمْدِكْ[٤]

---

١. **ديوان البحتري** ٢٢٥٣/٤الكرى: النوم، الوتر: الثأر.

٢. السابق ١٠١٣/٢-١٠١٤، الضرة: الزوجة الثانية.

٣. السابق ، ٧٠٥/٢-٧٠٦، أعيا : عجز، ندك: كرمك، الباع: أداة للقياس وعبّر به عن الشرف والفضل والكرم

٤. السابق٧٠٦/٢

ويمدح خلافته الرشيدة فهو راعى أمته على طريق الرشاد والهدى فبه حلت النعم ووجب الشكر لله وللخليفة المعطاء.

ونرى البحتري يمدح المتوكل في غير قصيدة يشيد بسماحته وكرمه وجوده مستمداً من معاني القدامى وصورهم مضيفاً إليها أناقة الرياض فأضفى ذلك على القصيدة بعداً موسيقياً وعذوبة في اللفظ، حيث يقول :

. أكرمُ النَّاس شِيمةً، وأتمُّ النـَّ ـاسِ خَلْقاً وأكثرُ النَّاسِ رِفْدَا

مَلِكٌ حَصَّنتْ عَزِيمتُهُ المُلْـ ـكَ فأضْـحَتْ لـهُ مُعَاناً ورِدّا

أظْهَرَ العَدْل فاسْتَنَارَتْ به الأرْ ضُ، وعَمَّ البِلادَ غَوْرَاً ونَجْدا

وحَكَى القَطْرَ، بل أبَرَّ على القطْـ ـرِ بكفٍّ على البَرِيّةِ تَـنَدى

هو بَحْرُ السَّمَاحِ والجُودِ فازْدَدْ منـه قرْباً تزدَدْ من الفَقْرِ بُعْدَا

يا ثِمَالَ الدُّنيا عَطاءً وبـَـذْلاً وجَمَالَ الدُّنيا سَنَاءً ومَجْدَا

وشَبِيهَ "النّبيِّ" خَلْقاً و خُـلُقاً ونسيب "النبيّ" جَدّاً فَجَدَّا

بك نَسْتعِتبُ اللّيالي، ونَسْتَعْـ ـدِي على دهْرِنا المُسِيءِ فَنُعْدَى [1]

فهو في هذه المدحية يشيد بكرم المتوكل وطيب أخلاقه وعدالته التي ملأت الأرض، وهو الملجأ في الضراء والشدائد، وبه يُستعان على نوائب الدهر، وأظهر الشاعر هذه المعاني بفيض من الألوان البديعية الطريفة كالتقسيم في البيت الأول، والطباق في البيت الثالث، والجناس في البيت السابع وأدت هذه الألوان إلى أبراز المعنى بشكل أوضح، وأفتراق الممدوح عمن سواه من البشر.

ولم يقتصر مدح المتوكل على شكله التقليدي العام بإلباس الممدوح صفات الشجاعة و البطولة و تجاوز ذلك كله، وأخذ الشعراء يشيدون به حامياً للدين ومحيياً السنة الكريمة، ويتعدى ذلك بإقرانه بنسب الرسول وأبنائه وتراثه وغير ذلك فيقول مروان بن أبي الجنوب:

مــلك الخليفة جعفر للديـن والدنيا سلامهْ

لكــم تراث محمدٍ وبِعَدْ لِكم تُنفى الظلامه [2]

---

١. **ديوان البحتري** ٧١٢/٢-٧١٣، الرد: العماد الذي يدفع ويرد، الغور: ما انحدر من الأرض وأطمأن، النجد: ماأشرف من الأرض، القطر: المطر، أبرّ: زاد، الثمال: الملجأ، نستعتب: نطلب العنبر من الأرض، نستعدي:نستعين.

٢. **تاريخ الطبري** ٣٣٩/٥ ، ينظر **الكامل في التاريخ** ٥٦٩/٥

وفي هذا المعنى يمدح أبو بكر بن الخبازه المتوكل، فيشيد ويفتخر بنسبه لرسول الله ، ونسب أبناء بني العباس جميعا، واصفاً إياه مقيما للحق والدين ، وقاهراً للفتن والكفر :

خلـيفةُ ربّي و ابن عمِّ نَبيّه و خيُر بني العباسِ مَنْ مِنْهُم ولى
وجامعُ شملَ الدينِ بعد َتشتتٍ وفـارى رؤوسَ المارقين بُمنْصُلِ

ويدعو له بطول العمر منصوراً وناصراً لدين الله ونبيه و يجاوره في الجنات العلا:

أطال لنا رب العباد بقاءه سليماً من الأهوال غير مبدل
وبوأه بالنصر للدين جنة يجاور في روضتها خير مرسل(١)

واستغل الشعراء المناسبات المختلفة لمدح المتوكل، فشاركوا الشعراء خليفتهم في سرائه وضرائه، ومدحوه بالمناسبات المختلفة والأعياد، وشاركوه في مرضه والآمه فهذا إبراهيم بن المدبر يقول في مرض المتوكل ووهن جسده مادحاً إيّاه في قصيدة يشيع فيها طابع الحزن والألم، لمرض المتوكل وفيها يكشف عن مدى محبة الناس للمتوكل وبيان أسباب هذا الحب :

يَومٌ أتــانَا بالسُّرُورِ فالحَــمْدُلِلّهِ الكَـبِيرِ
أخْـلَصْتُ فيهِ شُكْرَهُ وَوَفَيْــتُ فِيهِ بالنُّـذُورِ
لمَّا اعْتَلَلْـت تَصَدَّعَتْ شُعَبُ القُلُوبِ من الصُّدُورِ
مِنْ بَيْنِ مُلْـتَهِبِ الفُؤا دِ، وَ بَيْنِ مُكْتَئِبِ الضَّمِيرِ
يا عُدّتي لِلدّين والدُّنْيـ ـا و لِلْخَـطْبِ الخَطِير
كَانَتْ جُفُوني ثَرَّةَ الــ آماق بالــدّمْعِ الغَزِيرِ
لَوْ لَمْ أَمُتْ جَزَعاً لعَمْـ ـرُكَ إنني عَيْنُ الصَّبُورِ
يَومِي هنالك كالسِّنيــ ـنَ وَ ساعتي مِثْلُ الشُّهُورِ
يا جَعْفُر المُتَوكِّلُ الــ ـعالي على البَدْرِ المُنِيرِ(٢)

فالمتوكل رائد خلفاء بني العباس أجودهم وأزكاهم رائحة وأطيبهم عوداً، وأصلبهم عزيمة؛ فهو إمام الخلفاء جميعاً ، ويصور الشاعر حال الدنيا بعلته ومرضه، فالكل عليل مريض باكٍ يستطيل الأيام والشهور والسنين، وهو البدر المنير المشرق جمالاً وحسناً .

---

١. السيوطي **تاريخ الخلفاء** ، ٢١٩-٢٢٠

٢. يونس السامرائي ، **شعراء عباسيون** ،ص ٣٦٩ -٣٦٩، ينظر الخاقاني،**شعراء بغداد**، ج١، ص٨٣، تصدّعت: اختلت، شعب القلوب: شعب الصدور، مجاري التنفس في الرئتين، الخَطب: الأمر الشديد والصعب، الآماق: جمع مأق، طرف العين مما يلي الأنف وهو مجرى الدمع، ينظر حاشية الديوان.

ويمدح البحتري المتوكل (ويهنئه بإدراك المعتز)، موظفاً عناصر الطبيعة، فقال مخاطباً الغيم المبرق المرعد المعطاء، أن المتوكل لا أحد في عطائه حتى الغيم المدرار، وبهذا الكرم والعطاء حاكى أفعال آبائه وشابه أعمال جدوده:

قد قُلْتُ للغَيْمِ الرُّكامِ وَلَجَّ في   إبراقِهِ، وألَـحَّ في إرْعادِهِ
لا تَعْرِضَنَّ "لجعفرٍ" مُتَشَبهاً   بِنَدَى يَدَيْهِ فَلَسْتَ من أنْدَاده!
اللهُ شَرَّفهُ، وأعلى ذِكْرَهُ،   ورآهُ غَيْثَ عِـبَادِهِ وبلادِهِ
مَلِكٌ حَكَى الخُلَفَاءَ من آبائِه   وتَقَيَّلَ العُظَمَاءَ من أجْدادِهِ

ويتابع إلى قوله:

تْهنِيك في"المعتز" بُشْرَى بَيَّنتْ   فـينا فضيلةَ هَدْيِهِ وَرشَادِهِ
قد أدرك الحُلُمَ الذي أبْدَى لنا   عن حِلْمِهِ وَوَقارِه وسَـدَادِهِ
ومُبارَكٌ ميلادُ مُلْكِكَ مُخْـبِرٌ   بقريبِ عَهْدٍ كان من مـيلادِهِ
تمّت لك النَّعَماءُ فيهِ مُمّتَعـاً   بعُلو همّتهِ وَوَرْى زِنَـادِهِ
وبقيت حتى تستضـيءَ بِرَأيهِ   وترى الكُهولَ الشّيبَ من أولادِه(١)

فيهنىء البحتري المتوكل بإدراك المعتز وتجاوز مرحلة الصبا إلى الشباب، فهو يسير على طريق الهدى والرشاد، ويختتم تهنئته بالدعاء للمتوكل بطول العمر حتى يرى أحفاده من المعتز.
وينظم البحتري مدحية للمتوكل يحمد الله ويشكره على منّه وعفوه بأن الحريق الذي وقع في قصر ولي العهد المعتز لم يتسبب بأذى لأحد:

مَنٌّ مِنَ الله مَشْكُـورٌ وإحْسَانُ   ونِـعْمةٌ كُفْرُهَـا ظُلْمٌ وعُدْوَانُ
بالقَصْرِ، لا بِمَلِيكِ القَصرِ، نازِلةٌ   أضْحَى لها وهو طَلْقٌ الوَجْهِ جَذَلانُ

ويصرح بالحريق الذي نشب بالقصر:

ماكان قَدْرُ حَرِيقٍ أن نَبِيتَ لَهُ   وكلُّنا قَلِقُ الأحْشَاءِ حَرَّانُ

---

١. **ديوان البحتري** ٧٠٣/٢ -٧٠٤، الركام: المتراكم من السحاب، تقيّل: شابه، ورى الزناد: خروج ناره، وهو كناية عن تجاوز المعتز مرحلة الصبا إلى حرارة الشباب. ينظر حاشية الديوان

ويوثق هذه الحادثة بأن الحريق كان بقصر ولي العهد (المعتز):

لا تَنْتَقِصْ لوليِّ العَهْدِ أُبَّهَةٌ ولا يَكُنْ منه للأَيَّام إذْعَانُ

ويعتبر الحريق نوراً وسلطاناً:

تفاءَلَ النَّاسُ واشْتَدّتَ ظُنُونُهُمُ؛ والفَأْلُ فيهِ لِبَعْضِ الأمْرِ تِبْيَانُ

وأيْقَنُوا أنّ تَنْويرَ الحَريقِ هُو الـ دُنيا يُمَلَّكُها، والنّار سُلْطانُ![1]

يقول البحتري مهنئاً المتوكل بسلامة الفتح بن خاقان من الغرق:

لَتَهنئ أميرَ المؤمنين عطيّةٌ من الله يَـزْكُو نَيْلُها وَيطيبُ!

يدُ اللهِ في "فَتْحٍ" إلَيْكَ جميلةٌ، وإنعـامُهُ فيه عليك عجيبُ

ولِيُّكَ دونَ الأولياءِ مَحَبَّةً ومَوْلاك؛ والمَوْلَى الصريحُ نَسِيبُ[2]

ويستغل البحتري فرصة حلول عيد الفطر ليصف المتوكل خارجاً يومه ويهنئه بهذه المناسبة :

بالبرِّ صُمْتَ ، وأنتَ أفْضَلُ صائمٍ؛ وبِسُنَّةِ اللهِ الرَّضِيّةِ تُفْطِـرُ

فانْعَمْ بيَوْمِ الفِطْرِ عـيداً! إنّهُ يومٌ أغرُّ، من الزَّمَانِ، مُشَهَّر[3]

ويشارك البحتري المتوكل في مصيبته عند وفاة والدته ويعزيه ويسلي عن نفسه هذا المصاب الجلل فيقول في لامية يستجمع فيها معاني الحزن :

سيِّدَةُ النَّاسِ حقّاً بَعْدَ سَيدِهِمْ ومن لها المأثُرَاتُ السُّبّقُ الأُوَلُ

جَرَى لَها قَدَرٌ حَتْمٌ، فحَلَّ بها مَكْرُوهُهُ، وقَضَاءٌ مُوشِكٌ عَجِلُ

فَكُلُّ عَيْنٍ لها من عبْرَةٍ دِرَرٌ وكلُّ قَلْبٍ لهُ مِنْ حَسْرَةٍ شُغُلُ

عَمَّ البُكَاءُ عَلَيْهَا والمُصَابُ بها كما يَعُمُّ سَحَابُ الدِّيمَةِ الهَطِلُ

فالشَّرْقُ والغَرْبُ مَغْمُورانِ من أَسَفٍ باقٍ لفقْدَانِها، والسَّهلُ والجَبَلُ[4]

---

١. **ديوان البحتري** ٤/ ٢٢٥٦+٢٢٥٧، المن: الإنعام والإحسان، جذلان: فرحان

٢. السابق ٢٠٣/١

٣. السابق ١٠٧١/٢ أغر مشهّر: معروف وظاهر.

٤. السابق ١٨٨٧/٣,١٨٨٨، السيدة: إشارة إلى لقب والدة المتوكل، الدرر: كثرة الدمع وسيلانه، الديمة: مطر يدوم في سكون بلا رعد ولا برق، ينظر حاشية القصيدة .

فهو يرثي سيدة الناس الأولى وقلبه يعتصر ألماً على فراقها فيبكيها بدمعه المدرار كأنه الغيم الهاطل، ويصور حال الدنيا وحزنها لفراقها شرقاً وغرباً وسهلاً وجبلاً .

ويشارك جعفر بن عبد الواحد الهاشمي [١]النظم في هذه الحادثة فيقول :

تذكرتُ لمّا فَرَّقَ الدّهْر بيننا   فعــزيتُ نَفْسِي بالنبيّ مُحَمّدِ

وقلتُ لها إن المنايا سبيلنا   فمن لم يَمُتْ في يَوْمِهِ ماتَ في غِد[٢]

ويرثي المتوكل والدته مسلّياً نفسه ومعزّياً بوفاة والدته فيقول في شعر من أنشائه:

إن وجدت ألوم حقاً   فوق وجدِ العالمينا

رَحِمَ الله عَجُوزاً   تركتْ شخصاً حزيناً [٣]

لم يكن المتوكل بالخليفة الخانع الضعيف المستسلم بل بقيّ يحاول الفكاك من قيود الأتراك وأغلالهم، فجاءت ولاية العهد محاولة تتبعها محاولة أخرى تسعى لاستقرار العرق العربي، وايقاف تفشي العنصر التركي ونفوذهم في الولايات العباسية ، فضاق به الأمر وهو يشهد الأتراك يصولون ويجولون في الدولة ويحكمون ويأمرون ويصلون ويبترون، فقرر سنة ٢٤٣هـ الرحيل إلى دمشق بالشام و نقل الخلافة إليها.

وسجّل الشعراء هذا الحدث السياسي العظيم، وفي ذلك يقول يزيد بن محمد المهلبي[٤]، عندما خرج المتوكل من العراق الى الشام:

---

١. جعفر بن عبد الواحد بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب تولى القضاء بسر من رأى سنة٢٤٠هـ ، **تارخ بغداد** ١٧٣/٧،دار الفكر.

٢. السيوطي، **تاريخ الخلفاء**، ص٢٢٣ ، ونُسِبَ للمتوكل في كتاب **شعراء بغداد** من تأسيسها حتى اليوم، علي الخاقاني، مطبعة أسعد، بغداد، منشورات دار البيان، ١٩٦٢، ج٢ ،ص٣٤٥

٣. الخاقاني ، **شعراء بغداد**، ج٢ ، ص٣٤٥، الوجد: الحزن

٤. يزيد بن محمد بن الملهب بن المغيرة بن حرب بن محمد بن الملهب بن المغيرة، كنيته أبو خالد ولقبه المهلبي.وكان من المقربين إلى المتوكل ومن ندمائه وملازميه **تاريخ بغداد** ٣٤٨/١٤

أظن الشام تشمت بالعراق　　إذا عزم الإمام على انطلاق

يقولُ(محمد) تفديك نفسي　　أما تُبقي عليّ من الفراق

فإن تدع العراق و ساكنيها　　فقد تبّلى المليحة بالطّلاق [1]

ويذكر البحتري خروج المتوكل إلى دمشق، مفضلا هذه الرحلة، فهو يرى أن أرض الشام تجلب للخليفة الراحة والسعادة واللهو بدلاً من أرض العراق التي أضحت سكنا للنكد والفساد، حيث يقول مادحا المتوكل :

قَدْ رَحَلْنــا عن الـعِرَا　　قِ وعـن قَـيْظِها النَّكِدْ

حَـبَّذَا العيشُ في دِمَشْـ　　ـقَ إذا لَيْلُـها بــردا!

حيـثُ يُسْتَقْبَلُ الزَّمَـا　　نُ ،ويُسْتَحْسَنُ البَلَد [2]

ويمدح البحتري المتوكل في قصيدة أخرى عند قدومه دمشق حيث إقامته في قرية "داريّـا، واصفاً دمشق وطبيعتها الخلّابة التي تسعد الناظرين بجبالها وأوديتها ونباتها، مشيدًا بكرمه وعطائه الذي لا ينضب داعياً له بدوام النعم عليه :

العَيْـشُ في لَيْلَ دَارَيّا إذا بَـرَدَا　　والـرَّاح نَمْزُجُها بالماءِ من بَرَدَى

قُـلْ للإمام الذي عَمَّتْ فَواضِلُهُ　　شَرْقاً وغَرْباً فما نُحْصِـي لها عَدَدَا

اللهُ ولّاك عــن عِلْمٍ خِلافَتَـهُ　　واللهُ أعطـاكَ مـا لم يُعْطِـهِ أحَدَا

وما بَعَثْـتَ عِتَاقَ الخيلِ في سَفَرٍ　　إلا تَعـرّفْتَ فيه اليُمْـنَ والرَّشَـدَا

أما دِمَشْـقُ فقد أبـدتْ مَحاسِنَها　　وقـد وَفى لك مُطْـرِيها بـما وَعَدا

إذا أرَدْتَ مـلأتَ العَيْنَ من بَلَد　　مُسْتَحْسَـنٍ، وزمَــان يُشْبِـهُ البلَدَا

يُمسي السَّحَابُ على أجبالِها فِرَقاً　　ويُصْبِـحُ النَّبْتُ في صَحْـرَائها بَدَدا [3]

---

١. **مروج الذهب** ٤ /١١٥ ، **الطبري** ٣٢٦/٥ ، **المنتظم** ٥٠٣/٦ ، **تاريخ الخلفاء** ص٢٢١ ، النكد: القليل النفع

٢. **ديوان البحتري** ٧٠٨/٢ ، داريا:أسم منطقة بغوطة دمشق، بردى: نهر دمشق

٣. السابق ٧٠٩/٢- ٧١٠ العتاق جمع عقيق أي فرس رائع، ينظر حاشية الديوان

وفـي قصـيدة أخـرى نجـد البحتـري يمـدح المتوكـل ذاكـرًا وقـت دخولـه دمشـق سـنة ٢٤٤هــ، مستذكرا ًأرض العراق وطيبها، موازناً بين حال العراق وما حلّ بها من الخراب والعبث علـى يد الأتراك وحال دمشق التي تنعم بالرخاء والترف ، واصفا حياة الاستجمام والراحـة والطبيعـة فيهـا ،وما زاده المتوكل من البهجة والحسن والسرور بقدومه إليها :

فَلَمْ أَرَ مِثْلَ " الشَّامِ " دارَ إقامــةٍ ... لِرَاحٍ تُغادِيـها وكأسٍ تُدِيرُهَا

مَصَحَّةُ أبـدانٍ ، ونُزْهَـةُ أعْيُنٍ ... ولَهْو نُفُوسٍ دائمٌ وسُـرورُها[١]

ويمـدح البحتـري المتوكـل فـي قصـيدة جديـدة مهنئـاً دمشـق وأهلهـا بوفادتـه علـيهم ، واصـفاً كـرم المتوكل وجوده بمداد البحر واتساعه ،فيقول :

هنيئاً لأهْلِ الشَّامِ ،أنّكَ سـائرٌ ... إليهـمْ مَسِيرَ القَطْرِ يِتْبِعُهُ القَطْرُ

تفيضُ كما فَاضَ الغَمَامُ عَلَيْهِمِ ... وتَطْلُـعُ فيهمْ مِثلما يَطْلُـعُ البَدْرُ

ولن يَعْدَمُوا حُسْناً إذا كُنْتَ فيهِمِ ... وكانَ لَهُم جارينَ : جُودُك والبَحْرُ[٢]

ويكسو البحتري المتوكل ثوباً موشّى بالربيع ورياضه ، ذاكراً خروجه إلى دمشق :

فَمتى تُخَيِّمْ بالشّـآم فَيَكْتَسِـي ... بلدي نَبَاتا من نَدَاك المُسْبِلِ

سَفَرٌ جَلَوْتَ به العُيونَ فأبْصَرَتْ ... وفَرَّجْتَ ضِيقَةَ كُلِّ قَلْبٍ مُقْفَلِ [٣]

لكنّ المتوكل لم يهنأ بنقل الخلافة إلـى دمشـق، فقد تغلغـل العنصـر التركـي فـي إدارة الدولـة، حيث عـاد إلـى العراق بعـد الضـغوطات الشـديدة التـي عاناهـا مـن الأتـراك. ويسـجل الشـعر انصـراف المتوكل عن دمشق وعودته إلى أرض العراق، من ذلك ما صوره البحتري فـي إحدى مدائحـه، إذ جعل من بغداد فتاة حسناء ترتدي أحسن زيها استقبالا للخليفة؛ فالخليفة عـاد مشـتاقاً إلـى بلـده وإلـى ما شيّد من عمران وحضـارة، فصور صحن قصره الجعفري إنسانا يردّ العاشقين إليه :

وقَدْ لَبِسَتْ بغدادُ أحْسَنَ زِيِّها ... لإقْبَـالِهِ ،واسْتَشْـرَفـتْ لِعُـدُولـهِ

---

١. **ديوان البحتري** ،٩٤٣/٢

٢. نفسه ٢/ ٩٩٢

٣. نفسه ١٦٢٨/٣

وَيَثْنيهِ عنـها شَوقُهُ ونِزَاعُهُ إلى عَرْض ِ صَحْنِ الجعفريّ وطُولِه[١]

ويدعو البحتري في مدحية أخرى على دمشق مصوراً زهد الخليفة بها وبأهلها :

فلا سُقِيت غيثاً "دِمَشْقُ" ولا غَدَتْ عليها غَوادِي مُزْنَةٍ لِعَـهادِها

وقد سَرّني أنّ الخليفةَ " جَعْفَراً " غدا زاهِداً في أهْلِها وبـلادِها

إمامٌ إذا أمْضى الأمورَ تتابَعَتْ على سَنَنٍ من قَصْدِها وسَدَادِها[٢]

١ـ**ديوان البحتري** ٣/١٦٣٤

٢ـنفسه ٢/ ٧١٥، النزاع: الاشتياق، الذهاب اليه، صحن الدار: ساحتها، العهاد: أول مطر موسمي.

د- مدح رجال الدولة :

انكب الشعراء يمدحون رجال دولة المتوكل، الذين شهدوا مجالسه، وتسلموا إدارة دولته، ومن ذلك ما نظمه عدد من الشعراء في مدح وزير المتوكل الفتح بن خاقان، فيقول أحمد بن أبي فنن[١] : تَرَاهُ على العّلاتِ يَهْتَزُ للنّــدى كما اهْتَز مصقولٌ مَضَارِبُهُ عَضْبُ[٢]

ويعد الشاعر الفتح بن خافان أنموذجا للإنسان الأمثل المتكامل، فيشيد بحزم رأيه وكرمه وصرامته، فيقول:

ألا رُبَّ مكروهٍ أُجيــبَ دعاؤهُ وذي أودٍ قوّمْتَــهُ فتقوّمـا
ومُستسلمٍ للحـادثـات مَـنعتَـهُ بحزمِكَ أن يُغْتَالَ أو يَتهضَّـما
أبى لك حَزمُ الرأي إلا صـرامـةً و بـذلك للمعروف إلا تكرُّمـا
خلائق غُرٌ قـد بسطت ببذلها لسان الذي يثني و إن كانَ أعجما
جَمعتَ بها شَمْلَ المعالي فأصـبحتْ لديك صفـايا ما يحـاذرنَ مقسما[٣]

وقال فيه أيضا معتبرا الفتح معلما للشعراء فهو يجود عليهم بعطائه فيطلق ألسنتهم بالمديح والقول:

يعلّمنا الفتح المديح بجوده ويُحسن حتّى يُحسن القول قائله[٤]

ويعدّه أيضا مقوماً لاعوجاجه إذا حدث منه زيغ أو هفوة ، فيقول:

أحين كثّرت حسّادي وساءهم جميلُ فعلك أشمّت حسّادي
فإن تكن هفوة أو زلةٌ سلفْت فأنت أولى بتقويمي وإرشادي[٥]

---

١. أحمد بن صالح ،ابن أبي فنن ،وكنيته أبو عبدالله ، كان شاعراً مجيداً مطبوعا شغوفا بالشعر ،عُرف بحسن الخلق، وكرم الطبع، وإتقان فن الندامة . مدح أحمد بن أبي فنن الفتح بن خاقان ، ومحمد بن عبدالله طاهر، ولكن لم يصل شيء من شعره في الثاني أو حتى أشعاره في مدح المتوكل الذي كان من رجاله، **تاريخ بغداد،** ٤٢٤/٤ ، ينظر يونس السامرائي، **شعراء عباسيون**،ج١، ص١٠٣

٢. السابق ، ١٤٢

٣. السابق ١٢٦، ١٧٤

٤. السابق ١٢٧، ١٧١

٥. السابق ،١٢٥، ١٤٩-١٥٠

ويقول البحتري في إحدى مدائحه معاتباً الفتح بن خاقان مبينا حلاوة القول فيه :

سأقُيمُ بَعْدَك –إن أقَمْتُ-بغُصَّةٍ   في الصدر لم تَصْعَدْ ولم تَتَصَوَّبِ

و سأرْفُضُ الأشعارَ إنّ مَذَاقَها   بمـديح غَيْرِكَ في فمي لم يَعْذُبِ(١)

وفي بائية مؤثرة يجمع البحتري بين المدح و العتاب لذاك البحر الكريم المعطاء فيبدأ قوله بإشارة تشوّق الفؤاد الطّروب، ومقدمة غزلية تلذ السامعين بعذوبة ألفاظها ورقة معانيها وتناغم موسيقاها:

لَوتْ بالسّلام بناناً خَضِـيباً   ولحظاً يَشُوقُ الفؤادَ الطَّرُوبا

وزارت على عَجَلٍ فاكتَسَى   لِزَورَتِها "أبْرَقُ الحَزْن" طيبا

وبعد هذه المقدمة يتابع مدحه في الفتح قائلا:

بَلَونا ضَرائبَ من قد نَرَى   فمــا إن رأينا " لفتح" ضَرِيبا

هُو المَرْءُ أبدتْ له الحادثا   ت عَزْمـاً و شيكاً ورأياً صَليبا[٢]

ومدح البحتري الفتح بن خاقان واصفا إياه بالمطر للأرض العطشى، فالمطر يروي الأرض، وينبت زرعها، ويكرمها بالطيبات، وكذلك الفتح يشفي غليل البحتري، فهو صاحب منزلة يأمن الدهر ولا يخاف غدره :

بداني بِمَعْرُوفٍ هو الغيثُ في الثَّرَى   تَوَالى نَدَاهُ واسْتَنَارَتْ خَمَائلُهْ

أمِنتُ به الـدَّهْرَ الّذي كُنْتُ أتّقي   ونِلْتُ به القَدْرَ الذّي كنتُ آمُلُهْ [٣]

ويقول البحتري في إحدى مدائحه واصفاً كرم الفتح بن خاقان الذي فاق الغمام بمائه وكذا فاق سيل الماء من غير اسراف :

وأكبْرُ أن أشبِّهَ جُـودَ "فتحٍ"   بِصَوْبِ غَمَامةٍ أو سَيْل وادِ

كريمٌ لا يَزَالُ له عَـطاءٌ   يُغيرُ سُنَّةَ السّنة الـجَمَادِ

ولا إسرافَ غيرُ الجُودِ فيهِ   وسائرُهُ لِهَدْيٍ واقتِـصادِ [٤]

فهو يمدح هذا الوزير ويصف كرمه وجوده وعطاءه المدرار وأنه غير مسرف إلا في الجود.

---

١. **ديوان البحتري**، ١٤١/١، تتصوب: ضد تتصعد.

٢. السابق١/١٤٩-١٥١، لوت:أشارت، البنان الخضيب: أطراف الأصابع المخضبة بالحناء، أبرق الحزن: اسم موضع، ضرائب: طبائع والضريب:المثيل،وشيكاً: سريعاً، صليب: شديد.

٣. السابق ١٦١٣/٣ ،٤

٤. السابق ٧٢٥/٢

ويبين البحتري في إحدى مدائحه مكانة الفتح عند أمير المؤمنين:

سِنَانُ أميرِ المؤمنينَ وسيْفُه، وسَيْبُ أميرِ المؤمنين ونائُلهُ (١)

ويقول في مدحية أخرى للفتح مبرزاً دوره في حسم الفتن والقضاء على الأعادي:

حسامُ أميرِ المؤمنين الّذي بِه يُعالِجُ أدْوَاءَ الأعادي فَتُحْسَمُ (٢)

فهو يبين مكانة الفتح في بلاط الدولة ومنزلته عند أمير المؤمنين فهو سيف الخليفة الذي يأمر وينهي.

ويقول في مدحة مثنياً على كرمه وحبه للأمجاد والشجاعة ومحبته للأدب :

هذا لذا ،"والفَتْحُ" مـفتاحُ النّدى وزهرةُ الدنـيا، ويَنْبـُوع الأدبْ
يرضَى فـيَرمى باللُّهى سماحة ويَغْضُبُ الموتُ إذا "الفتحُ" غضبْ
أُنظـرْ إلى آثاره عند اللُّـهى تنظرْ إلى آثارِ غَيْثٍ في عُشُبْ
لو قيلَ للمَجْدِ: انتسبْ إلى امْرِئ! لم تــلْفِهُ إلا إليــهِ يُنْتَسبْ
ليثٌ، وغيْثٌ، وجــوادٌ ماجدٌ كَفَّاهُ بالأمــوال تَحْبُو وتهَبْ(٣)

ويستكمل البحتري جمال الدنيا بوجود الفتح بن خاقان، فهو صاحب الأيادي البيضاء التي تفيض بالخير مدى الدهر وهو النجم المضيء اللامع الذي يبدد الظلمة وينير الأفق ويسعّر الحروب :

فتىً لا يزالُ الدَّهرُ حَوْلَ رِبَاعِهِ أيادٍ لَهُ بيضٌ وأفْنِيةٌ خـُضْرُ
أضاءَ لنا أُفْقَ البلادِ، وكَشَّـفَتْ مَشَاهِدُهُ مالا يُكَشّفهُ الفَــجْرُ
بوَجْهٍ هو البَدْرُ المُنيرُ نَفَى الدُّجى سَنَاهُ، وأخلاقٍ هي الأنْجُمُ الزُّهْرُ
غمامُ سَمَاحٍ ما يَغُبُّ لهُ حَــياً ومِسْعَرُ حَرْبٍ ما يَضيعُ لهُ وِتْرُ(٤)

---

١. **ديوان البحتري٣/١٦١٢**، السنان:نصل الرمح، السيب: العطاء.
٢. السابق ١٩٢٩/٣، الأدواء: جمع داء: الأمراض والأسقام.
٣. السابق ١/١٥٥-١٥٦ ، اللهى: العطايا.
٤. السابق ٨٤٥/٢

ويبين الشاعر في هذه المدحية دور الفتح من خاقان في حماية البلاد وفاعليته في حماية الخليفة؛ فهو سيف من سيوف الخليفة المسلولة التي تدافع عنه وتستعد دائما للنيل من أعدائه :

وحارسُ مُلْكٍ ما يَزَالُ عَـتادَهُ مهنّدةٌ بـــيضٌ وخَطِّيّةٌ سُمْرُ
يَصُونُ "بنو العبّاس" سَطْوَةَ بأسهِ لشَغْبِ عدىً يَعْتَادُ أو حادثٍ يَعْرُو
يَبيتُ لهم حيثُ الأمانةُ والتُّقى ويـغدو لهم حيثُ الكِفَايةُ والنّصْرُ
يعدُّ انتْقِاصاً أن تُطَاوِلَهُمْ يدٌ ويَعْتَدُّ وِزْراً أن يغُشّهُمُ صَـدْرُ[1]

ويتابع مدحه واصفاً عظمته ورفعته وتواضعه وكبرياءه وارتفاع شأنه، فلا يباريه أحد في المنزلة والكرم والعطاء :

تَواضَعَ من مَجْدٍ فإن هُو لم يكُنْ له الكُبْرُ في أكْفَائِهِ فلَهُ الكِـبْرُ
وذُو رِعَةٍ لا يَقْبَلُ الدَّهرَ خُطّةً إذا الحَمْدُ لم يَذْلُلْ عليها ولا الأجْرُ
فَذَاكَ رِجالٌ باعَدَ المَنْعُ رِفْدَهُمْ فلا الخِمْسُ وِرْدٌ من نَدَاهم ولا العِشْرُ
ألامَتْ سجايَاهُمْ، وضَنّتْ أكُفُّهُمْ فإحْسَانُـهم سُوء ومعرُوفُهُم نُكْرُ
يكونُ وُفُورُ العِرْضِ هَمّكَ دُونَهم إذا كــان هَمُّ القوم أن يَفِرَ الوفر[2]

وقال البحتري يمدح صاحب شُرطة بغداد، إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم المصعبي الذي كان يتولى أمر الجسرين،وقد بدأ مدحته فيه بمقدمة غزلية:

لم يَبْقَ معروفُ يَعُمُّ الـوَرَى إلا "أبوُ إسـحاقَ" والقَطْرُ
أبيْضَ ينمي من "بني مُصْعب" إلى الّتي ما فَـوْقَها فَخْرُ
ما اسْتَبَقَ النّـاسُ إلى سُؤْدَدٍ إلاّ تناهى ولـهُ الذّكرُ
ولا حمَدَنْا فـي امرئٍ خَـلّةً إلاّ وفيه مِـثْلُـها عَشْرُ
ولَسْـتُ أدري أيّ أقطـارِهِ أحسنُ إن عَدَّدَها الشِّعْرُ !

---

١. **ديوان البحتري** ٨٤٥/٢ الخطية الرماح المنسوبة إلى مرفأ بالبحرين تباع فيها ، الشغب :تهيج الشر ،الكبر: العظمة والتجبر ،الخمي من إظماء الإبل ، العشر : ورد الابل اليوم العاشر ، ألام: فعل ما يستحق اللوم ، وفور العرض: صونه

٢. السابق٩٦٦/٢

أوجهُهُ الواضِحُ، أم حلْمُهُ الرّا جحُ ، أم نِــائلُهُ الغَمْرُ
زِينَـتْ به الشّـرْطةُ لمّا غَدَا إليهِ مـنـها النَّهيُ والأمْرُ
كأنّــما الحَــرْبَةُ في كفّه نَجْمُ دُجىً شَيَّعَهُ البَدْرُ [1]

فهو من أهل المعروف والجود لا يسبقه أحد في أفعاله وكرمه، ويحار الشاعر بشأن الممدوح فماذا يعد من صفاته أسماحة وجهه أم حلمه أم كرمه وعطاءه المدرار ، وبه زيّنت الشرطة أنارت برجاحة عقله حتى الحربة التي كان يحملها بدت وكأنها البدر المنير وسط الدجى .

ويقول أبو علي البصير [2]في مدح الفتح بن خاقان واصفا بلاغته

سَمِــعْنَا بأشعارَ المُلوكِ؛ فكلُّها إذا عَـضَّ مَتْنيهِ الثّقافُ تأوّدَا
سوى ما رأينا لامرئ القيس إننا نراه –متى لم يَشْعُر الفتحُ- أوحدَا
أقام زمـاناً يسمعُ القولَ صامتاً ونحسبــه إن رام أكْدى وأصلدا
فلما امتــطاه راكبا ذلَّ صعبُهُ وسـار فأضــحى قد أغار وأنجدا[3]

فالشعر قبل الفتح لا يستقيم إلا من كان لامرئ القيس، فالفتح أشحذ قريحة الشاعر وجعله ينطق بعد أن كان صامتا لعظم أفعاله

وهذا الممدوح قد أفنى فنون الشعر وهي تعدد مناقبه وصفاته ولم تفن هذه المناقب فالشاعر لا يستطيع أن يحصها ويعدها :

مدحت الأميرَ الفَتْحَ أطلب عُرفَهُ وهل يُستَزادُ قائبٌ وهو راغبُ
فأفنى فنونَ الشعـر وهي كثيرةٌ وما فنــيتْ آثارُه والمـناقبُ[4]

---

١. **ديوان البحتري** ٩٦٦/٢ ، الحربة ورد في كتاب الطبري أحداث سنة ٢٤٤هـ أن المتوكل أتى بحربة كانت للرسول –صلى الله عليه عليهم- تسمى العنزة ذكر أنها كانت للنجاشي ملك الحبشة فوهبها للزبير بن العوام وأهداها الزبير إلى الرسول –صلى الله عليه وسلم- فكانت عند المؤذنين وكان يمشي بها بين يدي رسول الله في العيد فأمر المتوكل بحملها بين يديه فكان يحملها بين يديه صاحب الشرطة
٢. أبو علي البصير هو أبو الفضل بن جعفر بن الفضل بن يونس الكاتب توفي بسامراء ، يونس أحمد السامرائي (١٩٧٢م) أبو علي البصير . **مجلة المورد العراقية** ،(٣+٤)ص١٤٩
٣. السابق ١٥٧
٤. السابق ١٥٤

هـ - انتقاد رجال دولة المتوكل وهجاؤهم :

لم يتخذ المتوكل نهجاً واحداً في التنكيل برجالات دولته، بل تعددت طرقه ووسائله ولكنها كانت تهدف –جميعها- إلى المحافظة على نفوذ الخلافة وسلطتها .فقد بدأ عصر المتوكل بتعذيب محمد ابن عبد الملك الزيات والتخلص منه، فقبض المتوكل على أمواله ووضعه بتنور من الحديد كان الزيات يعذب الناس فيه وقُرْبَ انتهاء أجله طالب الزيات بدواة و طاقة فأذن له المتوكل فقال:

هي السبيل فمن يوم الى يوم　　كأنه ما تُريكَ العينُ في النوم
لا تجـزعنَّ رويداً إنها دُوَلٌ　　دنيا تنقَّلُ من قـوم إلى قوم[١]

وقال محمد بن علي أبو علي (دندن الكاتب) [٢] في هجاء ابن الزيات لما أوقع به المتوكل :

ألم تَرَ أن الله أيّـد دينه　　وأوقـع بالزيـات لمّا تجبرا
وكم قائل والدمع يسبق قوله　　به لا بظبيٍ بالصَّريمة أعفرا
عليك سلامٌ لم توفّره نيّـةٌ　　كذلك شـيء قد تولى فأدبرا[٣]

و هجا الشعراء رجال الدولة و تشمتوا فيهم وسلطوا أقلامهم في هتك أستارهم وكأنهم يرمون بكلماتهم سياسة الدولة وينتقدونها ويحاولون إصلاح حالها ورأب صدعها ومنه ما نظمه أبو نعامة الدقيقي[٤] في هجاء رؤساء الدولة أيام المتوكل [٥] .

---

١. **مروج الذهب** ٨٨/٤
٢. هو دَنْدَن الكاتب، محمد بن علي أبو علي، يكثر هجاء الكتاب، **معجم الشعراء**ص٣٩٦
٣. **معجم الشعراء** ص٣٩٦ ،
٤. أبو نعامة محمد ويقال أحمد الدقيقي الكوفي وكنيته أبو جعفر وكان خبيث اللسان استفرغ شعره في هجاء أهل العسكر ت ٢٩٦هـ ، **معجم الشعراء** ص٣٩٥
٥. لم نستدل على القصيدة المذكورة، فتذكرها المصادر بأنه أسماها السنية مزدوجة ولكن لم توردها.

وهذا علي بن الهجم يهجو عمر بن فرج الرخجي عندما غضب عليه المتوكل فيقول:

جمعتَ أمرينِ ضاعَ الحَزْمُ بينهما تيهَ الملوكِ وأفعالَ المَماليكِ
أردتَ شكراً بلا برٍّ و مَرْزِئَةٍ لَقَدْ سلكتَ طَريقاً غيرَ مسلوك
ظننتَ عِرْضَكَ لا يُرمى بِقارِعةٍ وما أُراكَ على حالٍ بَمَتْروكِ (١)

ويقول ابن الجهم عندما قُبضَ على الرُّخَّجي وأسلم إلى نجاح بن سلمه ليصادره وقد طعن فيه وفي عرضه:

أبلغْ نَجاحــاً فَتى الفِتْيان مَـأْلُكَةً تَمْضي بها الرِّيحُ إصْداراً وإيراداً
لَنْ يَخْرُجَ المالُ عَفْواً من يَدَيْ عُمَرٍ أو يُغْمَدَ السَّيْـفُ في فَوْدَيْهِ إغْمادا
الرَّخَّجِيُّونَ لا يُـوفُونَ مـا وَعَـدُوا والرُّخَّجِيَّـات لا يُخْلِفْنَ مِيعادا (٢)

وكما هجا أحمد بن أبي دؤاد عندما سخط عليه المتوكل فيقول:

يا أحْمَدْ بن أبي دُؤادٍ دَعْوَةً بَعَثَتْ إليكَ جنادلاً و حَديدا

و يسخر منه لأنه معتزلي المذهب فيقول:

ما هذِهِ البِدَعُ التي سَمَّيْـتَها بالجَهْلِ مِنْكَ العَدْلَ و التَّوحيدا
أفْسَدْتَ أمرَ الدِّينِ حينَ وليْتَه وَرمَيْتَـهُ بأبـي الولَيدِ وَلِيدا

ويهجوه بنسبه، ويختتم هجاءه بإلباسه صورة هزلية مضحكة ،قائلا :

لا مُحْكَماً جَزْلاً و لا مُسْتَطْرَفاً كهلاً و لا مُسْتَحْدَثا مَحْمُودا
شَرِهاً إذا ذُكِرَ المكارِمُ و العُلا ذَكَر القلايـا مُبْدِئاً ومُعِيـدا

ويتابع : وإذا تَـرَبَّعَ في المجالسِ خِلْتَهُ ضَبعُاً وخِلْتَ بني أبيهِ قُرُودا (٢)

ويختـار الشـاعر كلماتـه التـي تناسب المهجو فينعتـه بالسير وراء البدع والجهل، بأنـه معتزلـي المذهب، كيف أفسد الدين حين تولى شؤون الدولة وكما ينعت ابنه أبا الوليد بحداثة التجربـة وعدم درايته بالأمور، فهو إنسان قليل المكارم وبعيد عن المعرفة والحكمة والتجربة .

---

١. **ديوان ابن الجهم** ، ص ١٦٩

٢. السابق ٩٨

٣. السابق ٩٩، الجزل: جيد الرأي وأصيله، القلايا: المقليّات، خلت:حسبت، ينظر حاشية الديوان.

وفي الموضوع عينه ، نجده في قصيدة أخرى يهجوه –أحمد بن دؤاد- جاعلاً منه صورة ساخرة متهكمة، يرسم ألوانها بريشة فنان ساخر ، فيقول هاجياً ومشنعاً به بعد أن أصيب بالفالج:

لَمْ يَبْقَ منكَ سوى خيالِكَ لامِعاً   فَوْقَ الفِراشِ مُمَهَّداً بوسادِ
فَرِحَتْ بمصرَعِكَ البريَّةُ كُلُّها   من كان منهم مُوقِنا بِمعادِ
كَمْ من مَجْلسٍ للهِ قَدْ عَطَّلْتَهُ   كي لا يُحَدَّثُ فيه بالإسْنادِ
إنّ الأُسارى في السُّجُونِ تَفَرَّجُوا   لمّا أتتكَ مواكِبُ العُوَّادِ
لا زالَ فِالجُكَ الذي دائِماً   وفُجِعْتَ قبلَ الموتِ بالأولادِ(١)

فالمهجو لم يبق سوى جثة هامدة لا حول له ولا قوة،وكما يصور فرح الناس بحاله وكأنهم شفوا غليلهم منه فهو عطل الحديث بالحديث والسنة، وأتعب حال المسلمين،وغدا الشاعر معبراً عن حال أمته شامتا بالمهجو وداعياً عليه بفجعه بأولاده قبل موته.

ويصوّر القصّافي ما حلّ بنجاح بن سلمة – صاحب ديوان التوقيعات- وكيف تبدل حاله ، وانقلب الدهر عليه فأصبح سليب المال والعافية بعد أن كان ينعم بهما ويتجبر بالمسلمين، فيقول:

ما كانَ يَخْشى نجاح صولَةَ الزَمَنِ   حتى أديل لموسى منه والحسنِ
غدا على نِعَمِ الأحرارِ يَسْلُبُها   فراحَ و هو سليبُ المالِ والبدنِ (٢)

ويقول البحتري في التنكيل بابن أبي دؤاد متشمتاً وقد وقعت به أشد الدواهي فغدا جسداً لا يستطيع النطق بل يشير بحركات تعبر عما يقول، فهو جسده حتى حار به الأطباء:

وفي سَنَةٍ رَمَتْ مُتَجَبّريهِمْ   على قَدَرٍ بداهِيَةٍ عَوَانِ
فما أبقتْ من "ابن أبي دوأدٍ"   سوى جَسَدٍ يُخاطِبُ بالمعاني
تَعَرَّبَ بارْتباطِ الجُرْز حتّى   رَمَتْهُ في اليدينِ وفي اللّسَانِ
وما كانت غِذاهُ زَمَانَ يَشْرِى   سَراطِينَ "الصَّرَاةِ" ويَهْرُبَانِ
تحيّر فيه "سابُورُ بن سهلٍ"   وطاوَلَهُ، وَمنّاهُ الأمَاني (٣)

---

١. **ديوان ابن الجهم** ، ١٠٦-١٠٧
٢. **تاريخ الطبري** ٣٣٦/٥ أحداث سنة ٢٤٥هـ ، وينظر **المنتظم** ٥٢٤/٦ ولكنه لم ينسب لقائل .
٣.**ديوان البحتري** ٢٢٩٠/٤-٢٢٩١ ، سابور بن سهل : عالم في الطب والصيدلة،سابور بن سهل : كان فاضلاً عالماً بقوى الادوية المفردة وتركيبها وتقدم عند المتوكل، توفي أيام المهتدي بالله سنة٢٥٥هـ، **عيون الأبناء في طبقات الأطباء** ابن أبي أصبعيه، ضبط محمد باسل عيون الود ص٢٠٧ الداهيةالعوان:أشد الدواهي، الجزر: العمود من حديد أو فضة، السراطين: جمع سرطان وهو صوان مائي، الصراة: نهر بالعراق.

وقال البحتري في هجاء أحد رجال الدولة وهو ابن أكثم[١] (القاضي أبو محمد يحيى بن أكثم)

ما في معاشَرَةِ، ابن أكثم" ساعةً خَطَرٌ لذي عَقل ولا مَجْنُونِ
أعمى لهُ بَصَرٌ يَعِيبُ صَـديقَهُ يأتي المَثَالِبَ في خفاً وسُكُونِ
يُبْدي لنا زِيَّ القُضَاةِ وسَـمْتَهُمْ وأجلُّ طُـعْمَتِهُ من التَّقيينِ
كَمْ ثَم في وَصْفٍ يسُرُّكَ حاضِراً ومع المغيبِ فَلَيْسَ بالـمأمُونِ
حتّى إذا حَـذِقَ القــيادَةَ كلّها باعَ القِيانَ وجدّ في التَّعيينِ
وقَضَى مَظالِمَ جَدِّهِ مُتَحَـرِّيّاً فَتَخَلّصَ اللُّوطيُّ بالمأبونِ[٢]

ويختار الشاعر كلمات تناسب المهجو ذلك القاضي الجليل الذي لا يستطيع المرء العاقل أو المجنون مجالسته ساعة من الزمان، يبدو بزي القضاة ويسير مسيرتهم، لكنه بعيد عنهم، فكل حياته في متاجرة القيان ولا علاقة له بالعدل والقضاء .

يقول البحتري في هجاء ابن رباح(أحمد بن رباح وهو قاضي البصرة)

وما خِفْتُ جدّي في الصديق يَسُوءُهُ ولكنْ كثيراً ما يَخافُ مُزاحي
ورُبَّ مُبَارٍ للرّياح بجــودِهِ من الأجْوَدين الغرَّ "آل رباح"
متى بِعْتُ مختاراً رِضاهُ بسُخْطِهِ تــبدَّلْتُ خُسْري كُلّهُ بفلاحي [٣]

ويواصل هجاءه ليرسم صورة بشعة عنه معرّضاً به معتمداً على أسلوب المفارقة والتجنيس ليسخر منه.
وقال في قتل نجاح بن سلمة هاجياً إياه وشامتا به ينعته بالخائن والوقح، مشيداً بصواب رأي الخليفة في قتله حيث أراح الناس من كذبه الذي فاق كذب مسيلمة وصاحبته سجاح وأصلح أمرهم بموته :

دواعي الحَيْنِ سُقْن إلى "نجاح" رُكوبَ البَغْي للأجلِ المُتاحِ
ولو نُصْـحاً أرادَ لكانَ فيهِ "عُبيدُالله" أسْبَقَ من "نجاحِ"

١.القاضي أبو محمد يحيى بن أكثم بن محمد بن قطان بن سمعان بن مشنج من ولد أكثم بن صيفي التميمي يكنى أبا محمد (١٥٩_٢٤٢هـ) اتصل بالمأمون وعينه قاضياً للبصرة ثم لبغداد وفي عهد الواثق عزل ولزم بيته ولكن المتوكل أعاده لمنصبه لغاية سنه ٢٤٠هـ ثم عزله وصادر أمواله.ينظر **تاريخ بغداد** ١٩٥/١٤-٢٠٦ ، المثالب: العيوب، السمت: الطريق والحجة، القيان: جمع قينة: الأمة المغنية وقيل الأمة مغنية أو غير مغنية، التقيين: متاجرة، بالمأمون: القيان، مأبون:الأبنه: العيب.

٢. **ديوان البحتري** ٢٣٦١/٤

٣. السابق ٤٥٤/١-٤٥٥

فحــاق برأسِــهِ مـــا كان يَنْوي　　وحــلَّ بأهلِهِ سُـــــوءُ الصَّبَاحِ
مُـــدِلٌّ بالسّـــعــــــايةِ والتّبدّي　　بهــا قَتَلَ الإمام بلا جُـــــــــناحِ
وأكذبُ من "مُسَيْلِمَةَ بنِ صَعْبٍ"　　وأفْضَحُ في العَشِيرة من"سجاحِ"
بَدَتْ لخليـــــفةِ الرحــمن مِنْهُ　　مزاينُ خــائنٍ نَطِفٍ وَقَـــــاحِ
فكان يريد نُصحــاً وهو مُصْبٍ　　علـى غِشٍّ كأطـــراف الرماحِ
فأُبْسِلَ بالـــــذي كَسِبـتْ يَداهُ　　وعمّ الـناس ذلك بالصـــلاحِ
فلا عدم الإمـــامُ صوابَ رأيٍ　　نَفَى الجَرْباءَ عن عَطَبْ الصَّحَاحِ
وأبقــاهُ الإلهُ بـقـــــاء "نُوحٍ"　　لتشييــد المكارم والسَّمــــــاح [1]

ويقول البحتري في هجاء لأبي الحسن الحارثي مستلهماً قصة الناقة ورغاءها:

صَكَكْتَ على "سُليمانَ بن وَهْبٍ"　　" أبا حَسَنٍ" بديوان البـَرِيدِ ! [2]
وآلُ " أبي الوزيرِ" رَغَوْتَ فيهم　　رغاء البُكْير في وادي "ثَمُودِ" [3]
وأمـّا "أحمد بن أبي دُؤادٍ"　　فقـد أيْتَمْتَ مـنهُ أبا الوليد [4]

هجا الجماز [5]قاضيين أعورين هما حيان بن بشر الذي ولاه يحيى بن اكثم قضاء الشرقية، وسوار بن عبدالله العنبري الذي ولاه ابن أكثم قضاء الجانب الغربي أيام المتوكل :

رأيتُ من الكبارِ قاضــيْينِ　　همـا أحدوثة في الخافقينِ
هما اقتسما العمى نصفين قَدْرا　　كما اقتسما قضاءَ الجانبينِ
وتحسبُ منهما من هزّ رأساً　　لينـظرَ في مواريثٍ ودينِ

---

١ **ديوان البحتري** ٤٦٣/١-٤٦٤ ، مسيلمة بن صعب: مسيلمة الكذاب الذي أدّعى النبوة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، سجاح: زوجة مسيلمة الكذاب، أبسل: أسلم للهلكة

٢. سليمان بن وهب بن سعيد بن عمرو بن حصين، الوزير

٣.أبو الوزير هو أحمد بن خالد، كان كاتباً للمتوكل ثم غضب عليه سنة٢٣٣هـ وصادره، ينظر حاشية الديوان

٤. **ديوان البحتري** ٧٨٢/٢

٥. الجماز : هو محمد بن عمرو بن حماد بن عطاء بن يسار وقيل ابن ياسر ، **معجم الشعراء** ص٣٧٤

كأنك قد وضعـت عليه دنّاً فتحـت بزاله من فرد عين

هما فأل الزمـان يهلك يحيى اذا افتـتح القضاء بأعورين [١]

فهو يسخر من منظرهما ومن انسراب الدمع من عينيهما السليمتين .

وهجا دعبل الخزاعي الحسن بن وهب الذي ولاه المتوكل البريد نواحي الشام :

مَنْ مُبْلِغٌ عني إمامَ الهدى قافيةً للعرض هتّاكهْ

هذا جناحُ المسلمين الذي قد قصّه توليه الحاكهْ[٢]

فالشاعر يهجو موظف الدولة الظالم المتسلط، ويسلط الضوء على تجبر موظفي الدولة، فكان هجاء رجال الدولة تعبيرا عن فساد الإدارة والشكوى من الظلم والفساد والتردي الذي صارت إليه أحوال الناس [٣]

كما هجا البحتري رجلا كان يتولى البريد بالرقة اسمه نهشل موجهاً رسالة إلى المتوكل يشكو ضيق الحال منه ومن ظلمه الذي أوقعه بالناس :

إليك – أمير المؤمنينَ- رسالةً من الغَرْبِ تَستقري فجِاجَ المشارقِ

أعيذكَ بالنُّعمى من الله أن تُرى قدامى جنـــاح المسلمين لفاسق[٤]

وتجاوز بعض الشعراء في انتقاداتهم رجال الدولة إلى هجاء الخليفة نفسه، ومن ذلك أنّ دعبلاً الخزاعي هجا المتوكل فقال :

ولست بقائلً قذعا ولكن لأمرِ ما تعبدك العبيد [٥]

---

١. **الكامل في التاريخ** ٢٨٩/٥ ، تنسب الأبيات لأبي العبر في **أشعار أولاد الخلفاء**، الصولي ص٣٣٠ ، وتنسب لدعبل في ديوانه، تحقيق محمد يوسف نجم ، ص١٥٦ وتنسب في **البداية والنهاية** لبعض أصحاب ابن دؤاد ٣٢٨/٧

٢. التميمي،رشيد القحطاني **اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري** ، بيروت : دار المسيرة، ص١٨٣

٣. ينظر السابق ص١٥٠

٤. **ديوان البحتري** ٣/ ١٥٤٤

٥. **ديوان دعبل الخزاعي** ، تحقيق محمد يوسف نجم ، بيروت: دار الثقافة، ، ١٩٦٢ ، ص١٧١

كما انتقد علي بن الجهم في مرثيته للمتوكل سياسته التي كانت السبب في مقتله فيقول:

وخَـــلَّتْ أميرَ المؤمنينَ مُجَدَّلاً   شهيداً ومَنْ خَيْرِ الملُوكِ شَهيدُها
وكانَ أضاعَ الحَزْمَ واتَّبَعَ الهوى   ووكَّل غِرّاً بالجُيوش يَقُودُها[١]

فهو ينتقد على الخليفة سياسته وتسليمه زمام الأمور والسلطة للأتراك هؤلاء الذين أطاحوا به وقتلوه .

ويأخذ هذا المأخذ إبراهيم بن أحمد الأسدي في رثائه للمتوكل؛إذ انتقد سياسته لهوه وكثرة شرابه الذي أدى به إلى التهلكة فيقول :

هكذا فلتكن منايا الكرام   بين نأي و مزهر و مدام
بين كاسين اردتاه جميعاً   كأس لذاته و كأس الحمام
يقظ في السرور حتى أتاه   قدر الله خفية في المنام
لم تذل نفسه صروف المنايا   بصنوف الأوجاع و الأسقام
هابه معلنا فدّب إليه   في كسور الدجى بحد الحسام
و المنايا مراتب يتفاضلن   و المرهفات موت الكرام[٢]

فهو بهذه الأبيات يعرّض بالخليفة الذي مات في مجلس عبث تلفه الكؤوس والقيان .

---

١. **ديوان ابن الجهم ١١٤**
٢. **الخاقاني، شعراء بغداد** ١/٢-٣

و. مقتل المتوكل:

دقّ ناقوس النهاية، وجاءت ساعة الصفر وأُعلنت نهاية المتوكل على يد الأتراك، فأخذ الشعراء يتسابقون في رثاء بطل بني العباس حامي الدين والسنة صاحب العمران والحضارة، فحملت مراثيهم كلمات الحزن والتفجع على هذا الخليفة الراحل وأخذوا يتحدثون عن مآثره منددين بالقاتل اللعين الذي استباح دمه، ومن ذلك ما قاله الحسين بن الضحاك :

إن الليالِيَ لم تُحْسِـنْ إلى أحدٍ　　　إلا أساءَتْ إليهِ بَعْدَ إحسانِ
أما رأيتَ خطوبَ الدَّهرِ ما فعلتْ　　　بالهاشميّ و بالفتح بن خافان [١]

ويرثيه محمد بن يزيد المهلبي في قصيدة تعد من عيون مراثي الشعر العربي ذاكراً حال الخليفة مع الأتراك وصراعه معهم ومحاولاته العديدة في إبعاد الأتراك، ولكنه لم ينجح وانتهى أمره بالمأساه التي كانت سبباً أولاً و رئيساً في تفسّخ و تقسيم الدولة إلى دويلات و إمارات

لا حزن أراه دون ما أجـدُ　　　و هــل كمنْ عينايَ مُفتقَدُ
لا يبعدَنْ هالكٌ كانت منيّتُهُ　　　كما هوى عن غطاء الزُّبيةِ الأسدُ
لا يدفع الناس ضيما بعد ليلتهم　　　إذ لا تُمّدُّ إلى الجـاني عليك يَدُ

فالشاعر يفتتح مرثيته بوصف عظيم حزنه وأن لا مثيل لفقيده الذي هوى عن العرش كما يهوي الأسد من غطاء زبيته .ويتحسر الشاعر على نفسه لأنه لم يأخذ بثأر الخليفة ولم يفتك بالجاني

فقال: لو أن سيفي وعقلي حاضران له　　　أبليتُهُ الجُهدَ إذا لم يُبله أحَدُ

وكما يتألم على الخليفة الذي لم يُقتلْ في أرض المعركة والحرب وإنما كان قتل مفاجأة ومباغته مما يدل على جبن القاتل ومدى غدره فقد خرّ المتوكل على السرير جثة هامدة لا حياة فيها، ويصور الشاعر هذا المشهد فيقول:

هلاّ اتتهُ أعاديــهِ مُجاهَرةً　　　و الحربُ تُسعَرُ و الأبطالُ تجتلدُ
فخرّ فوقَ سريرِ المُلك مُنجدِلاً　　　لم يحمهِ ملكهُ لماّ انقضى الأمَدُ [٢]

---

١. **مروج الذهب** ١٢٤/٤ وورد في **كتاب النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس** ، ابن دحية الكلبي، ونُسب لبعض أهل عسكر ص٧٩

٢. يونس السامرائي، **شعراء عباسيون** ، ص٢٤٥ الزبية بئر أو حفرة تحفر للأسد يغطى رأسها بما يسترها ليقع فيها وقال الفرّاء سميت بذلك لارتفاعها عن المسيل وقيل لأنهم كانوا يحفرونها في موضع عالٍ **لسان العرب** ١٤/٧

ويذكر الشاعر حرن الناس على المتوكل فهم في فوضى عارمة

و أصبح الناس فوضى يعجبون له   ليثاً صريعاً تنزّى حوله النَّقَد

وهذه المرثية تعبر تعبيراً صادقاً عن لوعة الشاعر وحزنه

ومن الشعراء الذين رثوا المتوكل إبراهيم بن أحمد الأسدي (١) فقال:

خَلَتْ المنابرُ و اكتستْ شَمْسُ الضّحى   بعْدَ الضياء ملابس الاظلامِ

ما كادتْ الأســـماعُ إكبارا لهُ   يصغينَ للإجلال و الإعظام

ملأ القلــوب من القليلِ فأذْرَفَتْ   ذاتَ الشؤون مدامعَ الأقوامِ

هجمتْ فجـيعتَهُ على كلّ الورى   فأذابَتْ الأرواحَ في الأجسامِ(٢)

فهو يصف حال الدنيا و كيف اضطربت وحزنت بوفاة الخليفة ويصف حال الناس كيف تلقت خبر وفاته.

ورثاه ابن الجهم في قصيدة مطّولة تعد من عيون مراثي الشعر العربي فيصف مشهد قتله وكيف تدخلت يد الترك في السياسة وأدت إلى قتله فقال مفتتحاً مرثيته بوصف سحابةً تعبر أرض العراق ومن ذلك:

فَلّما رَأَتْ حُرَّ الثّــرى مُتَعَقّداً   بما زلّ منها والرُّبى تَسْتَزيدُها

وأنَّ أقاليمَ العِراقِ فَــقيرةٌ   إليها أقامَتْ بالعراقِ تَجُـودُها

فما بَرِحَتْ بَغْدادُ حتى تَفَجَّرَتْ   بأوديةٍ ماتَسْتَفيق مُـــدودُها

فهو يرى في السحابة خلافة المتوكل التي مرت مسرعة ، هذه السحابة المحمّلة بالخيرات والجود لأرض العراق حالها كحال خلافة المتوكل، والآن ذهبت وسارت بعيداً، ويتخلص من وصف السحابة إلى رثاء المتوكل واصفاً حاله فهو ممدد لا حول له ولا قوة، شهيد هذه الأمة، لكنه أضاع ضبطه وتقييمه للأمور حين ولّى زمامها للأتراك، ويشير إلى قيادة الجيش بيد الأتراك، كما يشير إلى بيعة العهد وما كان من تآمر ولي العهد مع الأتراك.

---

١. ابراهيم أحمد الأسدي، ينظر الخاقاني، **شعراء بغداد** ج١ ص٢، وينظر **الصفدي/ الوافي** ٥/ص١٠

٢. الخاقاني **شعراء بغداد** ، ، ١/٢+٣

وخَــلَّتْ أميرَ المؤمنينَ مُجَدَّلاً   شهيداً ومَنْ خَيْرِ الملُوكِ شَهيدُها
وكـانَ أضـاعَ الحَزْمَ واتَّبَعَ الهوى   ووكَّل غِرّاً بالجُيوش يَقُـودُها
كـأنّهَمْ لم يعلمـوا أنّ ◌َبْيـعَةً   أحاطَتْ بأعْناقِ الرَّجالِ عُقُودُها
فلمّا اقْتَضاها لـيلةَ الـرَّوع حَقّهُ   جَرَتْ سنحاً ساداتُها ومسَـودُها
وباتَتْ خبايا كالبغايـــا جُنُودُه   وفي زَوْرَقِ الصيَّادِ باتَ عَمِيدُها

ويتابع واصفاً مشهد قتل المتوكل راثيا رجله الأول الفتح بن خاقان وكيف جاد بنفسه فداء للخليفة

بلـى وَقَفَ الفتحُ بنُ خاقانَ وقفةً   فأعْذَرَ مولى هاشمٍ وتَلِـــيدُها
وجادَ بنفسٍ حُرّةٍ سَهّـلتْ لَهُ   وُرودَ المنايا حيثُ يُخشى وَرُودُها
وفرّ عُبَيدُ الله فـيمن أطاعَهُ   إلى سَقَرِ اللهِ البطـيءِ خُمُودها

ويتابع منددا بالخلافة وحالها، وما آل أليه أمر الجيش، وكيف ضعفت قوته، وتهاوت قدرته، فراح ينظر إلى الخليفة المقتول دون أيّ فعل فليس هناك من يأخذ بالثأر لهذا الخليفة المغدور:

فيا لجُنُودٍ ضَيّعَتْها مُلــوكُها   ويا لمُلوكٍ أسْلَمَتْها جُـنُودُها
أيقتلُ في دارِ الخلافةِ جَعْفرٌ   على فُرْقَةٍ صَبْراً وأنتم شُهُودُها
فلا طالبٌ للثأر من بَعْدِ موتِهِ   ولا دافِعٌ عن نفسهِ من يُريدُها

ويصرّح بخراب الخلافة وتسرب العنصر التركي إليها وكيف أن الخلفاء أنفسهم هم من أسلموهم زمام أمورهم وولوهم شؤون الدولة وكيف أصبح العبيد سادة يصولون ويجولون بالدولة إلى أن قتلوا الخليفة :

ولكِنْ بأيديكُم تُراقُ دماؤُكُمْ   ويَحْكُمُ في أرْحامِكُمْ من يَكيُدها
ألهفاً وما يُغْني التلهُّفُ بَعْدما   أُذلّتْ لضبعانِ الفلاةِ أسُودُها
عَبيدُ أميرِ المؤمنينَ قَتَلْنَـهُ   وأعْظَمُ آفاتِ المُلوكِ عَبيدُها

ويصف حال الناس بعد قتله:

أما والمنايا ما عَمَرْنَ بمــثلهِ الـ   قُبوَر وما ضُمَّ◌ْت عليهِ لُحُودُها
أتتنا القَوافي صارِخاتٍ لَــفْقدِهِ   مُصَلَّ◌َمةً أرجازُها وقَصِيدُها
فقلتُ ارْجعي مَوْفُورَةً لا تَمَــهّلي   معاني أعيا الطالبينَ وُجُودُها
ولو شئتُ لم يَصْعُبْ عَلَيَّ مرامُها   لِبُعدٍ ولم يَشْرُدْ عليّ شَرِيدُها
ولو شئتُ أشعلتُ القُلوبَ بشرَّدٍ   من الشّعر أفلاذُ القُلوبِ وَقُودُها
فيا ناصِرَ الإسلامِ غرَّكَ عُصْبَةٌ   ◌َزنادِقَةٌ قد كنتُ قبلُ أذُودُهـا

ويستذكر عهده والنزعات المذهبية التي أودت بحياته وكانت سبباً في هلاكه، ويشير إلى أسباب هلاكه الأخرى كفساد حاشيته قائلاً:

أشاعَ وزيرُ السُّوءِ عنكَ عَجائباً　　يُشيدُ بها في كلّ أرضٍ مُشيدُها

وباعَدَ أهْلَ النُّصحِ عنكَ وأُوغِرَت　　صُدُورُ الموالي واسْتَسرَّتْ حُقُودُها(١)

ويصور البحتري حال الدنيا وتبدلها من الحسن إلى السوء لرحيل المتوكل، وكيف أصبحت الدنيا وأهلها من بعد مقتله، وهذا ما صوّره البحتري في مرثيته؛ إذ صوّر الحال وعكس فيها ملامح الحزن والتغير الذي طرأ بقتله فيفتتح القصيدة بقوله: .

مَحَلّ على " القَاطُول" أخْلَقَ دَاثِرُهْ　　وعادَتْ صُروفُ الدَّهْرِ جيشاً تُغَاوِرُهْ (٢)

كأنّ الصَّبَا تُوفي نُذُوراً إذا انْبَرَتْ　　تُرَاوُحهُ أذْيَالُهُا وتُبَاكِرُهْ

ورُبَّ زَمَانٍ ناعمٍ_تمّ_ عَهْدُهُ　　تَرِقُّ حَوَاشِيه، وُيونِقُ ناضِرُهْ

فهو يستهل قصيدته بالحديث عن الحضارة والأبنية التي شيّدها المتوكل على ضفاف نهر القاطول ودجلة ويبكي ترف أيام الخلافة .

ويتابع مرثيته فيصف مظاهر الحياة في أحد قصور المتوكل من قديم ومستحدث:

تَغَيّرَ حُسْنُ "الجَعْفَريّ" وأُنسُهُ　　وقُوِّض بادي "الجعفريّ" وحاضِرُهْ

تَحَمَّلَ عنهُ ساكِنُوهُ فُجَاءَةً　　فَعَادَتْ سواءً دُورُهُ ومَقَابِرُهْ

إذا نَحْنُ زُرْنَاهُ أجدّ لنا الأسى　　وقد كان قَبْلَ اليوم يَبْهَجُ زائرُهْ

ويصف حال الحيوانات المذعورة ويشير البحتري إلى حير الحيوانات _حديقة الحيوانات_ التي أنشأها المتوكل:

---

١. **ديوان ابن الجهم** ص١١٤-١١٨، تستفيق: أي ما تكف.لمجدل: الصريع، اقتضى حقه: طلبه، السنح: الظباء المشائيم، سقر: جهنم، ألهفاً: كلمة يتحسر بها على ما فات، الشرد: جمع شاردة أي سائرة في البلاد، الأفلاذ: القطع، يشيد: من معاني الأشارة إفشاء المكروه والفبيح، أخلق: بلى، داثرة: الذي درس وبلى، تغاوره: تحاربه، ٢. القاطول: اسم نهر كأنه مقطوع من دجلة، **معجم البلدان** ٢٩٧/٤ قوّضك تهدم، بادية: ظاهرة، حاضره:داخلة، تحمّل: رحل، أجدّ:جدد، تراوحه: تهب عليه من العشب،السرب: القطيع، الأطلاء: الظباء، ينظر حاشية القصيدة.

ولم أنْسَ وَحْشَ القَصْر إذ رِيعَ سِ ْربُهُ وإذ ذُعِرَتْ أطلاؤهُ وجَآذرُهْ

وبعد أن يستذكر ما أحدثه المتوكل يتساءل:

فأيْن الحِجَابُ الصَّعْبُ حيث تَمَنَّ َعتْ بِهَيْــبَتِها أبوابُهُ ومقاصِرُهُ ؟

وأيْنَ عَمِيدُ النَّاسِ فــي كلّ نَوْبَةٍ تَنُوبُ، وناهي الدّهْرِ فيهم وآمِره؟

ويصرّح بقاتله الذي غدر فيه :

تَخَفّى لهُ مغتالُهُ تَحْتَ غِرَّةٍ وأولى لمن يغتالهُ لو يُجاهِرُهْ

ويستنكر الشاعر على جنود المتوكل وأملاكه وذخائره وكيف أنها لم تحل دون قتله حتى ولده المعتز لم يجد ناصراً له أمام أخيه المنتصر الذي دبّر هذه الحيلة وسعى لقتل والده وقتل وزيره الفتح بن خاقان الذي لم يستطع دفع البلى عنه لكنه دفع عمره وحياته مقابلاً رخيصاً ويستحضر الشاعر في هذه المرثية الأمير طاهر بن عبدالله الذي لم يستطع فعل شيء ومؤازرة المعتز الذي كان يميل إليه، فيقول:

فَمَا قَاتَلَتْ عَنْهُ المَنُون جُـنُودُهُ ولا دافَعَــتْ أملاكُهُ وذخائرُهْ

ولا نَصَرَ "المعتزَّ" من كان يُرْتَجَى لهُ، وعَزيزُ القَوْم من عَزَّ ناصِرُهُ

تَعَرّضَ رِيْبُ الدَّهرِ من دون "فَتْحِهِ" وغُيِّبَ عنُه في "خُراسَان" "طاهِرُهْ"

ولو عاشَ ميتٌ، أو تَقَرّبَ نــازِحٌ لَدَرَاتْ من المَكْروه ثَمَّ دَوائُرهْ

ولو " لعَبيدالله " عَوْن عليـهم لَضَاقَتْ على وُرَّ ّادِ أمْرٍ مَصَادِرُه

ويرسم البحتري مشهد القتل –المشهد الذي بقيّ حاضراً نابضاً في ذاكرته ويصرّح بالمؤامرة التي حيكت من أجله!وأنه شهد تلك الحادثة وعجز عن الدفاع عن الخليفة لأنه فيما يزعم كان مجرداً لا سلاح معه.

ومُغْتَصَبٌ للقَتْلِ لم يُخْشَ رَهْطُهُ ُ ولم يُحْتَشَمْ أسبابُهُ وأواصِرُهُ

صَرِيعٌ تَقَاضَاهُ السُّيُوفُ حُشَاشَةً يجودُ بها والمَوْتُ حُمْرٌ أظافرُهْ

أدافعُ عنهُ باليدين، ولم يكـنْ ليثْنِي الأعادي أعْزَلُ اللّيلِ حاسِرُهْ

ولو كان سيفي ساعةَ القَتْلِ في يدي دَرَى القاتلُ العَجْلان كيف أُساوِرُهْ

ويصرّح بمؤامرة ولي العهد المنتصر لقتل أبيه ويتعجب كيف أنه كان المدبّر للقتل ولم يكن صاحب الثأر:

وهل أرْتَجى أن يَطْلُبَ الدّمَ واتِرٌ يَدَ الدّهرِ، والمَوْتُورُ بالدَّمِ واتِرُهْ ُ!

أكان وليّ العَهْ ِدِ أضمر غدرةً؟ فَمُن عَجَبٍ أن وُّلى العهد غادرهْ!

وينهي هذه المرثية بالتحسر على دم المغدور ومخاطبة الأعداء بأن ما هو آتٍ سيكون أقسى عليهم وألعن:

لَنِعْمَ الدّمُ المَسْفُوحُ لَيْلَةَ "جَ ْعفرٍ" هَرْقتمْ، وجنح الليل سودٌ دياجرهْ
كانّكم لم تعلموا من ولـيُّهُ وناعيهِ تَ َحْتَ المرهفات وثائرهْ
وإنّي لأرْجُو أن تُرَد أُمُوركمْ إلى خَلَفٍ من شَخْصِهِ لا يُغادرُهْ
مُقَلّبِ آراءٍ تخـافُ أنـاتُهُ إذا الأخْرَقُ العَجْلانُ خِيفَتْ بوادرُهْ[١]

فالشاعر يرثي المتوكل وأيامه معه، فالميت في نظر الشاعر ليس المتوكل فقط بل كل ماكان شاهدا على عمره معه، لذلك هو يبكيه من خلال الأشياء؛ من الزمان والمكان[٢]

ويتوحد في هذه المرثية الشكل والمضمون، فنقل الشاعر إحساسه نقلا صادقا ومؤثراً تكشف عنه القافية الساكنة التي تدل على تقطع أنفاسه، واختار البحر الطويل الذي يلائم عمق احساسه وذكرياته مع الخليفة [٣]

ويقسم هذه المرثية لثلاث لوحات : الأولى يصف حال القصر أي حال الأيام التي تبدلت، ثم يصوّر الهجوم على القصر واستباحة حرمته، وبعدها يصور الخراب والدمار والمتآمرين على الخليفة الجبناء الذين قتلوه وهو أعزل مجرد من سيفه .

---

١. **ديوان البحتري** ١٠٤٥/٢-١٠٤٩، هرقتم: أرقتم: اسلتم الدماء، الدياجر:الظلمات، المرهفات: السيوف المرققة الحد، الولي:المطالب للثأر.

٢. المحمد ،روضة (١٩٨٣) ، اتجاهات **الرثاء في القرن الثالث الهجري من خلال أعلامه : أبي تمام- ديك الجن- دعبل الخزاعي- البحتري- ابن الرومي**، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة دمشق،دمشق، سوريا

٣. ينظر عبدالله. ، صلاح مصليحي (١٩٩١م) ، **التقليد والتجديد في الشعر العباسي١٩٩١** ،، الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية ، ص١٧٨

ز. الفتن الداخلية : [*]

اشتعلت نيران الفتن الداخلية في عهد المتوكل وأخذت تتأجج بعدة جوانب منها ما كان دينيا ارتبط بمحنة خلق القرآن، ومنها ما كان مذهبياً تمثل بخروج الشيعة على الخليفة رغم ما أوقع بهم من تنكيل واضطهاد [١] ومنها ما كان سياسيا يدعو بدوره للنيل من الخليفة [٢].

وسجل الشعر عدداً من الثورات التي قامت منها ثورة أهل حمص[٣] السياسية التي لم تخالطها أي نزعة دينية وبل كانت من أهم دوافعها ظلم الولاة وسطوتهم مما جعل أهل حمص ينادون بالإطاحة بحكم العباسيين والتخلص من سطوتهم ، فقال البحتري في إحدى مدائحه للفتح بن خاقان مبينا دوره في الوساطة لدى الخليفة للصفح عن أهل حمص :

تداركْتَ بالإحسانِ "حِمْصَ" وأهْلَها   وقد فَارَقُوا فعل الإساءَةِ والخُرْقِ
طَلَعْتَ لَهُمْ وقتَ الشُّروقِ فَعَايـنُوا   سنا الشَّمْسِ من أُفقٍ ووجْهَك من أفقِ

وعفوك منعهم من القتال والدمار، ويصور ذلك:

ولو شِئْتَ طاحوا بالسُّيوفِ وبالقَنَا   وباللّهذميّاتِ المُذَرَّبةِ الـزُّرْقِ
مَنَنَتْ عليهمْ بالحياةِ فأصْبَحُـوا   مواليكَ فازُوا منك بالمَنِّ والعِتْقِ[٤].

---

* : ينظر حول الفتن الداخلية : غنيم ، فداء محمد ،(١٩٩٨)**شعر الفتن والثورات في بلاد الشام والجزيرة الفراتية من قيام الدولة العباسية حتى نهاية القرن الثالث الهجري** رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة الأردنية ،عمان، الأردن ،وينظر : الجراح، خالد أحمد ،(١٩٩٦م) **شعر الفتن في القرن الثالث الهجري**، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة مؤتة ، الكرك، الأردن، نورالدين، حسن جعفر(٢٠٠٣) ، **شعر التمرد في الأعصر العباسية**،(ط١)،بيروت: رشادبرس

١. مثل ثورة محمد بن صالح العلوي ، ينظر ضيف ،شوقي ، **العصر العباسي الثاني** ،ص٣٨٥

٢. مثل ثورة محمد بن البعيث ، ينظر السابق ص٤٠٠

٣.في بعض المصادر التاريخية أن أهل حمص وثبوا زمن المتوكل بعاملهم على المعونة أبي المغيث الرافقي موسى بن إبراهيم ، فأخرجوه من مدينتهم وأخرجوا معه صاحب الخراج فلما بلغ المتوكل فعلتهم أرسل إليهم من يحاربهم وأمده المتوكل بجند دمشق ينظر المثاني، موسى ، الصراع السياسي والفكري في عهد الخليفة العباسي، ص١٧٦ وينظر**الطبري** ١٩٩/٩

٤.**ديوان البحتري** ١٥٤٦/٣-١٥٤٧ اللهذميات: الحادة القاطعة من السيوف والأسنة، المذرية: المحددة، ينظر حاشية الديوان

فتبين هذه الأبيات عفو الخليفة وصفحه عن أهل حمص واختياره وسيلة اللين والمهاودة في إخماد نيران ثورتهم. ويشيد في قصيدة أخرى بعفو المتوكل عن أهل حمص الذين تمادوا في إساءتهم وندموا أشد الندم، قائلا :

أرى شَمْلَكمْ يا أهلَ حمصَ مجمَّعاً　　بعَقْبِ افتراقٍ منكمُ وتَشَعُّبِ
وكنتم شعاعاً من طريدٍ مُشَرَّدٍ،　　وثاوٍ ردْ، أو خائفٍ مُتَرقّبِ[١]

وبين شدة التنكيل التي وقعت في المدينة وما حلّ بها من خراب ودمار إلى أن جاء الخليفة وأوقع الصلح وأمن الخائف وأجار المظلوم ونجدة المستغيث ورد الطمانينة لقلوب أهل حمص .

ومن نَفَرٍ فوق الجُذُوعِ كأنّهم　　إذا الشمس لاحَتْهُمْ حَرَابيُّ تَنْضُبِ
تلافاكُم " الفتحُ بن خاقان " بعدما　　تَدهْدَ هتُمُ من حالقٍ مُتَصوّبِ
بعارفةٍ أهدَتْ أماناً لخائفٍ،　　وغَوْثاً لِمَلْهُوفٍ، وعفواً لِمُذْنِبِ
عَنْت طيِّئاً جَمْعاً، وثَنَّتْ بمَذْحِجٍ　　خصوصاً، وعَمَّتْ في الكِلاع ويَحْصُبِ[٢]

فالبحتري يصف حال أهل حمص بعد انتهاء الفتنة فقد اجتمع أمرهم بعد أن كان أشتاتا ورُئب صدعهم بفضل وساطة وزير الخليفة الفتح بن خاقان .

وكان لبني تغلب دور في الصراعات، القبليّة والتمرد على السلطة، والخروج عن الدولة، وسُجّل ذلك عليها، فذكر البحتري في إحدى مدائحه للفتح بن خاقان حرب بني تغلب وكيف سعى الفتح ابن خاقان طالبا الشفاعة والعفو لهم من المتوكل، وبعد محاولات نجحت تلك المساعي فصور البحتري هذا الحدث قائلاً :

بني تغلبٍ! أعززْ عليّ بأن أرى　　ديارَكُمُ أمسَتْ وليسَ لها أهْلُ
خلتْ "بلدٌ" من ساكنيها، وأوحَشَتْ　　مرابعُ من "سِنْجَارَ" يهمي بها الوبْلُ

ويتابع مصوراً حالهم وكيف انغمسوا بالفتنة التي فرقت بينهم:

أفي كلّ يوم فَرْقَةٌ من جميعكمْ　　تَبيدُ، ودارٌ من مَجَامِعِكُمْ تَخْلُو؟!
مَصَارِعُ بغيٍ تابَعَ الظُّلْمُ بينها　　بساعةِ عزٍّ كان آخرَهُ الذُّلُّ
إذا ما الْتَقوا يومَ الهياجِ تحاجَزُوا　　ولِلْمَوْتِ فيما بَيْنَهُمْ قِسْمَةٌ عَدْلُ

---

١. **ديوان البحتري** ١٩٣/١ وينظر عايش، يايسن(١٩٩٣م) **الشعر في بلاد الشام والجزيرة من قيام الدولة العباسية حتى القرن الثالث الهجري**(ط١)، عمان :دارالبشير ، بيروت :مؤسسة الرسالة ،ص١٢٣-١٢٧

٢.السابق، ١٩٣/١-١٩٤ تلافى: تدارك، تهدهده: تدحرج، حالق: مرتع، متصوب: منحدر،تنضب: نوع من الأشجار عيدانه بيض ضخمة وله شوك قصير.

ويشيد البحتري بشفاعة الفتح الذي استطاع بحنكته رأب صدع الخلاف وجمع شمل الفرق المتنازعة :

وكانت يدُ الفتحِ بن خاقانِ عندكُمْ　　يدَ الغَيْثِ عندَ الأرضِ حَرَّقها المحلُ
ولولاهُ طُلّتْ بالعُقوقِ دماؤكُمْ　　فلا قَوَدٌ يُعْطَى الأذلُّ ولا عَقْلُ
تلافيتَ يا "فتَح" الأراقِمَ بعدما　　سقاهُمْ بأوحى سُمِّهِ الأرْقَمُ الصِّلُّ
وهْبتَ لهم بالسِّلْم باقي نفوسِهِمُ　　وقد شارَفُوا أن يَسْتَتِمَّهُمُ القَتْلُ
أتوكَ وُفود الشُّكْرِ يُثْنُونَ بالّذي　　تَقَدَّم من نُعمَاك عندهُمُ قَبْلُ
فَلْم أرَ يوماً كان أكثرَ سُؤدُداً　　من اليومِ ضَمَّتْهُمْ إلى بابِكَ السُّبْلُ (١)

وفي أوقات أخرى طلب من الخليفة العفو والصبح عن بني تغلب، ومنه ما قاله مالك بن طوق التغلبي(٢) طالبا العفو من المتوكل فقال بين يديه :

أرى الموت بين النّطعِ والسيفِ كامنًا　　يلاحظني من حيث ما أتلفّتُ
وأكبرُ ظنّي أنك اليوم قاتلي　　وأيّ امرئ مما قضى الله يُفلِتُ؟
يعزّ على الأوس بن تغلب وقفةٌ　　يهزّ عليّ البيض فيها وأسكتُ
وأيّ امرئ يدلي بعذرٍ وحجّةٍ　　وسيف المنايا بين عينيه مُصْلت
وما بي من خوف أموت وإنّني　　لأعلم أنّ الموتَ شيء موقّتُ
ولكن خوفي صبية قد تركتهم　　وأكبادهم من حسرة تتفتتُ
كأني أراهم حين أُنعى إليهمُ　　وقد خَمَشوا تلك الوجوه وصوّتُوا
فإن عشت عاشوا آمنين بغبطةٍ　　أذود الرّدى عنهم، وإن مت موّتوا
فكم قائلٍ لا يبعد الله داره　　وآخر جذلان يُسَرُّ ويشمت (٣)

واستطاع بهذه الكلمات الرقيقة اللطيفة استدرار عفو المتوكل، فصور حال بني تغلب مأساة أولادهم الجياع وكيف حالهم من بعده .

---

١. **ديوان البحتري** ٣ / ١٦١٦-١٦١٩، سنجار: مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة، يوم الهياج: يوم القتال، تحاجزوا: تمانعوا، طل الدم:هدر أو لم يثأر، العقوق: العصيان، القود: القصاص، العقل: الدية، الأوحى:الأسرع، الأرقم:أخبث الحيّات، الصل: الحية الخبيثة، ينظر حاشية الديوان.

٢.مالك بن طوق التغلبي، صاحب الرحبة أحد الأشراف والفرسان ولاه المتوكل دمشق الكتبي ، **فوات الوقيات،** ج٢، ص٢٣١

٣. **فوات الوفيات** ، ٢٣١/٣

ويسجل البحتري أمر ربيعة وحالها [١] فيشفع إليها قائلا:

أربيعةَ الفَرَسِ! أشكُري يَدَ مُنْعِمٍ   وَهَبَ الإساءَةَ للمُسِيءِ الجَاني
رَوّعْتُهُم جــارَاتِهِ، فَبَــعْثتهُمُ   مِـنْهُ حَمِيِّـــةَ آنِفٍ غَيْرَانِ[٢]

ويكرر هذا المعنى في قصيدة أخرى بلغة ينطبع عليها الحزن والأسى :

أسيــت لأخـوالي "ربيعة" إذ عفت   مصانــعها منها، وأقوت ربوعها
بكرهي أن باتــت خــلاءً ديارها ،   ووحشـــاً مغانيها، وشتّى جيعها
وأمست تساقى الموت من بعدما غدت   شروباً تساقى الرّاح رفهاً شروعها[٣]

تبين هذه القصيدة صراع بني ربيعة وقتالهم وطلبهم للثأر وكيف جاء المتوكل وآلف بين قلوبهم فعبر الشاعر عن حال الصراع والنزاع وعن حال الوئام والمصالحة .

ويصف الشاعر حال بني تغلب وكيف تحولت حياتهم لحياة دموية تفيض دماً وثارات وقتلاً، إذ استفحل فيهم طلب الثأر والعصبية القبلية والنعرات الجاهلية :

إذا افترقوا عن وقعةٍ جَمَعَتْهُمُ   لأُخرى دِمَــاءٌ ما يطَلُّ نَجِيعُها
تذمُّ الفتاةُ الرُّودُ شيمةَ بَعْلِهَا   إذا باتَ دُونَ الثَّأرِ وهو ضَجِيعُها
حمّية شَغْبٍ جاهليّ وعزّةٍ   كُلْيبيّةٍ أعْيَا الرّجَـال خُضُوعُها

وهذي هي الحال إلى أن جاء الصلح الميمون واستطاع الخليفة بفطنته وحنكته إصلاح الأطراف المتنازعة وإخضاع الجميع إلى الحق :

فلولا أميرُ المؤمنيــن وطَـوْلُهُ   لعادت جُيوبٌ والدّماءُ ُدُرُوعُها
ولاصْطُلِمَتْ جُرْثُومَةٌ تغلبيّةٌ   بها اسْتُبْقِيَتْ أغْصَانُها وفُرُوعُها
رَفَعْتَ بِضَبْعَىْ تغلبَ "ابنة وائلٍ"   وقد يئِسَتْ أن يَسْتَقلَّ صَرِيعُها

١.من قبائل العرب يرجع بنسبها إلى ربيعه بن نزار بن معد بن عدنان ينظر حاشية القصيدة ، وهي قبيلة ربيعة ابن نزار، شعب عظيم فيه قبائل عظام، وبطون وأفخاد، ينتسب إلى ربيعة بن نزار بن معد بن عدان ويعرف بربيعة الفرس، كحّالة، عمر رضا ١٩٨٥م، **معجم قبائل العرب القديمة والحديثة** ، ط٥، بيروت: مؤسسة الرسالة

٢.**البحتري** ٢٢٥٢/٤

٣. السابق ١٢٩٨/٢ أقوت: خلت وأقفرت، المصانع : القرى والحصون والقصور ، الوحشة: القفر ، الشروع: الابل الداخلة في الماء.

ويصور حال بني تغلب بعد الصلح :

تألّفَهُمْ من بعدِ مــا شَرَّدَتْ بهم حَـفَائِظُ أخلاقٍ بطيءٍ رُجُوعَها

وينهي قائلاً:

رَبَطْتَ بِصُلْحِ القوم نافِرَ جأشِها فَقَرَّتْ حشاها وأطْمأنَّتْ ضُلُوعُهَا

بَقِيتَ، فكمْ أبقيتَ بالعفو مُحْسِناً على "تَغْلِبٍ" حتى اسْتَمَرَّ ظَلِيعُـها[١]

فيصور لنا البحتري حال المشاحنات والفتن الداخلية التي كانت سائدة آنذاك وموقف الخليفة من تلك المنازعات، فتبدو السلطة العباسية متسامحة حاقنة للدماء آخذة بيد الملهوفين، مؤلفة للقلوب، مبعدة لاشباح الخوف والقتل والتشريد عن الناس [٢]

ومن أوائل الذين ثاروا في عصره محمد بن البعيث سنة ٢٣٤ هـ إذ تحصن بحصن "مرند"، وأخذ يجمع العدد والعدّة لقتال المتوكل، ووجه إليه المتوكل بعض الجيوش لقتاله، فلم تستطع الوصول إليه، ثم بعث إليه بغا الشرابي فحاصره وقاتله، وفر محمد بن البعيث على وجهه وهو ينشد:

كم قضيت أموراً كان أهملـها غيري وقد أخـذ الإفلاسُ بالكَظَمِ

لا تعذلّني فيما ليس ينفــعني إليك عــني جرى المقدار بالقلمِ

سأُتلف المال في عسرٍ وفي يُسُرٍ إن الجواد الذي يعطي على العَدَمِ [٣]

---

١. **ديــوان البحتــري** ١٢٩٦/٢-١٣٠١ ، الجيوب:جمــع جيــب، وهــو طــوق القمــيص، اصطلمت:استؤصــلت، الجرثومة:الأصل، الضبع:وسط العضد أوكله ورفع بضبعه:أنهضه،الحفائظ: الغضب فيما يجب أن يحفظ، الجأش: القلب والصدر الظليع الذي يغمر في مشيته.

٢. عايش، ياسين(١٩٩٣م) **الشعر في بلاد الشام والجزيرة**، ص١٢٦

٣. معجم الشعراء ص٣٨٥، وينظر شعره القفطي، علي بن يوسف(١٩٧٠)، **المحمدون من الشعراء وأشعارهم**، (تحقيق حسن معمري) راجعه محمد الجاسر دار اليمامة ، الرياض ، ص١٦٩ .

وتبعه جمعٌ من الجيش وأحضروه للمتوكل فأمر بضرب عنقه، فقال بين يديه طالبا العفو :

أبى اليأس إلا أنك اليوم قاتلي   إمام الهدى والصفح أولى وأجمل
تضاءل ذنبي عن عفوك قِلّةً   فمُنّ بعفو منك، فالعفو أفضل
فإنك خير السابقين إلى العلا   وإنك بي خير الفعالين تفعل[١]

فهو يطلب منه العفو والعطاء وكان كما تمنى فقد عفا عنه الخليفة وخفض عنه الحكم من الإعدام إلى الحبس مدى الحياة [٢]

كما اشتعلت في خلافة المتوكل نيران الثورات، العلوية فحاول الشيعة أن يشكلوا حزبا معارضا للخليفة يخرجون عليه ويرفعون سيوفهم في وجهه ، وتنبه الخليفة لذلك فحاول كسر شوكتهم بأن أوقف زياراتهم لقبر الحسين وأمر فيما بعد بهدم القبر، وأخذ يوقع بهم وينكل نكالا شديداً وأمر بحبس عدد من الطالبيين في سامراء [٣].

وصور شعر العلويين هذه الثورات، وتمثلت أشعارهم في اتجاهين الأول يتمثل بالاحتفاء بالبيت العلوي والفخر بالآباء والنسب للرسول الكريم، وهذا ما نجده متمثلا في شعر محمد بن علي [٥] من مثل قوله في ذلك :

إني كريم من أكارم سادة   أكفهم تندى بجزل المواهب
هم خير من يحفى وأفضل ناعل   وذروة هضب الغر من آل غالب

---

١. **معجم الشعراء** ،ص٣٨٥

٣. ينظر سلامة ،يسري(١٩٩٤)، **الأدب في القرن الثالث الهجري (ظواهر فنية واجتماعية عند شعرائه)** ، الاسكندرية: دار المعرفة ص١٢٦

٤. . ينظر ضيف،شوقي، **العصر العباسي الثاني** ، ص٣٨٥

٥. محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن الحسين بن عبدالله بن العباس يكنى أبا اسماعيل ، **معجم الشعراء** ص٣٨١

هم المنّ والسلوى لدان بوده　　　وكالسمّ في حلق العدو المجانب[١]

أما الاتجاه الثاني فتمثل بنظم قصائد طلب العفو والرجاء من المتوكل، ومنه ما قاله محمد بن صالح العلوي[٢] أحد ثوار العلويين، فقد أوقع به المتوكل وحبسه ثلاث سنوات لتمرده، ثم عفا عنه بفضل قصيدة نظمها يوسط فيها الفتح بن خاقان فمدح الشاعر المتوكل مدحا عاما مؤكدا حق العباسيين بالخلافة فيقول

يا ابن الخلائف والذين بهَديهْم　　　ظهرَ الوفاء وبان غدرُ الغادرِ
وابن الذين حَوَوْا تراث محمّدٍ　　　دون البرية بالنصيب الوافر
نَطَقَ الكتابُ لكم بذاكَ مُصدِّقاً　　　ومضت به سُنَنُ النبيّ الطاهرِ[٣]

فالشاعر يستظل بهذه المدحة إذ ساق الأدلة والبراهين على حق العباسيين في الخلافة مخالفا اعتقاده العلوي وما يؤمن من مبادئ الامامية في الخلافة [٤]
كذا نرى التحام الشعر والسلطة، فالشعراء يضفون هالة من القداسة على الخلفاء مسايرين حالهم طمعا وخوفا في آن معا .

---

١. **معجم الشعراء** ص٣٨١

٢ . محمد بن صالح بن عبدالله بن موسى بن عبدالله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب يكنى أبا عبدالله ، **معجم الشعراء** ص ٣٨٠

٣. السابق، الصفحة نفسها، الأصفهاني ،وينظر **مقاتل الطالبين**، ص ٦١٠+٦١١

٤ . هياجنه، محمود سليم (٢٠٠٩)،**الخطاب الديني في الشعر العباسي إلى نهاية القرن الرابع الهجري**. ، ط١، ، اربد :دار جدارا ص١٧٠+١٧١

ح. الشعر في الشؤون الخارجية:

الصراع مع الروم:

لم تخمد نيران الصراع بين العرب والروم في الخلافة العباسية بل ظل الصراع على أشده مما جعل العباسيين يعملون على تقوية ثغورهم مع الروم.

وصور الشعر السجالات الحربية الدائرة بين العرب والروم، فمدح الشعراء قادة المسلمين وخلفاءهم العرب، ووصفوا مناعة خططهم العسكرية وهنأوهم بانتصاراتهم ، فنجد في خلافة المتوكل نماذج قليلة لشعر الصراع مقارنة بمن سبقه من العصور ، ويعزو د. نصرت عبدالرحمن في كتابه شعر الصراع مع الروم سبب ذلك بانغماس الخليفة بحياة اللهو وابتعاده عن الجهاد بنفسه (١)

ومما قاله الشعراء في مدح القادة وتصوير المعارك الحربية ما نظمه البحتري مادحا يوسف بن محمد الثغري (٢)

وجاءَكِ يحكي يُوسفَ بن محمّدٍ فَرَوّتك رَيَاهُ ، وجادَكِ ماطِرُهْ
رأيتُ أبا يَعْقُوبَ والنّاسُ ذو حِجىً يُؤَمِّلُهُ أو ذُو ضَلالِ يُحَـاذِرُهْ
هو المَلِكُ المرجُوُّ للدّينِ والعُلا فلِلهِ تقوَاهُ وللمَجْدِ سـائِرُهْ!
له البأسُ يُخْشَى، والسّماحةُ تُرتَجَى؛ فلا الغَيْثُ ثانيهِ، ولا اللّيث عاشِرُهْ

فهو يصور تقوى الممدوح وارتفاع شأنه ومجده، ويصف تفرده حتى إن الغيث لا يلحق به فيكون تالياً له حتى الليث لم ينل من بأسه الإ عشره
ويذكر دوره في مقاتلة الروم وأسره لقائدهم بعد ان شاغب الإسلام خمسين عاما وعاث فسادا وتخريبا، فيقول مصوراً إحدى تلك المعارك التي وقع فيها:

١.نصرت عبد الرحمن، **شعر الصراع مع الروم** ص ٩٦

٢. ابن أبي سعيد الثغري شارك أباه منذ نعومة أظفاره في غزواته ، ينظر السابق ص١٣٢ .

وما كانَ "بُقْرَاطُ بن آشـُوطَ" عِنْدَهُ   بــأوّلِ عَبْدٍ أوْبَـقَتْهُ جَرائِرُهْ
وقد شَاغَبَ الإســلامَ خَمْسينَ حِجَّةً   فلا الخوفُ ناهيهِ، ولا الحِلْمُ زاجرُهْ
ولما الْتَقَى الجَمْـعَانِ لم تَجْتَمْع لهُ   يَدَاهُ، ولم يَثْبُتْ على البِيضِ ناظرُهْ
ولم يَرْضَ من " جُرْزَانَ" حِرْزاً يُجِيرُهُ   ولا في "جِبَال الرُّومِ " رَبْداً يُجَاوِرُهْ
فجاء مجيءَ العَيْرِ قادَتْــهُ حَيْرَةٌ   إلى أهْرَتِ الشّدْقَيْنِ تَدْمَى أظـافِرُهْ
ومَنْ كانَ في اسْتِسْــلامِهِ لأئماً لهُ   فَإنّي على ما كان من ذَاكَ عــاذِرُهْ
وكيفَ يَفُوتُ اللّيثَ في قيد لَـحْظَةٍ   وكان على شَهْرَينِ وهو مُحاصِرُهْ
تضمّنهُ ثِقْلُ الحديد فأُحْكِمَــتْ   خَلاخِلُهُ من صوغِهِ وأســاوِرُهْ (١)

فيذكر الشاعر بسالة الممدوح وخبرته الحربية، فهو قارع جيوش الروم وهزمهم هزيمة ساحقة، وقد استطاع المسلمون بتدبير هذا القائد تحقيق النصر العظيم . ويسعى الشاعر في هذه القصيدة وغيرها من شعر الصراع إلى رسم الدقائق والتفاصيل وتصوير المعاناة والصعوبات التي يواجهها الجيش في مقاتلة الروم.

ويمدح البحتري محمد بن يوسف الثغري في إحدى قصائده مبيناً دوره في الصراع مع الروم بفضل خططه العسكرية ورجاحة رأيه وبلاغته وقدرته على التخطيط والتدبير فرأيه راجح سبّاق إلى المعرفة يستشرف الأمور ودقائقها له القدرة على حزم الأمر والكلمة بثلاثة أحرف :

تَبْـدُو مَوَاقِعُ رأيه وكأنّــها   غُرَرُ السَّوَابقِ من يَفَاعٍ مُشْرِفِ
وإذا استعانَ بِخَــطْرةٍ من فِكْرِهِ   عَنَنٍ، فَسِتْرُ الغيبِ لَيسْ بِمُسْجَفِ
وإذا خِطَابُ القَوْمِ في الخَطْبِ اعْتَلَى   فَصَلَ القَضِيّةَ في ثَلاثةِ أحْرُفِ

ويصف قتاله مع الروم:

جازَت على "الجَوْزَاتِ" وانْكَدَرَتْ على   ظَهْرٍ من "الصَّفْصَافِ" قاعٍ صَفْصفِ
صَبّحَنْ مِنْ " طَرطُوس" "خَرْشَنَةَ" الّتي   بعُدَتْ على الأمل البعيدِ المُوجِفِ
وتَــرَكْنَ"فاوةَ" وهي مأوىً للصّدى   مَشْفُوعَةً بصدى الرِّياحِ العُصَّفِ
وعـلى "قُذَاذية" انْحَطَطْنَ برايَــةٍ   أوفت بقادمتي عُقابٍ مُنْــكفِ

---

١. **ديوان البحتري** ٨٧٦/٢ – ٨٧٩ جرزان: أسم جامع ناحية أرمينا، العير: الحمار الوحشي أو الأهلي، المقانب جمع مقنب وهو جماعة من الخيل الفرسان (يمظر حاشية الديوان).

حُزْنَ الخَصِّي وقد تَقَحَّـمَ طالبـاً   ثأرَ الخَصِيّ بـركْضٍ جَدٍّ مُقْرِفِ
بَهَتَتْهُ أهْوَالُ الـوَغَى فَلَـو انّهُ   عَيْنٌ لشدَّة رُعْبِهِ لـم تَطْـرِفِ
يا يوسفَ بن مُحَمّدٍ مـا أحْمَدَ الـ   رُّوم انْصِلاتك بالـحُسام المُرْهفِ
وَدُّوا وداداً لو جَدَعْتَ أُنوفَــهُمْ؛   جَدْعُ الرُّءُوس خِلاَفُ جَدْع الآنُفِ[١]

ويمدح البحتري أبا سعيد الثغري الذي توجه لفتح القسطنطينية جامعاً صفات البطولة والشجاعة والإقدام :

وهَدّةِ يومٍ "لابن يُوسُفَ" أسْمَعَتْ   من الرُّوم ما بين"الصّفا" و "الأخاشِب"
لقد كان ذاك الجأشُ جأشَ مُسَالِمٍ   على أنّ ذاك الـزَّيَّ زيُّ مُحارِبِ[٢]

وفي هذه المدحة يستدعي الشاعر أصحاب البأس والقوة ليصل في النهاية إلى القول إن ممدوحه أسرع وأجرأ فيقول:

مَفَازةُ صَدْرٍ لو تُطَرَّقُ لم يَكُنْ   لَيَسْلُكَها فَرْداً " سَليكُ المَقانبِ" [٣]

وقد شبه البحتري الخارج الذي حاربه أبو سعيد بابن وهب الذي كان من خيار التابعين فقدمه الخوارج عليهم وسموه بالخلافة فلقي أسوأ مصير فهذا الخارج قد سار سيرة ابن وهب.

وقد سارَ في " عمرو بن غَنْمِ بن تغلِبٍ"   مسير"ابن وَهْبٍ" في عَجاجةِ"رَاسبِ"

---

١. **ديوان البحتري** ١٤١٥/٣-١٤٢١، اليفاع: كل ما ارتفع من الأرض، الغرر: جمع الغرة وهي بياض في جبهة الفرس، السوابق: الخيل السابقة، مسجف: مسدل، العنن: الاسم من عن الشيء إذا ظهر لك، أنكد في السير: أسرع، القاع الصفصف: المستوى المطمئن، طرطوس:اسم مدينة بالشام، خرشنة: مدية ببلاد الروم،الصدى:ذكر البوم، العقاب: طائر من الجوارح، القادة :الريشات في مقدم الجناح وهي كبار الريش. المقرف: من الفرس وغيره ما يداني الهيجنة أي أمه عربية لا أبوه الخصي: موضع في بلاد الشام .

٢.الصفا : العريض من الحجارة ، الأخاشب جبلان يضافان تارة إلى مكة وتارة إلى منى

٣. السليك بن السلكة من شعراء الجاهلية الصعاليك . وكان يسبق الخيل عدوا على رجليه .

وأغنى البحتري لوحته المدحية لهذا البطل بتكثيف الاشتقاقات وإغناء النص باللوحات الموسيقية إذ قال (ريب_ رائب، مصحوب_ صاحب، شارد_ الشوارد، غريب، الغرائب)

لقينَا هلالَ البَطْحِ سعداً لدى " أبي سَعيدٍ" وريبُ الدَّهْرِ ليس بِرَائبِ
شَدَدْنا عُرى آمالنا وظُـنونا بأجودِ مصْحُوبٍ وأنجَدِ صاحبِ
تداركَ شَمْلَ الشّعْرِ، والشّعرُ شاردُ الـ شوارِدِ مرذولٌ غريبُ الغرائبِ
فَضّم قواصـيهِ إليـه تَيَقُّناً بـأنّ قوافيهِ سُلُوكُ المَناقب[١]

وقال يمدحه مبرزا صفاته الخلقية وما يتحلى به من شجاعة وبأس فهو كالبدر المضيء الذي ينير ليالي الشرق بأفعاله وشجاعته، وهو الربيع الأخضر الجديد الزاهي المشرق، وهو السيف القاطع الرصين الذي جمع شمل المسلمين وقوّى شوكتهم وأعاد لهم هيبتهم وحمى ثغورهم وأراضيهم،فكثف الشاعر في هذه المدحة التشبيهات التي تعلي شأن الممدوح وتبرز صفات الخليفة وبطولاته ورسم الصور عبر عدد من أساليب البديعيين مما أضفى على النص بعداً جمالياً وموسيقياً :

فاتَ العُلا " بأبي سعيدٍ" صِنْوِها الـ أدْنَى، وأعْقَبَها " أبا يَعْقُوبَا "
كالبدر جَلَّى ليلهُ ثم ابْـتَدَتْ شَمْسُ المشارِق إذْ أجدَّ غُروبا
أو كالسِّماك إذا تدلّى رُمْحـهُ كانت له الكَفُّ الخضِيبُ رقيبا
أو كالخريف مضى وأصبح بْعدهُ وشْيُ الربيعِ على النّجادِ قشيبا
أو كالسحّاب إذا انْقَضَى شؤبُوبُهُ أنشا يؤلِّفُ بَعْدَه شؤْبُوبـا
أو كالحُسَام أُعِيرَ حـدَّاهُ الرّدَى إن كلَّ هذا كان ذاك قَضُوبا
فاليوم أصبحَ شَملُنا متجـمّعاً يُشْجِي العَدُوَّ، وصَدْعُنا مَرْءُوبا
كَرُمَتْ خلائقُ "يوسُفَ بن محمّدٍ" فينا، وهُذِّبَ فِعلُهُ تهذيـبا
ورمى بثُغْرَتِهِ "الثّغورَ" فسَدَّها طَلْق اليَدَيْنِ مُؤَمّلاً مرْهُوبا[٢]

---

١. **ديوان البحتري** ١/١٧٨-١٨٣، البطح: البسط منزل من منازل القمر.

٢.السابق ١/١٨٥-١٨٦ ،الألوى: العسر الشديد، الخصومة، المدجج: الملابس السلاح لأنه يتخطر به، القناه: الرمح والكعوب عقدها،السماك: كوكب، النجاد: ماأشرف من الأرض وارتفع، القشيب: الجديد، الشؤبوب: الدفعة من المطر، القضوب: القاطع، المرءوب: الذي أصلح صدعه، ينظر حاشية القصيدة.

وقد يجمع البحتري بطولات الممدوح ببيت شعري واحد مصوراً بطشه إذ غدا اسم الثغري مرهوباً ترهب الأمهات بذكره صبيانهنّ :

فَزَّعُوا باسْمِكَ الصَّبيَ فَعَادَتْ حَركاتُ البُكَاءِ مِنْهُ سُكُونَا [١]

ومدح البحتري أحمد بن دينار أحد قادة المعارك الحربية وصور انتصاره الذي حققه ضد الروم فأجاد إجادة رائقة في تصوير مطلع القصيدة، حيث أخذ يلفت النظر والخيال إلى وصف الربيع وعناصره الطبيعية في مجموعة من المناظر والمشاهدات الحية المتناسقة ، بقالب من الاستعارات والتشبيهات التي كللت جمال الصورة ، فامتلأت مقدمة القصيدة بألوان الرياض والحدائق وقطرات الندى إضافة إلى حركة الرياح التي تحمل معها ذكريات المحبوبة وغير ذلك من الألوان المناسبة للبدء بقصيدة مدحية لقائد عظيم حقق النصر للمسلمين.وكما استطاع عبر هذه المقدمة أن يأتي على عناصر الكون الأربعة الضرورية اللازمة للحياة وللأحياء معاً فاستخدم الماء بتحويلاته ثم ذكر التراب ونور الشمس والريح وبذلك أتى على عناصر الحياة[٢] .

ويمدح الشاعر القائد فيصف كرمه وفيض جوده وعطاءه المدرار فيصوره بالغيث المنهمر والسيل المتدفق وقد جمع بين الهيبة وحسن التدبير، قائلا :

بأحْمَدَ أحْمَدْنَا الزَمَانَ وأسْهَلَتْ لنا هَضَبَاتُ المَطْلَبِ المُتَوعِّرِ

فَتَىَ إن يَفِض في ساحةِ المَجْدِ يَحْتَفِلْ وإن يُعْطِ في حَظِ المَكَارِمِ يُكْثِرِ

هو الغَيْثُ يَجْرِي من عَطَاءٍ ونائِلٍ عَلَيْكَ، فَخُذْ من صَيِّبِ الغَيثِ أو ذَرِ

أضاف إلى التّدبير فَضْلَ شَجاعةٍ، ولا عَزْمَ إلا للشُّجَاع المُدَبِّرِ

كما وصف مركب ابن دينار وكيف ارتفع مكاناً سنياً يرقب ما حوله، ويصور مجريات المعركة من هبوب الرياح الذي يرفع المركب كانه عقاب يراقب ما يحوط به ، ويلتفت الشاعر لجند المسلمين المدربين على الفنون القتالية البحرية ،إذ باشروا برشق النار وضرب جنود الروم ، كأنهم ركابون للهول معاقرون كؤوس المنايا:

---

١. المحاسني ،زكي (١٩٦١م) **شعر الحرب في أدب العرب في العصرين الأموي والعباسي إلى عهد سيف الدولة** ، مصر: دار المعارف ، ص١٩٩ ، وينظر **ديوان البحتري** ٢١٦٦/٤

٢. الربايعة ،حسن محمد (١٩٩٩م) **حرب الأساطيل في ديوان البحتري" قراءة جديدة"**ط١، عمان:المركز القومي للنشر، ، ص ٣٥

وحَوْلَكَ رَكَابُونَ للهَوْلِ عاقَرُوا   كُؤُوس الرَّدَى من دارعينَ وحُسَّر
إذا رَشَقُوا بالنَارِ لم يَكُ رَشْقُهُمْ   لِيُقْلِعَ إلا عن شِوَاءٍ مُقَتَّرِ (١)

ويصور فرار قائد جيش االروم بصورة تبعث على السخرية منه والضحك عليه :

مَضَى، وهو مَوْلَى الرِيحَ يِشْكُر فَضْلَها   عَلَيهِ، ومن يُولَ الصَّنيعةَ يَشْكُرِ
إذا المَوْجُ لمْ يبْلِغْهُ إدراكَ عَيْنِهِ   ثَنَى في انْحِدَارِ المَوْجِ لَحْظَةَ أخْزَرِ
تعلقَ بالأرضِ الكبيرةِ بَعْدَما   تَقَنَصَهُ جَرْيُ الرَدى المُتَمَطَّرِ (٢)

وكان البحتري واحداً من رجال الصوائف فيما يعبر عن ذلك قوله في قصيدة يمدح بها أبا سعيد الثغري وابنه فقال في ليلة قضاها بطمين [٣]:

أليلتَنَا الطُّولى " بطمين "! هَلْ لنا   سَبيلٌ إلى الليلِ القَصير ببابلا
سلامٌ على الفتيانِ بالشَرْقِ إنني   إلى الجانبِ العَرْبيّ يَمَّمْتُ واغِلا
مع الليثِ وابنِ اللَيْثِ أُضْحِي مُغَاوراً   حمَاةَ الضّواحي ثُم أُمْسي مُقاتِلا (٤)

فقد طال ليله بطمين واشتاق لليل بابل الرغد القصير

---

١. **ديوان البحتري** ٩٨١/٢-٩٨٢، احتفل الوادي بالسيل: امتلأ، الدارع:لابس الدرع، الحاسر:ضد الدارع، المقتر: ذو القتار وهو الدخان و الرائحة من الشواء أو النجور أو العظم المحروق. ينظر تصوير المعركة البحرية :عطوان ،حسين، **وصف البحر والنهر في الشعر العربي من العصر الجاهلي إلى العصر العباسي الثاني** ص٩٦-١٠٣

٢. السابق ،الواغل الذي ذهب فأبعد ، المغاور :المغير .

٣. طمين :موضع ببلاد الشام وسميّ باسم بانيه طمين بن الروم بن اليفز بن سام بن نوح عليه السلام ، **معجم البلدان** ٤١/٤ دار صادر ١٩٧٩م .

٤. **ديوان البحتري** ٣ /١٦٠٤ وينظر دراسة القصيدة عايش، ياسين، الشعر في بلاد الشام والجزيرة، ص١٧٨

ولم يكتف الشعراء بتصوير البطولات ومدح أبطال المعارك بل صوروا ما حلّ بالثغور الاسلامية من خراب ودمار على يد الروم، ومنه ما قاله يحيى بن الفضل مخاطبا المتوكل يطلب نجدته وإغاثته ويثير همته للدفاع عن أهل مصر، فالعدو الرومي استباح أرض مصر واستحل حرائم المسلمين :

أترضى بأنْ توطا حريمُكَ عَنْوَةً وأن يستباحَ المسلمونَ ويحرمَوا

حمارٌ أتى دمياطَ والرومُ وثّبٌ بتنيّسَ منهُ رأيُ عـينٍ وأقربُ

مـقيمون بالأشتيومِ يبغونَ مثل ما أصابوه من دمياط والحربُ ترتبُ

فما رامَ من دمياط شبراً ولا درى من العجز ما يأتــي وما يتجنبُ

فلا تنــسنا إنا بدار مضيعةٍ بمصر وإن الدينَ قد كاد يذهبُ[١]

وأثرت هذه القصيدة بالمتوكل وأمر ببناء حصن دمياط [٢]

ففي هذا المقطع الشعري نجد الفضيل يخاطب المتوكل، ويصور له سوء الأوضاع وما أصاب المدينة من خراب ودمار على يد الروم، وهو يشحن الأبيات بعاطفة الحزن والمرارة والألم بهذه الفجيعة وما صحبها من دمار وخراب وتعدٍ على الأعراض ، ليحث الخليفة على التحرك لملاقاة الروم والأخذ بثأر المسلمين .

١.يحيى بن الفضل : شاعر مصري كان في ولاية عنبسة بن اسحاق الضبي قال القصيدة عندما نزلت الروم بدمياط سنة ٢٣٨هـ وقتلوا بها جمعا كثيرا من المسلمين، الكندي،محمد بن يوسف ، **ولاة مصر** ، (تحقيق حسين نصار) دار صادر ، بيروت ص٢٢٧

ينظر **شعر في الصراع مع الروم** ص١٤٤

تنيس جزيرة في بحر مصر قريبة من البر بين الفرما ودمياط **معجم البلدان** ٥١/٢ (دار صادر ١٩٧٩)

الاشتيوم : موضع قرب تنيس استشهد الحموي بهذا البيت الشعري ، **معجم البلدان** ١٩٦/١ (دار صادر ١٩٧٩م)

٢. بدأ بناء الحصن يوم الاثنين لثلاث خلون من شهر رمضان سنة ٢٣٩هـ ، الكندي ، **ولاة مصر** ص ٢٢٧

وفي صراع الدولة مع الروم يسجل الشعر فداء أسرى المسلمين ومن ذلك ماقاله البحتري في إحدى مدائحه للمتوكل في أحداث ٢٤١هـ:

لا يَعْدَمَنْكَ المسلِــمُون فإنّهُم   في ظِلِّ مُلكِكَ أدْرَكُوا ما أمَّلوا
حَصَّنْتَ بَيْضَتُهمْ وحُطْتَ حَرِيمَهُمْ   وحَمَلْتَ من أعبائِهِمْ ما استقلوا
فادَيْتَ بالأسْرَى وقد غَلِقُوا فلا   منٌّ يُنَالُ ولا فِــدَاءٌ يُقْبَلُ
ورأيتُ وَفْدَ الرُّومِ بَعْدَ عِنَــادِهِمْ   عَرَفُوا فَضَـائلَكَ التي لا تُجهلُ
نظروا إليك فَقَدَّسوا، ولو انَّــهُمْ   نَطَقُوا الفصيَح لَكَبّروا ولَهَلّلُوا
لحظُوكَ أوّلَ لَحْظَةٍ فاسْتَصْغَرُوا   من كان يعظم فيهمُ ويبجّلُ
أحْضَرْتَهُمْ حُجَجاً لو اجْتُلِبَتْ بها   عُصْمُ الجبال لأقْبَلَتْ تَتَنَـزَّلُ
ورأوْك وضّاحَ الجبينِ كما يُرَى   قَمَرُ السّماءِ التّمّ لَيْلَةَ يَكْمُلُ
حَضَرُوا السّمَاطَ فَكُلّما رامُوا القرى   مالَتْ بأيْدِيهم عُقُــولٌ ذُهّلُ
.تَهْوى أكفُّهمُ إلى أفواهِهِــمْ   فَتَجُورُعن قَصْد السَّبيلِ وتَعْدلُ
مُتَحَيِّرُونَ فَباهِتٌ مُــتَعجّبٌ   ممّا يَــرَى أو ناظِرٌ مُتَأمِّلُ(١)

فهو يمدح المتوكل ويبين فضله على المسلمين؛ إذ أدركوا ما أملوه، فقد ذاد عن حماهم، وفدى أسراهم، وحمى حريمهم من الأسر، ويصور قدوم الروم للمتوكل طالبين فداء الأسرى لما عرفوه من فضائل هذا الخليفة بمحضره ومنظره فهو كالبدر في تمامه حتى إنهم لو عبروا عما يجول في خواطرهم من الاعجاب لهللوا وكبروا.

ويصور استقبال هذا الوفد، فقد استقبل بحفاوة وبُسط له الطعام وأُكرم في الضيافة، فقُدم لهم كل ما تشتهيه الأنفس، فذهلوا حتى غدوا من شدة ذهولهم تجور أيديهم على أفواههم وتضل سبيلها ، ويصور لنا تخليص الأسرى من الأعداء بقالب يُطبع ببساطة التعبير وسلاسته وصدقه في نقل خوف المسلمين على أسراهم .(٢)

---

١. **ديوان البحتري** ٣/ ١٦٠١-١٦٠٢ البيضة : الساحة ، الحريم ما حرم فلم يمس، عصم الجبال : الممتنعة ، الحجج: البراهين ، السماط : صف الجند الذين يتقدمون بين يدي الملك وسماط الطعام وما يبسط ليوضع عليه ، القرى : ما يقدم للضيف ، الباهت: الدهش ،غلقوا : عجز عن افتكاكهم

٢. عبدالرحمن، نصرت ،**شعر الصراع مع الروم** ١٤٦-١٤٧

ومما سبق يتضح لنا تصوير الشعراء صراع العرب مع الروم وجاءت أشعارهم مقسمة ثلاثة محاور : الأول مدح قادة المسلمين وخلفائهم والتغني بدورهم بتحقيق النصر كما نجد في قصائد البحتري في مدح يوسف بن سعيد الثغري وأحمد بن دينار، والاشادة بدور الخليفة بتوجيه القادة، والمحور الثاني: تهنئة الخليفة بالنصر ومدح خلافته السنيّة التي حققت عدداً من الفتوحات، والمحور الثالث هو تصوير الشعر صوراً من المعطيات الحربية مثل تصوير الوفود وفداء الأسرى وتصوير الخراب والدمار ورثاء أبطال المعارك.

الفصل الثاني :

مظـــاهر الحياة الاجتماعية والمذهبية

كان عصر المتوكل عصر رخاء اقتصادي، ونشاط اجتماعي شهد تطورات اجتماعية متعددة، خاصة في مدينة سامراء، مدينة الخلافة المتوكلية، كونها العاصمة السياسية والاجتماعية للدولة العباسية وهي محط التغيرات والتطورات المختلفة.

وتأثرت الحياة الاجتماعية بالخليفة ورجال دولته ووزرائه وقوّاده وجيشه، ووصف المسعودي أيام المتوكل فقال :"كانت أحسن الأيام وأنضرها ....."[١]، فعصر المتوكل عصر هدوء نفسي حافل بالترف والرفاهية وقد عبّر الشعراء عن ذلك فقالوا :

قُرْبُكَ أَشْهَى مَوقِعَاً عَنْدَنا ... من لينِ السّعرِ وأَمْنِ السّبيل

ومِنْ ليالي الحبّ موصولة ... بطيبِ أيامِ الشّبابِ الجميل [٢]

ويعرض الأدب بعض الملامح عن الحياة، وفئات المجتمع وعناصره المتعددة، والصراع بين طبقاته، إذ صور لنا الشعر ملامح الطبقة العليا في غناها، ولهوها وترفها الباذخ، الذي كانت تنعم به، وبالمقابل صور لنا أحوال الطبقة الدنيا في فقرها، وبؤسها وشقائها الذي تعيشه .

كما حملت هذه الحقبة وزر كثير من الأمور التي نشأت في العصر العباسي الأول مثل ضعف مقاليد الحكم وسيطرة الأتراك، وانصراف الناس إلى الملذات وإشاعة شرب الخمر، و غير ذلك مما أثر في طابع الحياة الاجتماعية. فظهر تيار ماجن يصف أديرة الشراب وأماكن اللهو والعبث وغير ذلك.

وظهر تيار زاهد معاكس لحياة الترف والمجون وطغيان الخلفاء والأمراء والقادة والطبقات العليا من الشعب فظهرت نزعة صوفية تدعو إلى التزهد بأمور الدنيا وترفها.

---

١. المسعودي، **مروج الذهب** ، ٤/ ٨٦

٢. **السابق** ١٢٢/٤

الشعر يصور عناصر المجتمع:

كان العنصر التركي من أبرز عناصر المجتمع العباسي المؤثرين في السياسة في عهد المتوكل؛ قد لعب الأتراك دوراً بارزاً في مسرح الأحداث، ورسم مجرياتها، قد بدأ عهد المتوكل في الخلافة بعد مجيء الأتراك بأكثر من اثنتي عشرة سنة[١]؛ أي بعد أن تمكنوا في الأرض، وعرفوا الناس والبلاد، وأمسكوا بزمام الدولة، فاستحوذوا على الإدارة والحكم.

وبقدر ما حاول المتوكل الإيقاع بهم، والفتك برجالهم وإعادة الدولة العباسية إلى سابق سيرتها العربية الأولى، إلا أنه لم يفلح في ذلك وكانت نهايته على يد الأتراك.

وكان للترك حضور بارز في الشعر الذي قيل في خلافة المتوكل، فقد سار هذا الشعر في خطين رئيسين هما: المدح والهجاء؛ إذ مدح عدد من الشعراء رجال الدولة والسياسة الأتراك، كما فعل الشعراء في مدح الفتح بن خاقان وزير المتوكل، وهو تركي الأصل ، إذ تسابق الشعراء في مدحه، ورغبوا في صلته وعطاياه، وكما عمل الشعراء على هجاء هذا العصر وبيان ما ألحق من ضرر في أمور الدولة.[٢]

فالحقيقة الماثلة أمامنا، تُظهر مدى هيمنة الأتراك، وتوغلهم في الشؤون الإدارية والسياسية للدولة، حتى غدا عنصرا خطيرا يهدد كيان الدولة، له من البطش والقوة والسطوة ما لا يستهان به، وخاصة بعد قتلهم للمتوكل، إذ قويت شوكتهم وعلت أصواتهم.

ومن عناصر المجتمع أيضاً العنصر الفارسي؛ الذي قلّ تأثيره السياسي مع وجود الأتراك ونفوذهم، وحاول الفرس استرداد هذا المجد واستذكاره، عبر محاولات عديدة استعادها الشعراء بعد نفورهم من الأتراك، وبدا ذلك واضحاً في سينية البحتري؛ التي استعاد بها أمجاد الفرس وتحسر على أيامهم التي خلت، ومنها قوله في سينيته المشهورة مذكرا بفضائل الفرس على العرب وما في ذلك من غمز بالترك:

غَيْرَ نُعْمى لأهْلها عِنْدَ أهلي، غَرَسُوا من زكَائِها خَيْرَ غَرْسِ

---

١. ينظر أمين ،أحمد، **ظهر الاسلام**، ط٣، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٢، ج١.

٢. ينظر الباب الأول من هذا الفصل، الجانب السياسي ، مدح وهجاء رجال الدولة .

أيّدوا مُلكَنا، وشَـدُّوا قُواهُ بِكُماةٍ، تَحْتَ اَلسّنَوّرِ، حُمْسِ
وأعانـُوا على كَتائبِ أَرْيا طَ بِطَعْنٍ على النُّحورِ، ودَعْسِ
وأراني من بَعْدُ، أكْلَفُ بالأشْـ ـرافِ طُرّاً من كل سِنْحِ وإسّ ِ [١]

فكان للفرس أثر في المجتمع وصّور البحتري هذا الأثر، فهم من أيّد ملك العرب وشدوا قواه في إشارة إلى مؤازرتهم للعباسيين في بداية قيام الخلافة العباسية، كما كان لهم فضل قديم على عرب اليمن حين أعانوا اليمنيين على أبرهة الحبشي.

واحتوى المجتمع العباسي أيضاً على طبقة من الزنج الذين امتلأت بهم القصور، وضجّت بهم الأروقة وأصبح لهم حضور بارز في الشعر، إذ أُغرِمَ الشعراء بهم و أولعوا بوصلهم وقامت الخلافات من أجلهم.

وكان هناك الرقيق الذين صالوا و جالوا في القصور و البيوت، و كان لهم أثر واسع في الحياة الاجتماعية، إذ كثر نسل الجواري و تعلموا الغناء، وانخرطوا في الحياة و مجالسها وقصورها وتعلموا إلى جانب الغناء الرقص والأوزان، و كثرت معاني العشق و الغرام بكلماتهم. [٢] ومن ذلك ما نظمه الشعراء في الجواري كقول الحسين بن الضحاك:

وزائِرة زارت على غَفْلَةٍ ياحبذا الزورة والزائره
فلم أزل أخدعها ليلتي خديعة السحر للساحره[٣]

وهناك اليهود و النصارى الذين اختلف حالهم و انقلبت موازين أمورهم، وغضب عليهم المتوكل وقيّدهم بعدد من ضوابط الحياة كلباسهم و بيوتهم و غير ذلك.[٤]

---

١. **ديوان البحتري** ١١٦٢/٢ ، السنح : الأصل ، الإس: أصل كل شيء ، السنور : نوع من الدروع ، أرياط : قائد جيش

٢.سيأتي تفصيل ذلك لاحقاً في الحديث عن مجالس اللهو والجواري .

٣.الأغاني ١٦٠/٧

٤. ينظر شعر الطوائف المذهبية

و كان العنصر الذي ضعفت شوكته، وتراجعت هيبته هم العرب، وتخاذل موقفه؛ لطغيان العنصر التركي، وتسلمهم زمام السلطان والأمور.

هذه العناصر المختلفة كانت تشكل سكان الدولة العباسية زمن المتوكل من أتراك وعرب وفرس وزنج ويهود ونصارى، واستلزم وجودها نشوء العصبيات الطائفية والمذهبية، وأثرت هذه العناصر في سياسة[١] الحكم وإدارة شؤون الدولة كما كان لها أثر في الحياة العقلية والفكرية والاقتصادية.

وأثرت هذه العناصر في اللغة والأدب؛ فتعددت الألسنة واللغات واللهجات، فأدخل الأعاجم، لغتهم وأفكارهم على الأدب واللغة، وكذلك العرب، وكما أبرز تفاعل هذه العناصر دوراً للمرأة؛ فتغيرت معايير الجمال وغزت المرأة المجالس والأسواق[٢].

وأدى وجود هذه العناصر المختلفة إلى انقسام المجتمع انقساما طبقياً، فرأينا الثروة موزعة توزيعا غير عادل ولا متقارب؛ فنلحظ نعيما مفرطاً وبؤساً مفرطاً، وحظي الخلفاء والأمراء ومن يلوذ بهم بهذا النعيم والترف، كما حظي به بعض الأدباء والعلماء وبعض التجار وكان البؤس والشقاء لأكثر الناس[٣].

ومن مظاهر هذا الترف عند الطبقة العليا ما بناه المتوكل من أبنية ضخمة، وما اعتاده الخلفاء والأمراء والوزراء من إقامة مجالس اللهو والشراب والإسراف فيها، والإغداق على الندماء والجواري بالهبات والعطايا، والإسراف في شراء الجواري، واستمتع أهل هذه الطبقة باللباس والشراب والمأكل وتفننوا في ذلك، فأبدعوا أنواعاً من الحلي والنسيج وزركشة الثياب وأنواعاً من العطور، واهتموا بالغناء والموسيقى وإقامة الرياض والبساتين والبرك والنوافير .

وظهرت مصادرة الأموال؛ لسد متطلبات الطبقة العليا وشهوات الحكام فالوزير إذا عُزل صادر الخليفة أمواله وغير ذلك من أشكال المصادرات وفرض الضرائب.

وتأثر الأدب بالحياة الاجتماعية وما فرضته من متطلبات الترف والبذخ، فأدى ترف المأكل والملبس والمعيشة إلى استخدام المحسنات البديعية والمبالغة في جماليات التعبير وكثرة التشبيهات والاستعارة[٤].

وعلا شأن الطبقة العليا والوسطى على رفات الطبقة العاملة المعدمة التي وقع عليها عبء

١-٤ ينظر،ضيف، شوقي، **العصر العباسي الثاني** ص ٥٣-٦٦

العمل في الزراعة والصناعات الصغيرة وفي خدمة الطبقتين السابقتين مما جعلها محلا للبؤس والضنك والشقاء، فهذه الطبقة هي رقيق الأرض لا تكاد تجد ما تقتات به، ومن كان يجد المال وإن كان قليلا كان يخضع لفرض الضرائب، فكانت هذه الطبقة البائسة مصدراً من مصادر رزق الدولة بفرض الضرائب عليها. (١)

وأدى ذلك إلى التقسيم الطبقي لوجود صنفين من الأدب: الأول، يعبر عن بذخ الطبقة العليا؛ وآخر: يصف حال الطبقة العامة ويصور بؤسها وشقاءها فنشأ تيار زاهد في هذه الدنيا ولهوها معبراً عن فقر أهلها فاكتظت المساجد بالعبّاد والنّساك والوّعاظ يصورون مهالك الترف ويزينون الزهد في عيون الطبقة المعدمة ومن زهاد ذلك العصر الحارث بن أسد المحاسبي والسقطي وغيرهما (٢)

وتظهر صورة الزهد الاستبداد السياسي والاجتماعي والعجز عن مواجهة المجون والترف فيجد البؤساء في الزهد متنفسا لآلامهم؛ فالخلفاء ينعمون بالحياة الى حد السفه ووراءهم طبقات تقطر تعباً وعرقاً من أجل كسب رزقها، فانشغل الشعب في تأمين قوت يومه، ولذلك لم يتدخل بأمور الدولة وسياستها، وصور عدد من الشعراء الحياة البائسة، منه ما كتبه محمد بن صالح العلوي ينشد المتوكل ويعظه ويدعوه للتفكر، وما سيكون أمره غداً، فلم تحمه القلاع والقصور ولم تمنع قدره وستذهب الحلل والتيجان وسينجلي النعيم فالجميع سواسية أمام حساب ربهم

باتوا على قُلل الأجبال تحرسهم	غُلْبُ الرجال فما أغنتهم القُلَلُ
واستنزلوا بعد عزّ عن معاقلهم	فأودعوا حُفَراً ، يا بئس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد ما قبروا	أين الأسرة والتيجان والحلل ؟
أين الوجوه التي كانت منعمةً	من دونها تضرب الأستار والكِلَلُ ؟
فأصبح القبر حين ساءلهم	تلك الوجوه عليها الدود يقتتل (٣)

---

١. ينظر ضيف ،شوقي ، **العصر العباسي الثاني**،ص٦١-٦٣

٢. الحارث بن أسد أبو عبدالله المحاسبي أحد من اجتمع له الزهد والمعرفة بعلم الظاهر والباطن **تاريخ بغداد**٢١١/٨ دار الفكر السقطي (طيّب الغذاء) أبو الحسن سريّ بن المغلس السقطي (ت ٢٥٣هـ) **تاريخ بغداد** ١٨٦/٩ (دار الكتب العلمية)

٣. **مروج الذهب** ٩٤/٤ .

أ_ الشعر يصور بعض ملامح الحياة الإجتماعية:

وصور الشعر في خلافة المتوكل صوراً عديدة للحياة الاجتماعية فاستمد الشعراء مناسبة قصائدهم من واقع حياتهم ومعيشتهم، فغدت أشعارهم تجسد جزءاً من العادات والتقاليد التي سيطرت على عقول الناس.

واختلفت هذه العادات باختلاف المناسبات فثمّة عادات تظهر الفرح وأخرى تظهر الحزن، ومن هذه العادات التي صورها الشعر بعهد المتوكل الاحتفال بالأعياد الدينية وتهنئة الخليفة بهذه المناسبة، فيهنئ البحتري المتوكل في إحدى مدائحه بحلول عيد الفطر:

بالبرِّ صُمْتَ، وأنتَ أَفْضَلُ صائم　　　وبسنةِ اللهِ الرضيّةِ تُفْطِرُ

فانْعَمْ بيومِ الفِطْرِ عيداً إنّه　　　يومٌ أغرُّ، من الزّمانِ، مُشْهِّرُ[١]

ومن صور الحياة الاجتماعية التي سجلها الشعر الاحتفال ببلوغ أولاد الخليفة، فهنأ البحتري المتوكل ببلوغ ابنه المعتز وإدراكه الحلم:

تهنيكَ في المُعْتَزِ بُشْرى بيِّنَتْ　　　فينا فَضِيلةَ هَدْيِهِ ورشَادِهِ

قَدْ أَدَرْكَ الحُلْمُ الذي أبدى لنا　　　عن حلْمِهِ ووقارِه وسَدَادِهِ[٢]

واحتفل المتوكل بالأعياد الفارسية مثل النيروز فقال البحتري في هذا العيد عام ٢٤٥هـ:

إن يوم النيروز عادَ إلى العهـــدِ الذي كانَ سنّه أردشير [٣]

ومن الطريف أن المتوكل كان يتلقى الهدايا في ذلك العيد ويجلس لاستقبال المهنئين، ومن ذلك عندما دخل عليه يختشوع الطبيب يحمل معه ملعقة كبيرة من جوهر ووضعها بين يدي المتوكل فرأى مالم يشاهده من قبل.[٤]

---

١. **ديوان البحتري** ١٠٧٠/٢-١٠٧٣

٢. السابق ٧٠٣/٢

٣. **تاريخ الطبري** ٣٣١/٥

٤.بختيشوع بن جبرائيل بن بيختيشوع بن جرجس، طبيب سرياني الأصل مستعرب قرّبه الخلفاء العباسيون ولا سيما المتوكل العباسي فعلت مكانته وأثرى حتى كان بغناه يضاهي المتوكل في الفراش واللباس ، نصر الله ، نضال (٢٠٠٤)**معجم الأطباء** ، (ط١)، ، دار الراتب الجامعية .وينظر في ترجمته : **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، ابن أبي اصيبعة ،موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم السعدي الخزرجي ،(ضبطه محمد باسل عيون السود) ،ط١ ،دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٩٩٨ ص٢٥٤-٢٥٥ .

ويشير ابن الجهم في إحدى قصائده إلى احتفال المتوكل بعيد المهرجان فقال:

أغتنم جدَّة الزّمــانِ الجـديدِ   واجعل المهرجان أيمن عيد [١]

كما احتفل المتوكل بعيد من أعياد الفرس يسمى " شاذكلاه" ومعناه يوم الورد العظيم [٢]، فيقيم الخليفة احتفالاً تُنثر فيه الورود، وفي أحد أيامه أمر بإقامة هذا الحفل فاستشار حاشيته فقالوا لـه لا يكون ذلك الآن وإنما في موسم الورد فقال المتوكل: بل الآن وأمر بإحضار وزيره عبيدالله بن يحيى فأمره بضرب خمسة آلاف ألف درهم فضُربت ثم أمره بصبغها بالأحمر والأصفر والأسود وأن يترك منها على حالـه ففعل وأمر الخدم بلباس خاص ففعلوا ونثروا الدراهم بين الأرض والسماء وتساقطت كأنها الورد. [٣]

ومن العادات نثر الدراهم في المناسبات المختلفة، ففي ختان المعتز ضُرب لوالدته قبيحة ألف ألف درهم نثرت على المزيّن ومن في حيزه والغلمان والشاكرية [٤]، وقهارمة الدار، والخدم الخاصة من البيضان والسودان. [٥]

ونظم مروان بن أبي السمط في هذه المناسبة واصفا نثر الدراهم :

هذي سماءٌ تُمْطِرُ الدراهمـــا   عند إمامٍ يعمر المكارما

خليفة قد ولد الضراغمـــا   جاء بهم خلائف أكارما

لا زال مُلكُ الأرض فيهم دائمـــا [٦]

---

١. الأصفهاني ،**الأغاني** ٢١١/٢٣-٢١٢ وينظر عبد الباقي، أحمد(١٩٩١م) ، **معالم الحضارة العربية في القرن ٣هـ** ،(ط١) ،بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية ، ص٩٢

٢. الشابشتي ، **الديارات** ، ص١٦٠

٣. ينظر في معناه حاشية رقم ٥٨، الديارات ص١٦٠

٤. الشاكرية : فرقة من الجند

٥. **الديارات** ص١٥٣ ، وينظر ابن الزبير ، **الذخائر والتحف** ،ص١٢١-١٢٢

٦. ابن الزبير ،القاضي الرشيد،**الذخائر والتحف**، (تحقيق د. محمد حميدالله)تقديم د. صلاح الدين المنجد، التراث العربي، الكويت ، ١٩٥٩م.ص٢٩-٣٥، ص ١١٦

أما عادات اللباس [١] فهي كثيرة، ولكل طبقة زيّها المميز الخاص الذي يطبعها، وصرّح ابن الجهم في شعره بلباس النصارى فقال:

العسليــات التي فرقت بيـن ذوي الرشدة والغي
وما على العاقل أن يكثروا فــإنه أكــثر للفيّ [٢]

وشاع في هذا المجتمع المترف عدد من العادات التي يقصد بها التسلية والترويح عن النفس مثل الصيد وتربية الحيوانات . وسجّل الشعر مثل ذلك أيام المتوكل فقد وصف لنا البحتري رحلة صيد قضاها مع الخليفة على متن قصر الزو .

غنينا على قصرٍ يسيرُ بفتـيةٍ قُعـودٍ على أرجائِهِ وقيام
تظلُّ البُزاةُ البيضُ تخطفُ حَوْلَنا جآجئ طيرٍ في السّماء سوام[٣]

ومن الوسائل الترفيهية تربية الحيوانات فأنشأ المتوكل حديقة للحيوانات حشد فيه صنوفاً من الطيور والحيوانات، وقد وصف البحتري هذا الحير مقدراً ًعدد الحيوانات ألفين تقريباً ً، فقال

وطاعَةُ الوَحْشِ إذْ جاءَتكَ من خَرِقٍ أحـوى وأُدْمانَةٍ كُحْـلٍ مآقيــها
ألفان جاءَتْ على قَدْرٍ مُـسارِعَـةً إلى قـُبولِ الـذي حـاوَلْتَـهُ فيها
حتىّ قَطَعْتَ بها القاطُولَ وافترقَتْ بالحـير في عَرْصَةٍ فِيــحٍ نواحيــها[٤]

فيصف الشاعر الحيوانات التي كانت في هذه الحديقة مشيرا إلى أصناف منها كالظبي وولدها، هذه الحيوانات التي يقدر عددها بألفي حيوان تأتي للممدوح مسرعة لتنال رضاه ، وكما يشير إلى اتساع الحديقة وموقعها بالقرب من نهر القاطول .

١.ينظر في عادات اللباس والطعام والشراب ، عبد الباقي ، أحمد، **مع الحضارة العربية في القرن الثالث الهجري** ص٥٩-١٠٠

٢.ديوان ابن الجهم ، ص٢٢٥

٣.البزاة : مفردها باز، وهو الصقر الأصفر العينين المدور الرأس القصير الجناح الطويل الأرجل ،كشاجم، أبو الفتح محمود بن الحسن(ت بعد ٣٥٨هـ) **المصايد والمطارد** ،(تحقيق محمد أسعد طلس) دار المعرفة ، بغداد، د.ت ص٤٩ ، السوام: الذاهبة على وجهها حيث تساء ، جاجئ: مفردها جؤجؤ الصدر من الطير أو السفينة ، **ديوان البحتري** ٢٠٠٢/٣

٤.. **ديوان البحتري** ٢٤١٣-٢٤١٢/٤، الخرق: ولد الظبية، الأدمانة: الظبية البيضاء، العرصة: البقعة الخالية ينظر حاشية الديوان

ب. الشعر يصور مجالس اللهو والمجون والغناء :

اتسمت أيام المتوكل بكثرة اللهو والمجون، فكان هذا الخليفة منهمكاً في اللذات والشراب، وزعم الحصري في كتابه زهر الآداب [١] أنه من أول من أظهر ذلك ولكن تقول إن المتوكل زاد في ذلك وبالغ وأسرف في الإنفاق والملذات، وانغمس شعراء عصره في هذه الأجواء، وربما يعود بعض هذا الانغماس إلى التحلل الأخلاقي الذي ساد وانتشر في هذا الزمان، وكان هذا التيار الماجن متنفسا من متاعب الحياة وأحمالها الثقيلة، فكان الناس ينخرطون به هروبا من مصاعب حياتهم، وساعد في طغيان هذا التيار انتشار الديارات والحانات وكثرة الشرب، فامتلأت الحانات بالزوار من الشعراء وغيرهم، وضجت بكثرة الجواري والغانيات، ولا ننسى ما شاع من الغزل بالساقي، واستباحة الفحش، وكانت قصور الخلفاء مقاصف للشراب والغناء، وبالمثل كانت قصور الأمراء والوزراء وكبار أصحاب المناصب في الدولة وعلية القوم.[٢]

يقول البحتري واصفا أحد مجالس المتوكل وما تحويه من خمر وشرب وندمان يعاقرون المدامة وقد تعلقت قلوبهم بذوات الخدود الملاح:

قُلوب شجتهن الخدود الملائح	وساقٍ بَدا كالصّبحِ واللّيلِ جانح
يُديُر كؤوساً من عقار كأنّها	من النّورِ في أيدي السُقَاة مصابح
فللرّاح ما تجري عَلَيه دماؤهم	وللشوقِ ما ضَمَّتْ عليه الجوانح
وندمان صِدْقٍ في جوارِ خليفة	غدا بين كفيه النّدى، والصفائح [٣]

فيصف الشاعر مجلسا يلفه الشراب والمجون، ويفتتح هذه المقطوعة بالحديث عن الساقي كأنه الصبح المضيء في عتمة الليل، يدير بين أيدي ضيوفه الشاربين كؤوساً لامعة كأنها مصابيح من نور، ويصرّح بوجود الخليفة في هذه الجلسة .

وبهذا يبدو واضحاً لنا تقاطع الحياة السياسية والاجتماعية فكان لترهل الحياة السياسية أثراً على الحياة الاجتماعية.

١.الحصري ،**زهر الآداب**، ٣٢٣/١

٢. ينظر ضيف، شوقي **العصر العباسي الثاني** ص ٩٢

٣. **ديوان البحتري** ٤٨١/١

ومن المحال التي تكرر ذكرها في الشعر ما نظمه علي بن الجهم واصفا "باب الكرخ" وقد عدّه الشعراء أفضل منزل للترويح عن النفس وتسليتها، فهو مكان يعجّ باللهو والشراب والسمر برفقة الغناء، فيقول في لامية طريفة يصف أحد هذه المجالس وما بها من عبث ولهو:

نَزَلْنا بِبابِ الكرخ أفْضَلَ مَنْزِلِ عَلَى مُحسِنات من قِيانِ المُفَضَّلِ
فلا بْنِ سُرَيْجٍ والغَرِيض وَمَعْبَد ٍ ودَائِـعُ في آذانِنـا لَمْ تُبَدَّلِ
أوانسُ ما فِيهِنَّ للضَّيْفِ حِشْمَةٌ ولا رَبُّهُنَّ بالمَهيبِ المُبَجَّـلِ
يُسَرُّ إذا ما الضَّيْفُ قَلّ حَياؤُهُ ويَغْفُلُ عنه وهو غيرُ مُغَفَّلِ
ويُكِثْرُ مِنْ ذَمِّ الوقَارِ وأهـْلِهِ إذا الضَّيْفُ لم يَأْنَسْ ولم يَتَبَذَّلِ (١)

فيصف لنا الشاعر هذه المحلة وما بها من لهو فهو في منزل يعج بالمغنين والراقصات اللواتي أعدن أنس الأيام السابقة، ويتابع رسم هذا المجلس واصفا صحبته وأصدقاءه مع القيان وكيف تبدأ العلاقة بين الضيف والمغنية فتبدأ بإشارة وغمز إلى أن تصل للوصال وإقامة ليله معها، هذا الليل المليء بالسمر والأنس حتى الصباح، فلك ما ترغب وما تشاء شريطة أن تكون ذا سخاء وجود تغدق العطايا والهبات على القيان، فالكرم عماد تلك المجالس وأساسها :

أَشِرْ بِيَدٍ واغْمِزْ بِطَرْفٍ ولا تَخَفْ رَقيباً إذا ما كنتَ غيرَ مُبَخَّلِ
وأعْرِضْ عَنْ المِصباحِ والْهَجْ بِذَمِّهِ فإنْ خَمَدَ المصباحُ فـادْنُ وقَبِّلِ
وَسَلْ غيرَ ممنوعٍ وقُلْ غيرَ مُسْكَتٍ وَنَم غيرَ مَذْعُورٍ وقُمْ غيرَ مُعْجَلِ
لكَ البـيتُ ما دامتْ هداياكَ جَمَّةً ودُمْتَ مَلِيّاً بالشَّرابِ المعسَّلِ (٢)

---

١. الكرخ : محلة مشهورة من محال بغداد، القيان : جمع قينة :الأمة المغنية، تبذّل: ترك التصاون، ابن سريج ومعبد والغريض من أشهر المغنيين في العصر الأموي، ينظر حاشية القصيدة.

ابن سريج: هو عبيد بن سريج ويكنى أبا يحيى مولي بني نوفل بن عبد مناف، مات في خلافة هشام بن عبدالملك ، **الأغاني** ١٦٧/١

الغريض: هو عبدالملك وكنيته أبو يزيد، والغريض لقب لُقّب به لأنه كان طري الوجه نضراً غضّ الشباب حسن المنظر ، **الأغاني** ٢٣٥/٢ .

معبد بن وهب: غنى في أول دولة بني أمية وذكر ابن خرداذبة أنه أدرك دولة بني العباس ، وهذا ما جاء به مجازفة لأنه توفي أيام الوليد بن يزيد بدمشق **الأغاني** ٤٥/١

٢. **ديوان ابن الجهم** ، ص١٨٨

ويدعو لهذه المجالس بعمرانها فدوامها من دوام سعادته وسروره:

سقى اللهُ بابَ الكَرْخِ من مُتَنَزَّهٍ إلى قَصْرِ وَضّاحٍ فَبِرْكَةِ زَلْزَلِ (١)

ويشير في هذا البيت إلى موقع هذه المحلة فهي تقع بين قصر وضاح وبركة زلزل ،ويصف سعادته بها قائلا لو أن امرأ القيس أدرك أيامها وعاش أنسها لنسي الدخول والحومل:

مَنَازِلُ لو أنّ امْرَأَ القَيْسِ حَلّها لأقصَرَ عن ذِكْرِ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ (٢)

وقد افتتح بعض الشعراء قصائدهم بذكر تلك المجالس والأيام والحنين إليها، وقد يتطرق بعض الشعراء إلى تذكر مشاهد رائعة كان يتلذذ بها ويأنس بمن فيها، من ذلك ما فعله البحتري في كثير من قصائده، فافتتح قصيدة مدح بها الفتح بن خاقان وعاتبه بمشهد يستذكر مجلساً تلفه الضحكات والعبرات:

لَوتْ بالسّلامِ بَنَاناً خَضِيباً ولَحْظاً يَشُوقُ الفؤادَ الطَرُوبا
وزارتْ عَلى عَجَلٍ فاكْتَسى لِزَوْرَتِها "أَبْرَقُ الحَزْن" طِيبا
فكانَ العبيرُ بها واشِياً وجَرْسُ الحُلّي عليها رَقيبا
ولم أنْسَ لَيْلَتنا في العِنا قِ لَفّ الصَّبا بقضيبٍ قَضيبا
سُكوتٌ يَحِرُّ عليه الهَوى وشكوى تُهيجُ البُكا والنّحيبا
كما افتنت الريحُ في مَرِّها فطَوْراً خُفوتاً، وطَوْراً هُبوبا
عَنَتْ كَبِدي قَسْوةٌ منكِ ما تزالُ تجدِّدُ فيها نُدُوبا (٣)

فهو يصف لنا وصله لإحدى النساء بصورة حركية لونية يشير بها إلى حركة أطرافها المخضبة عندما بادلته السلام والتحية، كما يشير إلى رائحتها الطيبة وزينتها وصوت الحلي التي تقرع وهي تسير.ويلتفت للإشارة إلى ليلة قضاها مع إحداهنّ، وأنها كانت من أجمل الليالي تفننت بها كتفنن الريح فطوراً خفوتا وطوراً هبوبا.

---

١. ديوان **ابن الجهم** ، ص١٨٩ قصر وضاح : قصر بني أيام المهدي تولى نفقته رجل يسمى وضاح فنسب إليه ،بركة زلزل ببغداد بين الكرخ والسراة وباب المحول حفرها زلزل ووقفها على المسلمين فنسبت إليه

١. السابق ، ص ١٩٠

٢. نفسه ، الصفحة ذاتها ، الدخول والحومل :موضعان .

٣. ديوان **البحتري** ١٤٩/١-١٥٠ أبرق الحزن : اسم موضع ، لوت :أشارت ،البنان: أطراف الأصابع، الخضيب: المخضبة بالحناء ،افتنت: أتت بفنون

وقد ذُكر الخمر في أشعار الشعراء ومقدمات قصائدهم، وأخذوا يصفونه ويصفون ما تحويه مجالسه، من ذلك ما قاله البحتري في مقدمة قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان

لـم أدْرِ ما أسْكَرَني: أطَرْفُهُ أم التـي يدْعُونَها بِنْتَ العنَبْ؟
كـأنمَّا الدُّرَّةُ ماءُ وَجْهِـهِ وجِسْمُهُ أحسَنُ من ماءِ الذهبْ
تَحْسَبُها في كأسِها ياقوتَـةً أو قَبساً ألْهِبَ عَمْداً فالتهبْ [١]

فيتساءل البحتري في هذه المقطوعة عن سبب سكره مشيراً إلى مجالس اللهو ومصرّحا بوجود الغانية، ثم يشبه الخمر بالياقوتة اللامعة في كأسها .

وحملت هذه المجالس نوعاً من المداعبات التي تعكس روح العصر وصوره الاجتماعية، فتضفي نوعاً من الفكاهة والتسلية ومن هذه الممازحات ما نسجه البحتري في بائية طريفة عدّت نموذجاً من مداعبات الشعراء التي تعكس بعض مظاهر الحياة الاجتماعية ولهوها فقال واصفاً مجلساً لاصدقائه مصوراً مداعباتهم واجتماعهم على الطعام، فقد ذبح لهم هذا الصديق[٢] دجاجة وقدمها مع بعض النبيذ لينال رضاهم فيصف الشاعر الطعام وينتقل لوصف النبيذ .

سَل ِ "الحَلَبّي" عن حَلَبٍ وعن تِرْكَانِهِ "حَلَبا"
أرَى التَّطْفِيلَ كـلَّفَهُ نُزُولَ"الكَرْخِ" مُغْتربا!
ألَسْتَ مُخَبِّري عن حَزْ م رَأْيِـكَ أيَّةً ذهَبا ؟
نسيتَ "المَرْوزيّ" ويَوْ مَنَا مَعَهُ الذّي اقْتُضِبا!
وقد ذَبَح الدَّجاجَ لنـا فأمْسَى دِيكُهُ عَزَبـا!
هلُمّ نُكـافِهِ كما ابـ ـتَغَى فينا وما احْتَسبا
بشِعْرِكَ إنّـهُ ضَـمَدٌ مِنَ الـحقّ الذّي وَجَبا
ألمْ يُوسِعْكَ من غرَفٍ تَخَالُ جِفانها جُوبـا؟ [٣]

---

١. **ديوان البحتري** ١/١٥٤-١٥٥ الدرة : اللؤلؤة

٢. هو ابو العباس محمد بن عمران ويذكر المرزباني "إنه أديب متكلم ...ويقول شعراً ضعيفاً المرزباني " **معجم الشعراء** ، ٤٦١ ، وترجم له في الموشح

٣. السابق ١/٤٨١ التطفيل : الدخول إلى الولائم دون دعوة ،الضمد : الغابرمن الحق ،الظلم، جفانها جمع جفنة وهي أعظم القصاع ، الغرف : كل ما يغرف باليد، ينظر حاشية القصيدة.

وشاركت الجواري (*) الشواعر مجالس اللهو والشراب، وساهمت في إضفاء جو من المرح والمجون على هذه الجلسات، ومما يروى عن علي بن الجهم أنه قال :"كنا في أحد مجالس المتوكل وهو يشرب ونحن بين يديه فدفع بتفاحة إلى جاريته محبوبة فأخذتها وانصرفت من الجلسه، ثم دفعت برقعة إلى المتوكل مع إحدى جواريها كاتبة عليها:

يا طيبَ تُفّاحَة خَلَوْتُ بها   تُشْعِلُ نار الهَوى على كبدِي

أبكي إليها فأَشْتَكي دَنَـفِي   وما أُلاقي مِنّ شدَّةِ الكمَـد

لو أنَّ تُفَّاحةً بكَتْ لبـكَتْ   من رَحْمَتـي هذه التي بِيَدِي

إن كنتِ لا تعلمين ما لَقيتْ   نفسي فمِصداقُ ذاك في جَسَدي

فإن تأملّتِهِ علمتِ بـأنْ   ليسَ لِخَلْقٍ عَـلَيْهِ مِنْ جَلَدِ [١]

فتصور هذه الأبيات دعابة لطيفة بين الخليفة والجارية الرقيقة التي جعلت من التفاحة موضوعاً لشعرها يبين حال وجدها أمام الخليفة .

واقتضت مجالس الشراب واللهو والغناء مداعبات طريفة بين المغنين والسامعين، فهجا الشعراء المغنين والمغنيات، واستهزأوا بأصواتهم وسخروا من أغانيهم، ومن ذلك ما ذهب إليه البحتري في هجاء أحمد بن أبي العلاء المغني[٢] مداعباً له واصفاً نشاز صوته، وأثره على السامعين :

غِناؤكَ ليسَ يُغْني سامِعـيـهِ   وَضربُكَ يُوجِب الضَّرْبَ الوَجيعا

وَوَجْهُـكَ يَطْرُدُ النَّشَواتِ عَنّا   وقُرْبُكَ يُذْكِرُ المَوْتَ السَّريـعا

إذا غَنَّيْتَنـا يَوْمَ اصْطِـباحٍ   فقد أوْسَعْتَنـا عَطَشاً وَجُوعا [٣]

فإذا غنى في اصطباحة يوم كان الله لهم معينا على قضاء هذا اليوم، أما وجهه فإنه يطرد النّشوات واللّذات ويدق ناقوس الموت ويعجّل به .

---

* ينظر تفصيل ذلك في هذا الباب العلاقة بالمرأة

١. ابن السّاعي،تاج الدين أبي طالب علي بن أنجب (ت٦٧٤هـ) **نساء الخلفاء (جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والاماء)** ،تحقيق د. مصطفى جواد،ط٢، دار المعارف ، مصر،ص٩٣

٢. أحمد بن العلاء المغني من المغنيين الذين عاصروا عدداً من الخلفاء العباسيين من المتوكل الى المعتضد، ينظر حاشية القصيدة.

٣. **ديوان البحتري** ١٣٢٩/٢

وقال في قصيدة أخرى منها :

مُغَنّيك للبُغْضِ فيهِ سِمَهْ　　تَلُوحُ على خِلْقَةٍ مُبْهَمَهْ
تزيدُ الإهانةُ في شَأنِهِ　　صَلاحاً وتُفْسِدُهُ التكْرُمهْ
يُرَعِّشُ لَحْيَيْهِ عندَ الغِناءِ　　كأنّ به النّافِضَ المؤلِمهْ (١)

فيداعب الشاعر المغني واصفاً شكله وهو يغني، فيصور عظم حنكه، ويرسم لـه صورة ساخرة مضحكة. ففي غنائه سمة وعلامة مميزة يترفع شأنه ومنزلته عند إهانته ويصف عظم حنكه وكيف يرتعش ارتعاش الرعد عند الغناء.

وقال في هجاء البجبحائي (٢) المغني:

رأيتُ " البجبحائي" استَقَلّتْ　　رَكَائِبُهُ بِجِرْمانٍ عَظيمِ
إذا رامَ التَّخَلُّقَ جاذَبَتْهُ　　خَلائقُهُ إلى الطَّبْعِ القديمِ

ويصف غناءه :

فَتُخْطِئُ في الغِناءِ على المُغَنِّي،　　وتخطئ في النِّدامِ على النَّديمِ (٣)

وتعد هذه المقطوعات نماذج لمداعبات الشعراء مع المغنين وما تسهم به من إثارة الضحك والفكاهة في مجالس اللهو.

وعكست هذه المجالس رغبة الشعراء في الوصول إلى الخليفة وإسعاده في لياليه ومشاركته في شربه ولهوه وضحكه، فبات الشاعر في تلك الفترة يسعى لحضور هذه المجالس ويرغب بلقاء الخليفة وهو في غاية صفائه وسروره، وفي المقابل أغدق المتوكل على مادحيه العطايا والهبات ووصلهم بمجالسه وخصّهم و قدّمهم، ومن هؤلاء الشعراء أبو الشبل البرجمي(٤) فقد أنشد في أحد مجالس الشراب قصيدة مدح بها الخليفة المتوكل ووصف عدله فقال:

---

١. **ديوان البحتري** ٢٠٧٦/٤
٢. البجبجائي المغني: هو أحمد بن ابراهيم بن الحارث ولعله ابن أخي محمد بن الحارث بن بسخنير وكان من رجال الغناء المتقدمين عند المأمون والمعتصم والواثق
٣. **ديوان البحتري** ٢٠٧٨/٤، ينظر حاشية القصيدة.
٤. عاصم بن وهب ، أبو الشبل البرجمي ، مولده الكوفة ، نشأ وتأدب بالبصره ، قدم سامراء أيام المتوكل ومدحه ، كان ماجنا كثير الغزل فنفق عند المتوكل لايثاره العبث والمجون ، ينظر **الأغاني** **٣٨٢/١٤**

و ثِقي بالنُجْحِ إذ أبـ   صرت وجه المتوكلْ
مَلِـكٌ ينصفُ يا ظا   لَمتـي فيك و يـعدلْ
فـهو الغَـايةُ و المأ   مـولُ يرجوهُ المؤمّلْ [١]

فيشير بهذه الأبيات مخاطبا محبوبته إلى عدل الخليفة، ويصور صورة من الحياة الاجتماعية بالرغبة في الوصول إلى صاحب السلطة للتمتع بالعطايا والهبات .

وفي سبيل الوصول الى الإمام (الخليفة) وعطاياه، يطلب الشعراء شفاعة حاشيته للوصول إليه، ومن ذلك ما قاله أحمد بن أبي فنن[٢]، يطلب شفاعة الفتح بن خاقان ليقيم علاقة مع المتوكل فقال:

إذا كنتُ أرجو نوالَ الإمامِ   وفتح بن خاقان لي شافع
فَقُلْ للكريمِ أتاكَ الغِيَاث   و للضيفِ مَنْزِلنا واسع[٣]

١.**الاغاني** ٣٨٢/١٤

٢. أحمد بن أبي فنن وكنيته ابو عبدالله احمد، شاعر مطبوع .**طبقات الشعراء** ص٣٦١ وينظر الأغاني

٣. يونس السامرائي، **شعراء عباسيون** ، ص١٥٩

د _ الشعر يرصد ظاهرة التغزل بالغلمان:

الغزل من أقدم الفنون الشعرية عند العرب وأكثرها اتساعاً لاتصالها بالطبيعة الأنسانية، فوصف الإنسان ما يعتريه قلبه من الحب والهيام كما وصف المحبوبة وتغنى بجمالها.

وتطور فن الغزل تطوراً كبيراً مجارياً لعدة مؤثرات كالبيئة الحضارية والثقافية فنجد في الشعر العربي إضاءات كبيرة تعكس تبدل حال هذا الفن وتحوله من صورته القديمة الجاهلية الأولى إلى ظهور التغزل بالذات كما نجد عند عمر بن أبي ربيعة مثلا والغزل بالمذكر، فتعد ظاهرة التغزل بالغلمان، من أكثر الظواهر الاجتماعية شيوعاً في أوساط المجتمع العباسي، فقد كانت انعكاساً للتغيرات الاجتماعية التي طرأت على المجتمع العباسي آنذاك، حيث الامتزاج العرقي مع المجتمعات والعناصر غير العربية، وتنامي حياة الترف، فباتت كلمات الحب والوصل والهجر والهيام مطلبا مهماً من مطالب مجالس اللهو والمجون.

وجمع التغزل بالغلمان بين الغزل المعنوي والغزل الحسي الفاحش الذي يتضمن وصف الغلام في ملامحه البارزة وقده الممشوق وحركاته وتدلّله، فنقل الشعراء الأوصاف الغزلية التي وُصفت بها المرأة إلى الغلمان، وبدا هذا الأمر جليّا في الأشعار التي جسدت هذه الظاهرة وتناقلتها مجالس الشرب واللهو.

ومن أمثلة ذلك ما قاله ابن حمدون النديم [١] الذي كان يعشق شاهك – خادم المتوكل- عشقاً شديداً فقد أضر به طول هجره وبعده، فيقول:

أشاهُكَ ليلي مُذْ هَجَرْتَ طَويل ُ … و عيني دماً بعدَ الدموعِ تَسيلُ
وبي مِنْكَ،والرّحَمْنُ،مالا أطيقه … و ليس إلى شَكْوى إليك سبيلُ
أشاهك لو يُجْزَى المُحِبُّ بودّه … جزيتُ،و لكنّ الوفـاء قليل ُ [٤]

١ابن حمدون النديم :أبو عبدالله أحمد بن إبراهيم بن اسماعيل بن داوود المعروف بالنديم ، عالم وشاعر، **شعراء بغداد** ، الخاقاني ٢١٧/١ ،احب ابن حمدون شاهك خادم المتوكل في الوقت الذي أحبه الفتح بن خاقان وكان ذلك سببا في نفيه، ينظر **الديارات** ص٦

٢. **الديارات** ص٦، ونسب هذا الشعر للفتح بن خاقان في الحموي، ياقوت ، **معجم الأدباء** ، الطبعة الأخيرة، دار المأمون ١٦/ ١٧٦-١٧٧ .

ويقول الحسين بن الضحاك متغزلا بشفيع خادم المتوكل :

و كالوردةِ الحمراءِ حيّا بأحمرٍ   من الورد يَمْشي في قراطق كالوردِ

له عَبَثاتٌ عِنْدَ كلِّ تحيّةٍ   بعينـيه تستدعي الحليم إلى الوجْدِ

تمنيّت أن أسقى بكفّيه شَرْبة   تـذَكِرْني ما قَدْ نسيتُ مِنَ العهْدِ

سقى اللهُ دهراً لم أبتْ فيه ليلةً   خليّا و لكنْ من حبيب على وَعْـدِ [١]

فيتغزل الشاعر بخادم المتوكل كأنه إحدى الجواري؛ فيصف مشيته التي تخرج العاقل عن جده، ويتمنى وصله وإعادة أيام الصفاء،فهذا المجلس يدل على الحياة العابثة في القصور العامرة الزاهرة فالخليفة يمازح الشاعر، ويذكره بالعهد السابق، والشاعر يحن إلى الماضي وذكرياته الجميلة. وهذا ملحظ يصور وصل الغلمان ويجسد إحدى الظواهر الاجتماعية، وما كان لهذه الظاهرة أن تنتشر وينظم فيها كبار رجالات قصر المتوكل لولا شيوعها، وبذلك يظهر مدى التصاق هذا الشعر بمجالس اللهو وتباري الشعراء في هذا اللون الشعري.

و يقول فيه واصفاً بعض ملامحه الجسدية مفصلاً الملامح الأثيرة عنده، فيشبهه بالظبي الرشيق ذي القوام النحيل، ويفضله عن غيره مصرحاً بأنه يرغب بوصل أصغر الساقيين:

لا رأى عطفة الأحـ   بّة من لا يُصَـرّحُ

أصغرُ الساقيين أشـ   ـكلُ عندي و أمْلَحُ

لو تـراه كالظبيّ يسـ   نَـحُ حيناً و يبرَحُ

خلت غصناً على كثيـ   ـب وبنـورِ يُرَشَّحُ [٢]

و يقول الحسين بن الضحاك في خادم ابن شغوف الهاشمي في مجلس يجمعه وعمرو بن بانه وابن شغوف الهاشمي:

يَحرمه السّكر و ما كانـا   عَـزَمْتَ أن تقتلَ إنساناً!

أخافُ أن تهجُرني صاحياً   بعدَ سروري بِكَ سكرانا

إنّ بقلبـي روعة كلـما   أضمر لي قلبُك هِجْرَانا

يا ليتَ ظني أبداً كاذبٌ   فـإنه يَصْدُق أحيانـا [٣]

---

١. **الأغاني** ١٢٤/٧ ، وينظر **مروج الذهب** ١٢٣/٤ القراطق كجندب قباء ذو طاق واحد .

٢. **ديوان البحتري** ١٢٥/١

٣. السابق ١٦٠/١

فيصور هذا الشعر لهو الحياة ومجونها آنذاك، فيصف الشاعر ليلة قضاها مع أحد أصحابه واصفا ليلة مع الساقي وكيف قضيا هذه الليلة .

وكما يقول في أحد مجالس المتوكل متغزلاً بشفيع الساقي مشبهاً جماله بالرياحين وطيبها، فيصف الشاعر في هذه المقطوعة الساقي وصفاً حسياً يبدأ بالحديث عن بياضه الذي تكسوه الثياب الحمراء فكأنه ريحانة فوّاحة الرائحة وبعد ذلك ينتقل للحديث عن سمره ولهوه معه وكيف أسكره وما دار بينهما .

وأبيض في حُمْر الثيابِ كأنَّهُ إذا ما بدا نسرينةٌ في شَقَائِقِ
سقاني بكَفّيهِ رحيقَاً وسامَني فسُوقاً بعينيه ولستُ بِفَاسِقِ
وأقسم لولا خشيةُ الله وحده ومن لا أُسمِّي كنت أوّلَ عاشقِ
وإني لمعذور على وجَناتِهِ وإن وَسَمتْني شَيْبَةٌ في المفَارق
ولاعشق لي أويُحْدِثَ الدهرَ شِرَّةً تعود بعادات الشباب المُفارق
ولو كنت شكلاً للصِّبَا لاتّبعتُه ولكنّ سنّي بالصِّبا غيرُ لائق (١)

ويقول البحتري في إحدى مدائحه للفتح بن خاقان واصفاً الساقي وصفا رقيقاً وشفافاً :

ورُبَّ يومٍ قصَّرَتْه خَلْوَتي بفاترِ الطَّرفِ خَلُوبٍ مُخْتَلَبْ
يَسْلُبُني عقلي بحُسْنِ وجهِهِ وهو مِن الإعجابِ بي كالمُسْتَلَبْ
كأنّما "هاروتُ" في أجفانهِ يُنْصِفُ إن شاء، و إن شاءَ غَصَبْ
مُهَفْهَفٌ يَرْتَجُّ في أقطارهِ كما زَفَتْ ريحٌ بآجامِ قَصَبْ
لم أدْرِ ما أسْكَرَني، أطَرْفُهُ أم التي يدْعُونَها ابنةُ العنبْ؟
كأنّما الدُّرَةُ ماءُ وَجْهِهِ و جِسْمُهُ أحسَنُ من ماءِ الذَهبْ(٢)

هذا الساقي الذي شارك الفتح يومه، فسلّى نفسه وآنسه في ليله، ووصفه الشاعر وصفاً حسياً مبرزاً بعض ملامح جماله، فشبهه بالدرة اللامعة المشرقة، وجسده أصفى من ماء الذهب، ويعنينا أن نصور الحياة الاجتماعية، إذ بدت ظاهرة التغزل بالغلام والساقي ظاهرة واضحة، فتقاطع الشعر مع واقعه وأنتج صورة للحياة آنذاك .

---

١. **الأغاني** ١٦١/٧، النسرين: ضرب من الرياحين.
١. **ديوان البحتري** ١/١٥٤-١٥٥

هـ _ الشعر يصور العلاقة بالمرأة:

كما كانت ظاهرة التغزل بالغلمان شائعة في المجتمع العباسي، فقد شاعت ظاهرة التغزل بالجواري والغلاميات ووصل الجواري والمغنيات، ووصفهن في الشعر، حيث اقترنت مجالسهن بمجالس اللهو والشراب.

فاحتلت المرأة مكانة في المجتمع العباسي وأصبحت تدير المجالس والمحاورات والمناظرات، وتضفي على الجلسات روح الفكاهة والدعابة .

وكانت للجواري مكانة مرموقة في هذا العصر فاستكثر الخلفاء من شرائهن وغالوا في امتلاكهن فانتشرن انتشاراً واسعاً، ويُروى أن المتوكل كان يمتلك أربعة آلاف جارية (١) .

ويمكن أن نعيد أسباب انتشار الجواري لبعض العوامل السياسية مثل الفتوحات واتساع أقطار الدولة والسبايا وكثرة نسل الجواري؛ إذ تزوج الخلفاء الجواري وكثر نسلهن فأصبحن أمهات لولاة العهد مما جعل لهن مكانة أثيرة في قلوب الخلفاء فأعلوا شأنهنّ في بلاط الدولة . ورويت للمتوكل أشعار نظمها في جواريه كقوله في جاريته قبيحة:

إنسانَةٌ كالشّمس مجدولةٌ   أحسبها ليستْ من الإنس
مليحةُ الشّكلِ غلاميّةٌ   أحسنُ من بدرٍ ومن شمسِ (٢)

وظهرت مظاهر التهتك والعبث في أشعار رجالات القصر، فلا رادع من دين أو حياء فصار الغزل مثاراً يتسابق به الشعراء ويرمونهن بسهامهم، فهذا الحسين بن الضحاك يقول:

وزَائِرَةٌ زَارَتْ على غَفْلَةٍ   يا حبّذا الزَّوْرَةُ والزائِره
فلم أزلْ أخَدعُها ليلتي   خديعةَ السّاحر للسّاحِره
حتى إذا ما أذعَنَتْ بالرِّضا   وأنعَمَتْ دارتْ بها الدائره
بتُّ إلى الصبحِ بها ساهراً   وباتت الجوزاءُ بي ساهره
افعلُ ما شِئْتُ بها ليلتي   وملءُ عيني نعمةٌ ظاهره (٣)

---

١. ينظر **مروج الذهب** ٤/ ٢٢ ، ضيف ، شوقي، **العصر العباسي الثاني** ، ص٨٣ .

٢. قط ، مصطفى البشير(١٩٩٤) **الحياة الأدبية في مجالس الخلفاء العبا سيين حتى نهاية القرن ٣هـ** ،رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الجزائر، الجزائر ،ص ٧٠. وينظر السيوطي **المستظرف من اخبار الجواري**، ط١، (تحقيق صلاح الدين المنجد)، دار الكتاب الجدبد، بيروت، ١٩٦٣م.

٣. **الاغاني** ١٦٠/٧

فيصف الشاعر ليلة قضاها مع إحدى الجواري متمتعا بها، وتعكس هذه الأشعار صورة للحياة الاجتماعية اذ رغب الناس بوصل الجواري مبتعدين عن الحشمة والتعفف طالبين الملذات والشهوات .

ويعبّر عن ذلك ابن الجهم في إحدى مقدمات قصائده المدحية في المتوكل، واصفاً وصله إحدى الجواري:

وبِتْنَــا على رَغْمِ الوُشـاةِ كأنّنا ... خَـليطانِ من ماءِ الغَمامَة والخَمْرِ

وأفـضَح مِنْ عَيْنِ المُحبِّ لِسِرِّهِ ... ولا سِيّما إن أطْلَقَتْ عَبْرَةً تَجْري[١]

فيشير لوصله إحدى الجواري كأنه وإيّاها خليطان متمازجان من الماء والخمر.

و قد تصل درجة الحب لان يطلب الخليفة من البحتري ما يلين قلب زوجته قبيحة [٢]ـوالدة المعتز - فيقول على لسان المتوكل واصفا حبه وولعه بها:

تعالَلْتِ عن وَصْلِ المُعنَّى بكِ الصَّبِّ ... وآثَرْتِ بُـعْدَ الدارِ منّا على القُرْبِ

وحَمَّلْتِني ذَنْـبَ الــفِراقِ وإنَّهُ ... لَذَنْبُكِ إنْ أنْصفْتِ في الحُكْمِ لا ذَنْبي

وواللهِ ما اخْـتْرتُ السلوَّ على الهوى ... ولا حُـلْتُ عمَّا تَعهْدينَ من الحُبِّ

ولا ازدادَ إلاّ جِـدَّةً وتَمُّكنــاً : ... مَحَلُّكِ من نفسي، وحَظُّك من قَلْبي

فلا تَجْمَعي هَجْراً وعَتـباً، فلم أجدْ ... جليداً على هَجْرِ الأحِبَّة و العَتْبِ! [٣]

فتصور هذه الأبيات قلب الخليفة المحزون وطلبه لوصل زوجته وتدللها وتمنعها عليه.

ويقول البحتري في مدحه الفتح بن خاقان، يصف وصل جارية اسمها ليلى:

أما مُعِينٌ على الشَّوقِ الذي غَرِيتْ ... بـه الجوانِــحُ والبَيْنِ الذي أَفِدا؟

أرجو عَواطِفَ من "ليلى" ويُؤْيِسُني ... دَوام "ليلى" على الهَـجْرِ الذّي تَلَدَا

وما مَضَى أمْسِ من عَيْشٍ أُسَرُّ بهِ ... فــي حُبِّــها فأرجي أن يعود غدا

كـيفَ اللّقاءُ وَقدْ أضْحَتْ مُخَيِّمــةٌ ... "بالشّـــامِ " لا كَثَبا منـا ولا صددا

تـــهاجُرٌ أممٌ، لا وَصْلَ يَخلِطُـهُ ... إلاّ تزاوُرُ طَـيْفَيْنـا إذاهــجـدا

---

١. **ديوان ابن الجهم** ، ص١٣٧+١٣٨

٢. قبيحة من جواري المتوكل المشهورات ،واسمها من الأضداد ، فهي امرأة رومية في غاية الجمال ،وهي زوجة المتوكل ،أم ولديه المعتز بالله وأخيه اسماعيل ،وينظر أخبارها في **الأغاني** ١٠٥/٩

٣. **البحتري** ١٢٩/١

وقَدْ يُزيُد الكَرى مَنْ لا زيارتُهُ   قَصْدٌ، ويُدْني الهَوى مِنْ بَعْدِ ما بَعُدا
بتنا على رِقْبَةِ الواشين مُكْتنفيْ   صَبابةٍ نَتَشاكى البَثَّ والكَمَدا
أما سألْتَ بشَخْصَينا هُناك فقدْ   غابا، وأمّا خيالانا فقدْ شَهِدا
ولم يَعُدْني لها طَيْفٌ فَيَفْجَؤني   إلاّ على أبرَحِ الوَجْدِ الذي عَهِدا (١)

ويحاول في هذه المقدمة أن يستذكر إحدى الجواري وأيامه معها أيام الحب والوصل وكيف باتت ذكرى في خيال الشاعر بعد رحيل المحبوبة إلى ديار أخرى.

وذكرت المغنيات في قصائد الشعراء، استذكاراً لأيامهن ووصلهن، ومنه ما قاله البحتري في مقدمته لإحدى قصائده :

والغواني وان غنين عفافاً   يَطَّبيهُن مِنْه حسْنٌ وطِيبُ
فمتى شئتَ، مال منها قَضيبٌ؛   ومتى شِئْتَ ، هالَ منها كَثيبُ
ولَكَمْ مُقْلةٍ لذاتِ دَلالٍ   مَقَلَتْني بالوُدِّ وهي غَرُوبُ !
كنتُ إنسانَها فصِرتُ قَذَاها   من لها بالشبابِ وهو رطيبُ !
وعُيونٍ مَزْجن فِيَّ رَكَايا   من رَكَايا الشؤُونِ وهي الغُروبُ
مَرِهَتْ للنّوى فلَمّا رأتْني   كَحَلَتْها نَحافة وشحوبُ (٢)

وتمثّل هذه الأبيات نموذجاً لوصف المرأة ومواطن الإثارة فيها وجمالها وسبب تعلّق قلوب العاشقين بها فتبدأ الجارية بالرقص وتبادل النظرات وتنتهي بوصلها وقضاء الأيام معها .

فتصور الأبيات السابقة علاقة الرجل بالمرأة هذه العلاقة القديمة الأزلية، فحب النساء لائط في قلوب الرجال، فمن الطبيعي أن تصف لنا هذه الأشعار المرأة المتمنعة والرجل الراغب في الوصال، ونكث المرأة مواعيدها مرة تلو مرة، وآلام العشق التي يعانيها المحبوب بالصد والهجران، والوصل القليل النزر الذي يتبعه هجران طويل وبكاء الحبيب الطويل وعدم قدرته على النوم وتمنيه عودة الأيام الخالية فأيام الوصل كانت معدودة .

---

١. **البحتري** ٧١٧/٢ وما بعدها، أفد: أزف، تلد: قدم، الكثب: القرب، الصدد: القرب، أمم: القرب والقصد الوسط

٢. السابق١/٣٥٠+٣٥١، الركايا: جمع ركية وهي البئر ذات الماء، الشؤون: العروق التي تجري فيها الدموع، الغروب:الدموع أو مسيلها، مرهقت: إذا فسدت ومرضت لترك الكحل، يطبي: يدعو، الكثيب: التل من الرمل وهو استعارة لوصف أرداف المأة ،هال: أنصب، مقاتني: نظرت إليّ، غروب: نازحة، المقلة: العين، ينظر حاشية القصيدة.

وشاركت الجوراي في سبك الشعر وإحكام قوافيه وإقامة المجالس والمداعبات والمناظرات، فعكست مكانة مرموقة للمرأة في هذه الأيام، ومنه ما دار بين أبي العيناء وإحدى الجواري الشواعر، فقال أبو العنياء يستجيزها :

أحمد الله كثيراً

فقالت : حينَ أنشأك ضريراً

فقال : يا أمير المؤمنين، قد أحسنت في إساءتها فاشترها (١)

ومنه ما قالته محبوبة جارية المتوكل مداعبة الخليفة تريد مصالحته، فأمر أحد خادميه أن يذهب إليها فوجدها تغني فذهب إليها يصحبه علي بن الجهم فوجدها تغني:

أدورُ في القصرِ لاأرى أحدا أشكو إليهِ ولا يُكلّمني
حتّى كأنّي ركبت معصيةً ليست لها توبةً تُخلصّني
فهلْ لنا شافع إلى ملك قَدْ زارني في الكَرى فصالحني
حتّى إذا ما الصباح لاح لنا عادَ إلى هجرهِ فَصارَمَنِي

فطرب المتوكل وصالحها وأقام مجلسه معها (٢) ،ومن الشعر الذي يعزى إلى محبوبة ما وصفت به قبيحة الشاعرة وقد كتبت اسم المتوكل على خدها:

وكاتبةٍ بالمسك في الخدِ جَعْفرا بنفسي مَخَطُّ المسكِ من حيث أثَّرا
لَئِنْ كتبَتْ في الخدِّ سطراً بكفِّها لقد أودعَتْ قلبي من الحبِّ أسْطُرا
فيا من لمملوكٍ لِمَلْكِ يمينِهِ مُطيع لـه فيما أسَرَّ وأظهَرا
ويا مَنْ مُناها في السَّريرةِ جعفر سقى اللهُ من سُقيا ثناياك جَعْفرا (٣)

---

١. أبو سويلم ،أنور ، **أبو العيناء ،دراسة وتوثيق في حياته وشعره ونوادره واخباره ومروياته** ، الطبعة الأولى ١٩٩٠ الأردن: دار عمار ، ص٢٤، وينظر الديارات ص٨٨.

٢.ابن الساعي ، **نساء الخلفاء** ص٩٦ ، وينظر **تاريخ دمشق** ص٥٧ ، **مروج الذهب** ١٢٥/٤

٣. ابن الساعي ،**نساء الخلفاء** ص ٩٤ وما بعدها ، أمر المتوكل عريب المغنية فغنت هذا الشعر ،وورد الشعر على اختلاف الروايات في **تاريخ دمشق** ،ص٥٦ ، **مروج الذهب** ١٢٥/٤+١٢٦ دون أن يُنسب لقائل، وينظر ابن الجوزي، ري الظماء،(تحقيق عبد الرحمن عمر الوصيفي)، مكتبة الأدب، القاهرة، د. ت،ص١٩٣-١٩٤

ومن مشاركات الجواري مجالس الخليفة ، ومنادمته ،ما أنشدته فضل [١] جارية المتوكل في أحد مجالسه ، حيث تمدح الخليفة وتدعو له بطول العمر ودوام الملك وتؤرخ لبداية خلافته وتحدد سنة توليه الخلافة :

استقبلَ الملكُ إمامَ الهدى　　عام ثلاثٍ وثلاثينا
خلافةٌ أَفَضَتْ إلى جعفر　　وهو ابنَ سبعٍ وعشرينا
إنّا لنرجو يا إمام الهدى　　أن تملك المُلْكَ ثمانينا
لا قدّس اللهُ أمرءاً لم يقلْ　　عند دعاءٍ لك: آمينا [٢]

وأحيت الجواري المناظرات الأدبية في المجالس وأضفت عليها شيئا من المداعبة والفكاهة، ومن ذلك ما دار بين علي بن الجهم وفضل الجارية اليمانية بمجلس المتوكل، فقال علي بن
الجهم : أجيزي يا فضل

لاذ بها يشتكي إليها　　فلم يجد عندها ملاذا

فأطرقت هنيهة ثم قالت :

ولم يَزَلْ ضارعاً إليها　　تهطل أجفانُه رَذاذا
فعاتبتهُ فزَاد عِشقاً　　فماتَ وجداً فكانَ ماذا؟

فطرب المتوكل وأمر لها بالفي درهم [٣]

ومن هذا ما دار بين المتوكل وفضل و بنان الجارية [٤] في أحد الأيام إذ خرج المتوكل يتمشى في صحن القصر وهو يتكئ على يدي جاريتيه (بنان وفضل)
فأنشد قول الشاعر :

تعلمتُ أسبابَ الرضا خوفَ هَجْرِها　　وعَلمهّا حبّي لها كيفَ تَغْتَبُ

---

١ .فضل الشاعرة اليمانية ، كانت شاعرة جارية ماجنة ومن أظرف أهل زمانها وأهداها محمد بن الفرج الرخجي للمتوكل ، ابن الساعي ، **نساء الخلفاء** ص٨٤-٩٠ وينظر ترجمتها **الأغاني** ١٧/٤-٨ ، ٢١/١١٤-١٢٠، طبقات ابن المعتز.

٢. ابن الساعي ، **نساء الخلفاء** ، ص ٨٦ وما بعدها .

٣. السابق ، ص٨٧

٤ .بنان جارية المتوكل ، وكانت شاعرة مجيده ، **السابق** ص٩١ ، وينظر ترجمتها **الأغاني** ١٧/٨-٢٠ ، ١١/٢، ٢١/١١٦-١٢٠

ثم قالت فضل مجيزة هذا البيت:

يصّد و أدنو بالمودةِ جاهدا ويبعد عني بالوصال وأقرَبُ

فقالت بنان :

وعندي له العُتْبَى على كلِّ حالةٍ فما منه لي بّد ولا عنه مَهْرَبُ (١)

ونذكر ما دار بين المتوكل ووزيره الفتح وجاريتين شاعرتين من مولّدات اليمامةإذ طلب الخليفة أن تنشد فيهما فقالت:

أقـولُ وقد ابصرتُ صـورةَ جعفرٍ إمامِ الهدى والفتح ذي العزّ والفخْر

أشمس الضحى، أم شبهها وجهُ جعفرٍ وبـدرُ السَماءِ الفتحُ أم مشبـهُ البَدْرِ

وقال المتوكل لأخرى أنشدي أنت: فقالت:

أقولُ وقد أبصرتُ صـــورةَ جعفرٍ تعالى الـذي أعـلاكَ يا سيدَ البَشْر

وأكـــمل نَعماه بفـتحٍ ونصحه فأنت لـنا شمسٌ وفتح لنا قَمْر (٢)

ويتضح من هذه الشواهد مشاركة الجواري مجالس الرجال وما لهن من دور في هذه المجالسات والمداعبات وكيف تدخلن في تأريخ خلافة المتوكل ورسم ملامح منها .

---

١. ابن الساعي ،**نساء الخلفاء** ، ص٩١

٢. التنوخي أبي علي المحسن بن علي ،**من نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة** ،أختار النصوص وقدم لها د.عبدالآله نبهان وزارة الثقافة السورية،دمشق ٢٠٠١،ص٣٠٦

و_ الشعــر يصور الزهد والزهّــاد:

إن الزهد ردة فعل وانعكاس لحياة الترف والمجون التي سادت في العصر فهي حركة أورفت ظلالها نظرا لطغيان الخلفاء والأمراء والقادة وعلية القوم وانغماسهم بنعيم الدنيا وترفها الزائل فشاع الفساد والمجون واستحلال المحارم حتى أضحى أمرا غير مستنكر فنهض طائفة من الناس يذكرون بالجنّة ونعيمها وثواب العابدين الزاهدين بترف الدنيا وبذخها ومنهم الحارث ابن أسد المحاسبي (ت٢٤٣هـ) وذو النون المصري[١] (ت ٢٤٦هـ) والسري السقطي (ت ٢٥١هـ) وأبو تيسير البسطامي[٢] (٢٦١هـ) ومحمد بن صالح العلوي الذي نقد خلافة المتوكل بترفها وبذخها بقالب وعظي يزهد بالدنيا وما فيها حين قال:

باتوا على قُلل الأجبال تحرسهم — غُلْبُ الرجال فما أغنتهم القُلَلُ
واستنزلوا بعد عزّ عن معاقلهم — فأودعوا حُفَراً ، يا بئس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد ما قبروا — أين الأسرة والتيجان والحلل ؟
أين الوجوه التي كانت منعمةً — من دونها تضرب الأستار والكِلَلُ ؟
فأصبح القبر حين ساءلهم — تلك الوجوه عليها الدود يقتتل [٣]

---

١. ذو النون المصري أبو الفيض ثوبان بن ابراهيم المصري كان ورعا ومعدوداً في جملة من روى الموطأ عن الإمام مالك **وفيات الأعيان** ١ /٢٩٨
٢. البسطامي (سلطان العارفين) أبو يزيد الأكبر طيفور بن عيسى الحفني ، عبد المنعم (٢٠٠٣) **الموسوعة الصوفية** ،ط١، القاهرة: مكتبة مدبولي ص ٦٧
٣. **مروج الذهب** ٩٤/٤ .

مظاهر الحياة المذهبية:

جرت في خلافة المتوكل سلسلة من التغيرات والتحولات السياسية، التي انتقلت بدورها لتشمل الفرق والملل المذهبية.

وكان أعظم هذه التغيرات التخلص من سلطة الإعتزال، والتمسك بالسنة وإحيائها من جديد، فظهر ذلك في الشعر، وغدا الشعراء يمدحون المتوكل بهذه الخصلة الجديدة، التي أماتت الاضطهاد والقمع المذهبي، وأحيت السنة وحرية المعتقد [١] .

أ_ الهجاء المذهبي

وذهب شعراء الخلافة المتوكلية – كمن سبقهم- [٣] إلى التركيز على الانحراف الديني وهجاء أصحاب هذا الانحراف المتمثل بالمذهب الاعتزالي الذي كان سائداً قبل خلافة المتوكل؛ فاتسعت دائرة الطعن بالمعتزلة زمن المتوكل الذي أدال دولة الاعتزال إلى السنة، وكان لذلك أثر قوي في الشعر؛ إذ انتقم أهل السنة لأنفسهم وأخذوا يطالون المعتزلة بألسنتهم بعد أن زلزلت الأرض من تحتهم، فأخذ الشعراء يسلطون أقلامهم وألسنتهم على هذه الفئة المهزومة.

ومن هؤلاء الشعراء علي بن الجهم إذ يقول في قصيدة يهجو فيها أحمد بن أبي دؤاد، ويهاجم نزعته الاعتزالية،التي وسمها بالبدع والجهل والضلال :

مـا هذه البدع التي سَمّيتَها ... بالجهلِ مِنْكَ العدلَ والتّوحيدا

أفْسَدتَ أمرَ الدّين حين وليته ... ورميتـه بأبـي الوليدِ وليدا [٤]

فيخاطبه متهما إيّاه بخلطه للأمور وإلباسه الدين بالبدع وطعن في أكبر مبدأين من مبادئ المعتزلة هما العدل والتوحيد، وبذلك أفسد أمور الدين، ويذم صنيع ابن أبي دؤاد الذي ولّى القضاء لابنه الوليد ؛إذ كيف يتولي القضاء وليد غرّ جاهل .

---

١. ينظر الجانب السياسي من ص٢٢

٢. السيوطي ، **تاريخ الخلفاء** ، ص ٢١٩

٣. ينظر في الهجاء المذهبي في القرن الثاني الهجري هدارة ، مصطفى محمد (١٩٦٣م) ،**اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري**، مصر :دار المعارف،ص٤٢٢-ص٤٢٦ ،ينظر التميمي ، قحطان رشيد ، **اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري** ، بيروت: دار المسيرة

٤ . **ديوان ابن الجهم** ، ص٩٩

وقال عندما فلج ابن أبي دؤاد يهجوه لأنه أطفأ القول بالسنة وعطّل مجالس الدين والقول بالحديث النبوي، فهو أضل الناس عن طريق الهدى رغبة منه في الابتعاد عن السنة والتمسك بالاعتزال.

كَمْ مَجْلسٍ لله قَدْ عطّلته كي لا يُحدّثَ فيه بالإسنادِ

ولكم مصابيح لنا أطفأتها حتى نحيد عن الطريق الهادي (١)

فأصبحت النزعة المذهبية سمة من سمات الهجاء فاتخذ الشاعر من المذهب أو المعتقد سمة للمدح أو الهجاء والتقريع، ويؤكد هذا التقريع والهجاء في تكراره " كم" في مقدمة الأبيات ليبين ما ألحقه المهجو من أذى وبهذا التكرار يقرّ الشاعر معاني الهجاء والقصد منه في أذهان السامعين إضافة إلى الوضوح والتفصيل .

ويهجو البحتري أحمد بن أبي دؤاد في معرض مديحه للمتوكل، فيرميه بالظلم والتجبر وكيف أن المتوكل رأب صدع الفرق المتخاصمة وأعاد الإعتبار لسنة الله ونبيه ويشير إلى الفالج الذي أصاب ابن أبي دؤاد وكيف أصبح لا يستطيع النطق فهو يستخدم الإشارة :

رَدَدْتَ الدّينَ فذّاً بَعْدَمَا قَدْ أراهُ فِرْقَتَيْنِ تَخَاصَمَانِ

قَصَمْتَ الظالمين بِكِلِّ أرْضٍ فأضْحَى الظُّلْمُ مَجْهُولَ المكانِ

وفي سُنّةٍ رَمَتْ مُتَجَبِّريهِمْ على قَدَرٍ بداهية عَوَانِ

فما أبقَتْ من ابن أبي دُؤاد سِوَى جَسَدٍ يُخاطَبُ بالمعاني(٢)

وفي هذا يهجو ابن الجهم ابن الزيات والرّخجي فيقول:

زارٍ على سُنَنِ النّبيّ يجدُّ في إطفائها

والرّخجي الأعور الدّجّال مِنْ أُمَرائِها (٣)

فابن الزيات يسعى ليطفئ سنة الله ويبذل قصارى جهده من أجل تضليل الناس عنها، أما الرخجي فيشبهه بالأعور الدجال المذكور في الآثار النبوية الذي يحيد الناس عن الهدى والحق.

---

١. **ديوان ابن الجهم** ، ص١٠٦ نحيد : نبتعد

٢. **ديوان البحتري** ٤/ ٢٢٩٠، ٢٢٩١ الفذ: الفرد ، الداهية العوان : أشد الدواهي

٣. **ديوان ابن الجهم** ، ص٦٣

كما غدا المذهب أو المعتقد الديني، مفخرة يتغنى بها الشاعر، ويتملق بها للممدوح، إذ نرى ابن الجهم مثلا يقول :

أنا المتوكليُّ هوىً ورأياً وما بالواثقيةِ مِنْ خَفاءِ (١)

فهنا يعلن أنه متوكليّ النزعة والرأي، مؤكداً أنه لا يحيد عن سنته، معرْضاً عن الواثقية وذكرها، بوصفها رمزاً للاعتزال، إذ كان الاعتزال والقول بخلق القرآن من أبرز سمات الخلافة الواثقية، وهكذا نرى كيف أن الشعراء كانوا على دين ملوكهم حتى في دينهم ومعتقداتهم .

وظهرت النزعات المذهبية في الشعر فصرّح بعض الشعراء بالطوائف المذهبية السائدة آنذاك، فيقول ابن الجهم في حبسه مخاطبا المتوكل :

تَضَافرتْ الرّوافضُ والنّصارى وأهل الإعتزال على هجائي(٢)

ويشير ابن الجهم في هذا البيت إلى دور الأحقاد المذهبية في إثارة الفتنة بين أصحاب الملل والنحل، وبذلك يشير إشارة سريعة إلى الطوائف المذهبية السائدة في عصر المتوكل وما لها من دور في إثارة النعرات الطائفية وكأنها باتت سلاحا قويا للحرب .

ويقول في قصيدة أخرى مشيرا إلى تلك الفئة_ المعتزلة والروافض والنصارى مخاطباً أياهم بالزنادقة:

فيا ناصرَ الإسلام غرّك عُصْبَةٌ زَنادِقَةٌ قَدْ كُنت ُقبلَ أذودُهَا (٣)

ويصف علي بن الجهم فتنة خلق القرآن التي سادت قبل المتوكل ، وصداها العنيف الذي

١. **ديوان ابن الجهم**،٦١
٢. السابق ، ٦٠

الروافض : اختلف في تفسير الروافض فذهب ابن أبي الحديد في **شرح نهج البلاغة** قصد الروافض نجاح بن سلمة، وذهب ابن المعتز في **طبقات الشعراء** أنهم الطاهريون، ينظر حاشية القصيدة بيت رقم ٢١

٣. نفسه ،١١٧

أحدثته بين المسلمين، ويبين خلاص المسلمين من هذه المحنة، وبلائها العظيم، كما يصور فرحه الغامر بإحياء السنة من جديد بحلول المتوكل ، فيقول :

قامَ وأهْلُ الأرْضِ في رَجْفَةٍ　　　يخبُط فيها المُقبل المُدْبِرُ
في فتنةٍ عَمْياءَ لا نـارُها　　　تَخْبو ولا مُوقِدُها يَفْتُر
والدّينُ قَدْ أشفى وأنْصارُهُ　　　أيدي سبا موعدُها المَحْشَرُ
كلُّ حنيفٍ منهم مسلمٍ　　　للكُفْرِ فيه مَنظرٌ مُنْكَرُ
إمّا قتيلٌ أو أسيرٌ فلا　　　يُرْثى لمن يُقْتَلُ أو يُؤسَرُ
فأمرَ اللهُ إمامَ الهُدى　　　واللهُ من ينصرُهُ يُنْصَرُ [١]

فيشير في هذه المقطوعة إلى حال الناس قبل المتوكل وكيف كانوا يتخبطون لا يقيمون على حال، فهم في فتنة قلبت حياتهم وجعلتها رأساً على عقب وفرقتهم وشتت شملهم وأضاعت الحزم منهم فغدوا في ضلال وضياع، إلى أن جاء المتوكل وأخرج الناس من هذه الفتنة وغياهبها .

ويوازن ابن الجهم في قصيدة أخرى بين واقع الناس وحالهم قبل المتوكل، حيث تغيبهم عن الحق، وتخبطهم في الضلال والغيّ، مصوراً إياهم بأنعام وبهائم ضلت سبيل الحق والرشد والهداية، وبين واقعهم الجديد في ظل المتوكل؛ إذ به تبددت الظلمة عنهم، وزالت الغمة عن صدورهم فأنهى محنتهم مصرحاً بذلك، قائلا :

كانت غَياهِبُ فِتْنَةٍ　　　والنّاسُ في عَمْيائِها
مُتَحيّرينَ كما تَحا　　　ر البَهْمُ بعد رِعائِها
بَيْنا كذلك إذا أضا　　　ءَ الحقُّ في ظَلْمائِها
واختارَ ربُّكَ "جعفرَ"بـ　　　ـن محمّدٍ لِجَلائِها [٢]

فالله اختار الخليفة المتوكل لجلاء هذه الفتنة وإرشاد الناس لطريقهم السوي بعد أن كانوا قد ضلوا السبيل ونهج الدين النبوي القويم.

---

١. **ديوان ابن الجهم** ١٢٩، أشفى: امتنع شفاؤه، أيدي سبا: كناية عن التبدد الذي لا اجتماع بعده أي مثل قوم سبأ الذين تفرقوا في البلاد بعد السيل، الفتنة: حمل الناس على القول بخلق القرآن، ينظر حاشية القصيدة.

٢. **السابق** ٦٣-٦٤ .

ويذكر إبراهيم بن العباس الصولي أثر النزاعات المذهبية على العلاقات الاجتماعية فيقول:

أصبحتَ من رأي أبي جعفر — في هيئة تُنْذِرُ بالصّيْلَمِ

من غير ما ذنبٍ ولكنّــها — عَدَاوة الزنديق للمسلمِ [1]

وتأثر الشعراء بأحداث التاريخ الاسلامي ووظفوها في أشعارهم ممثلين بها على أحداث من تلك الفترة، فقد وظف الشعراء الأحداث التاريخية الإسلامية مثل الردة وذكرها ابن الجهم ليطابق بين حالها وحال الناس في خلافة المتوكل فيقول في إحدى مدائحه:

يا أعظمَ النّاسِ على مُسْلِمٍ — حقاً ويا أشْرَف من يَفْخَرُ

الرّدّةُ الأولى ثنى أهلــها — حَزْمُ أبي بكر ولم يكفروا

وهذه أنتَ تَلافَيْتَـــها — فعادَ ما قَدْ كادَ لا يُذْكَرُ [2]

فيقارن الشاعر بين حال المسلمين قبل خلافة المتوكل وبعد خلافته فهم كانوا في فتنة عمياء حالهم كحال من ارتد عن الإسلام بعد وفاة النبي . ولكن حزم المتوكل قضى على هذه الفتن تمام القضاء كحزم أبي بكر الذي أنهى الردة .

واستخدمت النزعات المذهبية لإيقاع العداوة بين الخليفة وندمائه ومن ذلك ما أوقعه خصوم أبي العيناء به[3]عندما اتهموه بأنه رافضي متطرف، ولكنه تخلّص من ذلك بفصاحة لسانه[5] فقال مخاطباً المتوكل: يا أمير المؤمنين، وكيف أكون رافضيّاً وبلدي البصرة ومنشئي في مسجد جامعها، وأستاذي الأصمعي، وجيراني باهلّة....."

---

١. **تاريخ الطبري** ٢٩٦/٥ أحداث سنة ٢٣٣هـ،وينظر **الطرائف الأدبية** ص١٦٥، الصيلم: الداهية

٢. **ديوان ابن الجهم** ،ص ١٣١ أشار الشاعر للردة بعد موت النبي وحزم أبي بكر في محاربة المرتدين

٣. أبو العيناء ،أبو عبد الله محمد بن القاسم بن خّلاد بن ياسر بن سليمان اليمامي ثم البصري الهاشمي بالولاء الضّرير، أبو سويلم، أنور **أبو العيناء**، ص ١١، وينظر ترجمته تاريخ بغداد ١٧٩/٣ ومعجم الأدباء ٢٨٦/١٨ وفيات الأعيان ٣٤٧/٤.

٤. أبو سويلم، أنور، أبو العيناء، ص٢٤، وينظر الديارات ص٨٩

ب _ **موقف المتوكل من أهل الذمة:** (١)

اختلف موقف العباسيين من أهل الذمة باختلاف الخليفة وسياسته؛ ففي عهدٍ طغى فيه إحياء السنة وإعادتها إلى الحياة بعد أن ضعفت نرى موقفاً مغايراً لأهل الذمة في عهد المتوكل. فبدأ عهد المتوكل بإلزام الذميين بإرتداء لباس يميزهم عن المسلمين، وسجل الشعر ذلك فيقول علي ابن الجهم:

العـسليات التي فرّقَتْ   بينَ ذوي الرُشْدَةِ والغي
وما على العاقل أن يكثروا   فـــإنّه أكثر للفيّ (٢)

ويعود حقد المتوكل على الذميين لعدة أسباب منها ما كان مرتبطآ بعلاقة الدولة العباسية بالدولة البيزنطية وهي علاقة عدائية حربية، ومنها ما كان من رغبة البيزنطيين بتنصير أسرى المسلمين (٣) .ومنها ما كان من موقف بعض الذميين من ولاتهم كما قد يعود لعامل ثانوي نفسي هو تحوّل المتوكل عن الطبيب(٤)ب يختيشوع بن جرجس الذي كان يضاهي المتوكل بديباجه ولباسه وطيبه وترفه فسخط المتوكل عليه وعلى كل من يعتنق دينه من الذميين، ويصف أعرابي غضب المتوكل عليه ونفيه إلى البحرين قائلاً في أرجوزة :

يا سخطةٌ جاءَت على مِقْدَارِ   ثارَ لهُ الليث على اقتدارِ
منه وبختيشوعُ في اغترارٍ   لما سعى بالسّادةِ بالأقمارِ
بالأمراء القَــادةِ الأبرارِ   ولاةِ عَهْدِ السّيّد المختار
وبالـموالي وبني الأحرارِ   رَمى به في مُوحش القِفارِ

---

١. ينظر كتاب ترتون، د.ا.س. **أهل الذمة في الاسلام** ترجمة وتعليق حسن حبشي ،ط٢ القاهرة: دار المعارف ، القاهرة ، ١٨-١٩ ،٥٠-٥٣، ١١٦-١١٧ ،١٣٠-١٣٣، ١٨٢-١٨٥، ٢٧٧-٢٧٩ .
٢. **ديوان ابن الجهم** ،ص٢٢٥
٣. ينظر في ذلك كتب التاريخ ومنها **البداية والنهاية** لابن كثير.

بساحل البحرين للصَّغار (١)

فقد عبر هذا الأعرابي عن حال الطبيب وما آل إليه أمره ، فقد رُمي بموحش القفار وبهذا يشير إلى نفيه للبحرين بعد أن كان مجاريا للأمراء والسادة ينافسهم في لباسهم وثرائهم .

ج_ موقف المتوكل من العلويين

كان المتوكل شديد الانحراف عن العلويين يضطهدهم وينكّل بهم، ومن الأدلة على هذا الموقف العدائي لأهل البيت العلوي أنه أمر بهدم قبر الحسين بن علي واضطهد إمامهم أمام العلويين علي بن محمد الجواد .

واتخذ الشعراء موقفين منفصلين أحدهما تابع للعلويين والآخر للخليفة، فغدت الأشعار مسرحا للصراعات الأدبية بين هذين التيارين، وكان الشعر بمثابة الناطق الرسمي الإعلامي لكل،

فقال علي بن محمد بن جعفر العلوي الشاعر يطعن في نسب علي بن الجهم قاذفا زوجته بالزنا :

وسامـــةُ [٢]منا فأما بنوه   فأمـــرهم عندنا مُظْلِم
أنـــاس أتونا بأنسابهم   خرافـة مضطجـع يحلم
وقلتُ لهم مثل قول النّبيّ   وكـــلّ أقاويلــه محكم
إذا مـا سئلت ولم تَدْرِ ما   تقــول فقل ربنـا أعلم

وقال في شعر أخر يهجو على بن الجهم:

لو اكتنفتَ النّضرَ أو معدّا   أو اتخذتَ البيتَ كهْفَاً مَهْدَا
وزمـزماً شريعةً ووردا   والأخشَبينْ محضرا ومَبْدَا
ما ازددت إلا من قريش بعدا   أو كنـت إلا مصقليا وَغْدَا[١]

فأجابه ابن الجهم قائلاً :

لم تُذِقْنِي حلاوَةَ الانصـــافِ   وتَعَـــسَّفْتَنِي أشدَّ اعْتسافِ

---

١. **تاريخ الطبري** ج٥/٣٢٧ أحداث سنة ٢٤٤ هـ.
٢. سامة :علي بن الجهم

وتركتَ الوفـاءَ عِلْمَاً بـما فـيه وأسْـرَفـتَ غايـةَ الإسرافِ
غير أنـي إذا رَجَعْـتُ إلى حـقِّ بنـي هاشمِ بـن عَبْدِ منافِ
لَـمْ أجِدْ إلى التَّشَفِّـي سبيلاً بِقَـوافٍ ولا بِغَيْـرِ قـوافِ
لِيَ نْفس تأبى الدّنيَّـة والأشْـرافُ لا تعتـدي على الأشْرافِ[٢]

ويصور ما تقدم الصراع الأدبي بين أنصار الخليفة والعلويين، كما يعكس دور الشعر في إصدار الأحكام، فهو الناطق الرسمي باسم الدولة وأهم وسيلة من وسائل الاعلام .

ولم يكتف العلويون بما قاله إمامهم بل كتبوا شتم الخليفة على الجدران والحيطان في شوارع بغداد عندما وصلوا لذروة الأحداث عام ٢٣٦هـ إذ أمر المتوكل بهدم قبر الامام الحسين والدور التي تحيط به، فقال أحد الشعراء متحسرا على ما يحدث، مستذكرا فعلة بني أمية ورابطا أحداث التنكيل ببعضها ببعض وكأنها سلسلة متشابكة؛ فيشير إلى فعلة يزيد بن معاوية الذي قتل حفيد رسول الله ظلماً، وتبعه في هذه الفعلة الشنعاء المتوكل الذي أمر بهدم قبر الحسين بن علي، فالشاعر هنا يشير إلى فعلة المتوكل وكيف أنه لم يترك جثة الحسين بسلام وإنما ألحق الضرر برفات عظامه . وسوّى بين أفعال المتوكل وأفعال بني أمية من قبل الحسين وبنيه مع مفارقة أن القتلة هناك كانوا بني أمه، أما قتلتهم اليوم فهم بنو أبيه الذين عبثوا بقبره

بالله إن كانت أمـــيّةَ قد أتتْ قتل ابن بنت نبيها مظلوما

---

١. **مروج الذهب** ج٤ ، ص١١١+١١٢، اكتنفت الشيء: حفظه وأعانه (مادة كنف) لسان العرب، دار إحياء التراث بيروت، ج١٢، تنسيق علي شيري، ص١٧٠، ط١ ١٩٨٨م، الأخشبين: مفردها أخشب، وهو ما غلظ وخشن، والأخشبين: جبال مكة، (مادة خشب) لسان العرب ج١، ص ٤١٥، تحقيق عامر أحمد حيدر وعبد المنعم خليل، دار الكتب العلمية بيروت، ط١ ٢٠٠٣م .
٢. السابق، ج٤، ص١١١، وما بعدها، علماً : في **ديوان ابن الجهم** ص١٦٢+١٦٣

فلقـدْ أتـاهُ بنـو أبيــهِ بمثلــهِ هـذا لعمري قبرَهُ مهدوما
أسفـوا على أن لا يكونـوا شاركوا فــي قتلِهِ فتتبعُـوهُ رَميما (١)

١. لم يُنسب لقائل ، تاريخ الخلفاء ، السيوطي ، ص٢٢٠. ونُسِب ليعقوب بن السكيت وقيل للبسّـامي ، ينظـر فوات الوفيات ، الكتبي شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن الكتبي ، تحقيق علـي محمد معوّض، عـادل أحمـد عبد الجواد، ط١، ٢٠٠٠م، دار الكتب العلمية، بيروت، ج١، ص٢٩٠ .

الفصل الثالث:

مظـــاهر الحــيـاة الــعـمـرانـيـة

أولع العباسيون شغفاً ببناء المدن والبيوت والقصور الفارهة، التي حفلت بالرياض والحدائق والجنان الفاخرة، وكان الخليفة المتوكل من أكثر خلفاء بني العباس اهتماماً وولعاً ببناء القصور، فقد أثّر تنامي حياة الترف الاجتماعي والفكري في أوساط المجتمع العباسي ، والخليط المتجانس من العناصر العربية وغير العربية، إلى زيادة رفاهية الحياة وعمرانها، حيث جاء اهتمام الخليفة منصباً على التمتع بهذا الترف والبذخ والجمال .

وكان الخليفة المتوكل، قد أُغرم إغراما شديدا بتشييد القصور والقباب والمدن والبرك والرياض، واستحدث في عهده بناء الكمين والأروقة والحَيْرى [1] فكان على رأس الخلفاء العباسيين في البناء والعمران الحضاري . ويحسن بنا أن نصطلح على عهده بأنه عهد العمارة الذهبي؛ إذ حاول المتوكل وضع أسباب الرفاهية والجمال عاكساً ترفاً فكرياً وذوقاً حضارياً رفيع المستوى .

وأُغرِم الشعراء - كحال الخليفة - بوصف الرياض والقصور ومناظر الطبيعة [2]، في أزهارها وأشجارها ورياضها ، متذوقين جمالها وسحرها، الذي أثار قرائحهم الشعرية وملكاتهم الفنية . فأخذوا يصورون مباهج الحدائق، والطبيعة التي تلف القصور من الخارج، والمظاهر الحضارية داخل القصور؛ من الغانيات والجواري اللآئي اقترنّ بمجالس اللهو والشراب، والترف المادي الذي نَعِم به هؤلاء الخلفاء والأمراء .

ويعد البحتري شاعر الوصف الأول لقصور المتوكل ومبانيه بلا مدافع ولا منازع، إضافة إلى عرش المدح الذي تربع عليه، فقد أبدع البحتري أيّما إبداع في وصف القصور والأنهار والبرك والحدائق والرياض.

---

١. ينظر **مروج الذهب** ٨٧/٤ الحيرى: نوع من المخططات للبيوت والقصور يستدل من فحواها أنه أراد من كلمة (حير) التي تعني الحمى أو المساحة المحددة والمعلومة بسياج أو حتى البستان وربما تكون واردة من اسم مدينة الحيرة الواقعة على طرف الصحراء في العراق الوسطى، وقد تداولت هذه الكلمة في التاريخ الإسلامي حوالي منتصف القرن ٣هـ. حيث ذكر الخطيب البغدادي أن المتوكل أحدث بناء لم يكن الناس يعرفونه وهو المعروف بالحيرى وصار متبعاً في القصور الكبيرة ،ثويني، علي(٢٠٠٥م)، **معجم عمارة الشعوب الإسلامية** (ط١) ، بغداد: بيت الحكمة

٢. ينظر في وصف الشعراء للمباني العباسية ، وهدان ، ثروت أحمد محمود (٢٠٠٣م) **وصف القصور في الشعر العباسي** ، ،رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة النجاح، نابلس ، فلسطين

ومنه ما قاله واصفاً القصر" الجعفري "[١] بدقة وتفصيل بالغ، فيصوّر لنا ارتفاع أرضه وإطلالته الساحرة، وموقعه الرابي، وترابه المعجون بالمسك والعنبر، في لوحة فنية تذوب فيها رقة الألفاظ وعذوبتها، وتدفقها الغزير بالاستعارات والصور الطبيعية بعيداً عن أي تكلف وتصنع، فقال يصف القصر :

قَدْ تَمَّ حُسْنُ "الجعفريّ"، ولـم يَكُنْ | لِيَتِمَّ إلا بالـخليفةِ "جَعْفَرِ"
مَـلِكٌ تَبَوَّأ خَيْرَ دارِ إقامةٍ في | خَيـْرِ مَبْدًى للأنامِ ومَحْضَرِ
في رأسِ مُشْـرِفةٍ حَصَاها لُؤلؤٌ | وتُـرَابُها مِسْكٌ يُشَابُ بِعَنْبَرِ
مُخضـَرَّةٌ، والغيثُ ليسَ بساكِبٍ | ومُضيئةٌ، واللَّيْلَ لَيْسَ بِمُقْمِرِ
ظَهَرتْ، بمنخرق الشَّمالِ، وجاوَرَتْ | ظـُلَلَ الغَمَام الصَّيِّبِ المُسْتَغزر
تَقـْرِيرُ لُطْفِكَ واخْتِيارُكَ أغْنَيا | عَـنْ كلِّ مُخْتَارٍ لها ومُقَـدَّرِ
وسَـخَاءُ نَفْسِكَ بالّذي بَخِلَتْ بهِ | أيـْدي المُلُوكِ من التّلادِ الأوْفَرِ
وعــلوُّ همّتك التي دلّـت على | صِغـرِ الكبير وقلّةِ المستكثرِ
فَـرَفَعْتَ بُنْيـاناً (كـأنّ) زُهَاءَهُ | أعلامُ "رَضْوى" أو شَوَاهِقُ"صَنْبرِ

وربط الشاعر الواصف لقصور المتوكل زخرفتها وبذخها بمدح الخليفة الباني والمعمّر لهذا الجمال والإبداع كلّه، فهو الذي ينتقي الأرض والتصاميم ويسعى لتوفير أسباب الرفاهية والكمال فيها، مبيناً كرم الخليفة وسخاءه في البناء والعمران، فهو يرفع الأبنية التي تضاهي بناء الأمم الأخرى، ويصف ارتفاع هذا القصر فهو يعانق في شموخه جبال رضوى وشواهق صنبر، ويضاهي قصور كسرى والروم فكأنه قصر من قصور الحكايات، قصر لا تدركه الأبصار لسموه وارتفاعه، حيث جعل منه منارة مشعّة، تتباهى في أبهتها وجمالها، فيعاني النظر الإرهاق عند النظر إليها لارتفاعها، ويصفه بأنه قصر فريد، تصغر وتتضاءل أمامه أبنية كسرى، وعمائر قيصر [٢] يقول في ذلك كله :

---

١. قصر الجعفري : من أجل قصور المتوكل وأوسعها ، الشابشتي **الديارات** ، ص٣٦٧ انفق عليه المتوكل ألفي ألف درهم ، وقد بناه سنة ٢٤٥ هـ.معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، ١٤٣/٢ .
٢. ضاهر أبو غزالة ، **الشعر والعمارة توأما حضارة ، دراسة عباسية** ،ص١٤٧ .

أزْرَى على همم الملوكِ وغَضَّ مِن   بُنْيانِ"كِسْرَى" في الزَّمَانِ "وقَيْصَرِ
عــالٍ على لحظِ العيونِ كأنّما   يَنْظُرنَ منه إلى بياضِ المُشْتَري
بانيهِ باني المَكْرَمــات، ورَبُّهُ   رَبُّ الأخَاشِبِ والصـَّفَا والمَشْعَرِ (١)

أما شرفاته وساحاته وحدائقه، فنراه يلبسها رداء أخضر اللون، بحلّة ربيعية زاهية الألوان، من الأشجار التي تكسو روض هذا القصر، وانسياب المياه الرقراقة من تحته، فمياه دجلة الغزيرة تجري من تحته وتضفي عليه مزيدا من الرونق والبهاء، ويصف الشاعر هذه المياه التي تروي ساحات واسعة من الحدائق والرياض، وأما شرفاته فهي ذاهبة في السماء تعانق السحب، وأما أشجاره فهي في حالة حركة تعبث الرياح بأغصانها وأوراقها فيقول :

مــلأتْ جَوَانِبُهُ الفَضَاءَ، وعانَقَتْ   شُرفَاتُهُ قِطَعَ السّحَابِ المُمْطِرِ
وتَسيــرُ "دِجْلَةُ" تَحْتَـهُ، فَفِـنَاؤُهُ   من لُجَّةٍ غَمْرٍ ورَوْضٍ أخْضَرِ
شَـــجَرٌ تُلاعِبُهُ الرِّيَاحُ، فَتَنْثَني   أعْطَـــافُهُ في سائحٍ مُتَفَجِّرِ

وينهي وصف هذا القصر بدعاءٍ يدعو به للخليفة ببقاء عمره وطوله ودوام ملكه :

فاعْمُرْهُ بالعُمْرِ الطـّويلِ ونِعْمَة   تبْـقى بَشاشَتُها بقاءَ الأعْصُرِ (٢)

وتتجلى لنا صورة الوصف العمراني عند البحتري بجمع مظاهر العمران والطبيعة ليجعل منها قطعة فنية مزخرفة ومتلألئة الجمال، تفيض بالصّور والمعاني العفويّة، والألفاظ السلسة، التي تُذكي خيال السامع، وتُطرِب سمعه بحلاوة الجرس الموسيقي وتناغم قوافيه .

ويشير البحتري في إحدى مدائحه إلى قصور المتوكل الثلاثة قصر البديع (٣) والبرج (٤) والغرد

---

١. الأخاشب والصفا والمشعر : مواقع في مكة
٢. **ديوان البحتري** ٢/١٠٤٠-١٠٤٢
٣. قصر البديع : من قصور المتوكل ، ينظر **معجم البلدان** ٣٥٩/١ ، **تاريخ اليعقوبي** ٢٢٣/٣ ، طالب الشرقي ، **قصور العراق** ص٣١٤-٣١٥ .
٤. قصر البرج : سميّ بذلك لأنه مكّون من حصن شاهق ، وهو من أبنية المتوكل أنفق عليه عشرة الآف درهم ، وكان جلوسه فيه سنة ٢٣٩ هـ ، ينظر **معجم البلدان** ١٧٥/٣ ، وينظر في وصف القصر : الشابشتي :**الديارات** ص١١٦ ، **قصور العراق**، طالب الشرقي ،ص٢٩٦ .
٥. قصر الغرد : قصر للمتوكل بناه بسامراء على نهر دجلة .أنفق عليه المتوكل ألف ألف درهم، قصور العراق ص٣١٢، وينظر معجم البلدان١٩٢/٤

تَؤُمُّ القُصُورَ البيضَ من أرضِ"بابِلٍ" بــحيث تلاقَى "غَرْدُها" و"بَديعُهَا"
إذا أشْرَفَ "البرجُ" المُطِلُّ رَمَــيْنَهُ بأبْصَارِ خُوصٍ قد أرَثّتْ قُطُوعُها

ولكنّ الشاعر لم يصف القصور وصفا مفصلا دقيقا لتلك القصور وإنما ذكر أنها متقابلة، وبذلك تزداد جمالا ولمعانا وبهاءً فلمعانها يضيء ظلمات الليل ،ولذا تعد منارة للمسافر ليلا :

يضيءُ لها قَصْدَ السُّرى لمعَانُهُ إذا اسْوَدَّ من ظَلْماءِ ليلً هزِيعُهَا
تزورُ أميرَ المؤمـنين ودونَــه سهوبُ البِلادِ : رحْبُهَا ووسِيعُهَا[١]

ويشير في هذه المدحية إلى قصور المتوكل الثلاثة (الغرد ، والبديع ، والبرج) ،هذه القصيدة التي بدأها متغزلا ثم انتقل انتقالا مفاجئا إلى مدح الخليفة ، فالشاعر يتخذ من وصف القصر وسيلة للمدح والثناء على الخليفة .

ويصف البحتري المدينة المتوكلية [٢] في إحدى مدائحه ، فيصورها بمصيف غاية في الراحة والحسن والاستجمام، تجوب أرضها النسمات العليلة، ومما يزيدها جمالاً وحسناً اتساع ساحاتها وأكنافها، قائلا :

يَهْنِيك في " المتوكليّة" أنّــها حَسُنَ المَصِيفُ بها، وطابَ المَرْبَعُ
فيحاءُ مُشْــرِقَةٌ يَرِقُّ نَسيمُها ميـــثُ تُدَرَّجُهُ الرّيَاحُ وأجْرَعُ
وفسيحةُ الأكنافِ ضاعفَ حسنها بـــرٌّ لها مفضىً وبحرٌ مُتْرَعُ

فهو يصف حسن جوها ولطافته وأرضها الواسعة اللينة المستوية التي تداعبها الرياح اللطيفة وكما يشير إلى جوانبها المظللة التي زادت هذا الجمال جمالا . ويشير البحتري هنا في هذه المدحية إلى المسجد الكبير الذي بناه المتوكل في سامراء ، واشتهر بمئذنته الملوية ، فيقول :

قد سرَّ فيها الأولياءُ إذ التقوا بفناءِ منبرها الجديدِ فجمّعوا[٣]

---

١. **ديوان البحتري** ١٢٩٧/٢ تؤم : تقصد ، الخوص: الغائرة العين ، القطوع جمع قطع وهي طنفسة يجعلها الراكب تحته وتغطي كتفي البعير ، السهوب جمع سهب البعيد المستوي من الأرض

٢. المتوكلية : مدينة بناها المتوكل على الله قرب سامراء ، وبها قتل فانتقل الناس عنها إلى سامراء وخربت ، **الديارات** ، الشابشتي ،ص٣٧٠ وينظر **معجم البلدان** ٤١٣/٤

٣. **ديوان البحتري** ١٣١١/٢-١٣١٢ المربع الموضع الذي يقام في فصل الربيع ،فيحاء :واسعة، ميث: أرض لينة سهلة من غير رمل الأجرع: رملة مستوية لا تنبت شيئا، المترع: الملآن، الأكناف: جمع كنف : الظل، الجانب ، جمّعوا : شهدوا فريضة الجمعة، ينظر حاشية الديوان.

ويتابع البحتري وصف المدينة المتوكلية فيبرز معالمها الحضارية، فقد اكتملت بجمالها، وتعالت بحسنها، وبلغت مبلغ التمام والاكتمال، ويصورها بالكواكب اللامعة البرّاقة التي تبدد ظلمة السّاري وترشده ليلا :

أرى "المُتَوَكِّلِيَّةَ" قَدْ تَعَالتْ مَحَاسِنُها، وأكْمَلَتِ التَّمامَا

قُصُورٌ كالكَواكِبِ لامِعَاتٌ يَكدْنَ يُضِئنَ للسَّارِي الظَّلامَا[١]

ويعد البحتري قصر الجعفري معلماً من معالم سامراء التي يشتاق إليها ولا يستطيع المرء أن يبتعد عنها ويصرح بذلك في مدحته المتوكلية التي يذكر فيها انصرافه إلى دمشق:

وقَدْ لَبِسَتْ بَغْدَادُ أحْسَنَ زِيّها لإقْبَالِهِ، واسْتَشْرَفت لِعُدُولهِ

وَيَثْنيهِ عَنْها شَوْقُهُ ونزاعُهُ إلى عَرْضِ صَحْنِ الجَعْفَريّ وطُولهِ [٢]

فعاد المتوكل مشتاقا إلى هذا البناء وغيره وكأنه لم يستطع الابتعاد عمّا شيّد من ترف وعمران، فهو يكابد أشواقه ويكتمها إلى هذا القصر.

ويصور في هذه المدحة بغداد فتاة لبست أحسن زيها وتزينت لاستقبال الخليفة الذي يكابد شوقه إلى محبوبته.

ويعرض البحتري في مدحه للمتوكل ، وصفا دقيقا لمظاهر الحضارة العمرانية ، متخذا من قصر " الزّو " [٣] نموذجاً جديداً من نماذج الحضارة والقصور، فهو أشبه ما يكون بالمركب البحري الضخم في عصرنا الحاضر الذي يرسو على ضفاف الأنهار والبحار[٤]،

---

١. **ديوان البحتري** ٢٠١١/٣
٢. السابق ١٦٣٤/٣
٣. قصر الزو : قال ياقوت الحموي : الزو نوع من السفن عظيم ، وكان المتوكل بنى في واحدة منها قصرا منيفا ، ويعتبر السامرائي أن الزو سفينة ضخمة مجهزة يستعملها الحاكم للنزهة أو الصيد ، السامرائي، إبراهيم ، **سامراء في أدب القرن** ٣ هـ ،ص٣٣٤ ، وينظر طالب الشرقي ، **قصور العراق** ، ٣٠٧-٣٠٩
٤. شبه مصطفى كامل الشكعة هذا القصر بالذهبيات التي ترسو على ضفاف النيل في القاهرة ، ينظر كتابه **الشعر والشعراء في العصر العباسي** ص٧٢٠ .

فيقول مصوراً هذه المركبة البحرية والطيور تلفها من كل جانب:

غنينا على قصــرٍ يسيرُ بفتيةٍ قُعُودٍ عــلى أرجائِهِ وقيامِ
تَظلُّ البُزاةُ البِيضُ تَخطِفُ حَوْلَنَا جآجِىء طَيْرٍ في السَّماءِ سَوامِ (١)

ويتضح لنا أن البحتري وصف القصور المتحركة ومنها قصر "الزّو" الذي يصور انسيابه على نهري دجلة والقاطول ،واصفاً مغامرات الصيد والشراب مشبهاً هذا القصر بالجبل الشاهق، وهو يبدأ هذه المدحة مستذكرا أيامه مع الخليفة ومن ذلك قوله " غنينا" فالشاعر برفقة ممدوحه يصور واقع عيشه الرغد المترف، وفي هذا القصر العائم على متن الماء شهد المتوكل والبحتري يوما جميلا، وصفه الشاعر مبرزا مباهج الحضارة العباسية فالأبيات تتحدث عن رحلة ممتعة على متن لجج الماء.

تحدّرُ بالدرّاجِ(٢) من كــلّ شاهقٍ مُخَضّبةٌ أظفارُهُنَّ دَوامِ
فلمْ أرَ كالـقاطولِ (٣)يِحْملُ ماؤُهُ تَدَفـُّقَ بحر بالسّماحةِ طامِ
ولا جـبلاً كالزّوّ يُوقفُ تـارةً ويـــنْقادُ إمّا قُدتهُ بزِمامِ (٤)

تعج هذه الأبيات بعدد من الصور الحركية المتتابعة، تذكي خيال السامع لها، لتعبر عن دلالة الشموخ والعزة والعظمة في هذا القصر، ويتمثل ذلك بحركة الطيور الجارحة حول هذا القصر المتحرك الذي كان يسير ببطء ثم يتوقف؛ ليتسنى للخليفة اصطياد الطيور من السماء ثم يتابع سيره بين نهري دجلة والقاطول .

١.جاجيء : مفرده جؤجؤ وهو الصدر من الطير أو السفينة ، السوام : الذاهبة على وجهها حيث تشاء
٣. الدرّاج : طائر شبيه بالحجل وأكبر منه ، أرقط بسواد وبياض ،قصير المنقار .
٤. القاطول ، اسم نهر كأنه مقطوع من دجلة وهو نهر كان في موضع سامراء قبل أن تعمر ، الحموي **معجم البلدان** ، المجلد ٤ ،ص٢٩٧
٥. **ديوان البحتري** ٣/ ٢٠٠٢

ويصف البحتري القصر المتوكلي المعروف بـ " الصبيح "(١)، وقصرا آخر بإزائه يقال له " المليح " (٢) والبركة المحيطة بهما، فيشخص هذين القصرين ويجعل منهما عاشقين، يتعانقان ويتبادلان نظرات الحب والابتسام ، منساباً تحتهما جدول من المياه الرقراقة الهادئة ، واصفاً ذلك بقوله :

واسُتتِمَّ "الصّبيحُ" في خيرِ وَقْتٍ   فَهُو مَغْنَى أنْسٍ ودارُ مُقَامِ
ناظرٌ وِجْهَةَ المليح، فلو يَنْـ   ـطِقُ حيّاهُ مُعلناً بالسّلامِ
أُلْبِسَا بهجةً، وقابل ذا ذا   كَ، فمن ضاحكٍ ومِنْ بسَّامِ
كالمُحبَّيـْنِ لو أطَاقا التقاءً   أفرطا في العِنَاقِ والإلتزامِ
تُنفِذ ُ الرّيح جَرْيَها بين قُطريْـ   ـهِ، فَتكبُو من ونيةٍ(٣) وسَآمِ
مُستمِدٌ بِجَدْولٍ من عُبَابِ السَّـ   ماء كالأبيضِ الصّقيلِ الحُسامِ (٤)

لم يصف البحتري القصر وصفاً مستقلاً وبل جاء به ليحقق غاية أبعد وهي إرضاء الخليفة ومدحه والثناء عليه، والإشادة بما أحدثه خلال حكمه حضارة وبناء فتأنس نفس الخليفة بوصف عظم أفعاله وما شاد وبنى.

ويصف البحتري البركة، وصفا حضاريا مظهراً فيه الأساليب والمظاهر والأدوات الحضارية، حيث الدواليب، كما يصور تجاور قصري الجعفري وشبداز(٥) كأنهما توأمان ونجمان يبددان الظلمة .

١.قصر الصبيح : هو أحد قصور المتوكل ، وحدد أحمد سوسه موقعه من خلال وصف البحتري بأن قال :"إن البحتري لما وصف قصري الصبيح والمليح في أشعاره ، اعتبر موقعهما في الموضع الذي تقع فيه البركة الجعفرية وجدولها " سوسة، أحمد ، **ري سامراء** ٣٠٢/٢ ، وبناه المتوكل بعد قصر المليح، وبلغت النفقة عليه خمسة ملايين درهم ، الشرقي، طالب ، **قصور العراق** ص٣٠٠ ، وينظر **معجم البلدان** ١٧٥/٣ .

٢.قصر المليح : سمي بذلك لاتصافه بالحسن والجمال ، بناه المتوكل وانفق عليه خمسة آلاف درهم ، **قصور العراق** ، طالب الشرقي ، ص٢٩٨ .

٣. الونية : الإعياء **لسان العرب** ، ابن منظور ، مجلد ١٥ ص٤١٠

٤. **ديوان البحتري** ٢٠٠٥/٣ وما بعدها، العباب : معظم السيل.

٥.شبداز : قصر عظيم من أبنية المتوكل بسامراء ، **معجم البلدان** ، ياقوت الحموي،ج ٣ /٣١٩

فإذا ما تَوَسَّطَ البِرْكَةَ الخَضـْـرَاءَ ألقتْ عَلَيهِ صِبْغَ الرُّخَامِ
فتَرَاهُ كأنَّهُ مـــــاءُ بَحْرٍ يـخْدَعُ العَيْنَ، وهو ماءُ غَمَامِ
والدَّواليبُ إذْ يـدرنَ ولا نا ضِـحُ يُسْقَى بهنَّ غَيْرُ النَّعَامِ
بدعٌ أُنشِئَتْ لأَوْلَىَ عِبَاد اللّـ ـهِ بالـرُّكْن والصّفا والمَقَامِ
إنّ خير القُصُورِ أصْبـَحَ مَوْهُو بـاً بِكُرْهِ العِدَى لخَيْرِ الأنَامِ
جاورَ الجعفريَّ وانْحَـازَ شِبْدا زُ إليـهِ كالرّاغِبِ المُعْتَامِ
حللٌ من مَنازِلِ الملك كالأنـْ ـجمِ يَلْمَعْنَ في سَوَادِ الظَّلامِ [١]

ويصور الشاعر في هذا الوصف صورة للبركة التي يعكس ماؤها أخضرار الرياض والحدائق التي تلفها، فغدا الماء كأنه قطع رخام ملّون تتلون بتلون الرياض من حولها، ويصف حركة الدواليب في هذه البركة ويشير إلى الابداع المعماري العباسي وإدراك العباسيين صناعة الدواليب ومعرفتهم لدورها في ري البساتين ونضح الماء من الأنهار.

فالبحتري يختار كلماته بعناية ودقة فائقة، تحمل معها دلالات حضارية تضفي الحسن والجمال، فيشبع صوره بشتى ألوان الطبيعة وعناصرها، من ماء وهواء وسماء وأنجم، فتضفي على جو القصيدة جرساً موسيقياً وتكراراً صوتياً في تتابع الألفاظ، ورقة وتناغماً حسياً في أواخر حروف القافية . أضف إلى ذلك جمال الألوان وزهوها، فنراه يلف الماء (اللون الأزرق) بالرياض (اللون الأخضر) ويجري بينهما حركة وتناسقاً وتناغماً .

ويعرض لنا في مدحة أخرى لوحة فنية رائعة، يرسم فيها بركة أحد قصور المتوكل، موظفا عنصر التشخيص، حيث يبرز صورة البركة كأنها فتاة حسناء فائقة الجمال ، تحيط بها الغانيات من كل صوب، مصورا مباهاتها بجمالها وحسنها من ناحية وغيرة نهر دجلة منها من ناحية ثانية، فيقول :

يامَنْ رَأى البركةَ الحَسْنَاءَ رؤيَتها والآنسـاتِ إذا لاحَتْ مَغَانيهَا[٢]
بحَسْبِها أنـّها مِنْ فَضْلِ رُتْبَتَها تُعَدُّ واحِـدةً، والبحرُ ثانيها
مابَـالُ دِجْلَةَ كالغَيرَى تنافسُها في الحُسْنِ طَوْرَاً وأطواراً تُباهيها [٣]

---

١ **ديوان البحتري** ٢٠٠٦،٢٠٠٥/٣ ، المُعْتَام: هو الذي يختار العيمة وهي خيار المال ،حلل: جمع حلة وهي المحلة والمجلس والمجتمع، الناضح: البعيريسقى عليه، ينظر حاشية الديوان.

٢. مغانيها : منازلها؛ الآنسات: جمع آنسة وهي الطيبة النفس؛ لاحت: نظرت. ينظر حاشية الديوان

٢. االسابق ٢٤١٦/٤

أما مساحة البركة بطولها وعرضها فيصفها لنا مستحضرا شخصية " بلقيس " التاريخية ملكة سبأ،ويصورها بأنها لو مرت بها مروراً عابراً لأيقنت بجمال هذه البركة، التي تضاهي قصور سليمان وصرحها الممرد. ويستمر واصفاً تدفق الماء واندفاعه في البركة بسرعة ركض الخيول وجريانها، فيقول :

فلو تمُرُّ بها "بلقيس" عن عُرَضٍ   قالَتْ: هي الصّرحُ تمثيلاً وتشبيها
تنْحَطُّ فيها وفودُ المَاء ِمُعْجَلَةًً   كالخَيْلِ خارجةً من حَبْلِ مُجْرِيَها[١]

ويصف البركة وتلألؤ الماء بسيل متدفق من الفضة اللامعة البراقة ولو مرت بها ريح الصبا، لتماوج الماء فيها دوائر أشبهت صورة الدروع المجلّوة

كأنَّـــما الفضّةُ البيضاءُ سائلةً   من السَّـبائِكِ تَجْري في مَجَارِيهَا
إذا علـتْهَا الصّبا أبدتْ لها حُبُكاً   مثل الجَواشِنِ مصقُولاً حواشِيـها [٢]

ويتابع وصفه مشخصا إياها بحسناء فاتنة، تضاحكها أشعة الشمس الذهبية، وكما شبه قطرات مائها بلعاب عذب يبكي هذه الحسناء، مصوراً انعكاس نجوم السماء فيها ليلاً كسماء أخرى طبعت على وجهها، قائلا :

فـَرَوْنَقُ الشّمس أحياناً يُضَاحِكُها   وريّقُ الغيثَ أحياناً يُبَاكيـــها
إذا النُّجُوم تراءَتْ في جوانِبِها   لـيلاً حَسِبْتَ سماءً رُكِّبَتْ فيها

وتكتمل روعة هذه الصورة بتمازج الصور الحركية المائية فيها، وبتوظيف عناصر الطبيعة الحسيّة، من طيور مجنحة وأسماك ودلفين بحركة خوافي هذه الطيور أثناء التقاط طعامها من سمك هذه البركة، وحركة الدلفين حول صحن واسع يتوسطها ، فيقول :

لا يبْلغُ السّمكُ المحصورُ غايتَها   لبُعْدِ مابينَ قاصيها ودانـــيها
يعُمْنَ فـــيها بأوساطٍ مجنّحةٍ   كالطّير تنقضُّ في جوٍّ خَوافَيها
لهُنّ صَـحْنٌ رحيبٌ في أسافلها   إذا انحططن، وبهوٌ في أعَاليها
صورٌ إلى صورةِ الدُّلْفينِ يُؤنِسُهَا   منـهُ انزواءٌ بعيْنيهِ يوازيها [٣]

---

١. **ديوان البحتري** ٢٤١٧/٤
٢. السابق٢٤١٨/٤، الحبك : تكسر الماء ، الجواشن مفردها جوشن : الدروع ، الصحن : الساحة، ينظر حاشية الديوان.
٣. السابق٢٤١٩/٤، البهو : البيت الواسع ، انزواء : انحراف

وينتقل البحتري من وصف هذه البركة من الصور الحركية المائية إلى صورة لونية طبيعية، حيث يتغنى بالروضة المحيطة بالبركة، ومائها المنهمر عليها بلمسات المتوكل السحرية، وطيورها الزاهية فيها، فيقول :

تَغْنَى بساتينُها القُصْوى برؤيتها　　　عن السّحائبِ منْحَلاً عَزاليها
كــأَنَّهَا حين لُجَّتْ في تدفُّقها　　　يدُ الخليفــةِ لمّا سَالَ واديها
محْفُوفةٌ برياضٍ لا تَزَالُ ترى　　　ريشَ الطَّواويسِ تحكيه ويَحْكيْهَا (١)

وصف البحتري البركة بأوصاف تدل على مهارة الصانعين الذين تفننوا في تدبيجها بزراعة الأشجار والأزهار المختلفة الألوان حولها، وعمد إلى الألوان وأكثر من التشبيهات والمطابقات والمقابلات ، كما يتجلى ذلك في قوله :

فَرَوْنَقُ الشّمس أحياناً يُضَاحِكُها　　　ورّيقُ الغيثَ أحياناً يُبَاكيـــها

فكانت هذه البركة مكمّلاً للقصر بحسنه وجماله.

حشد البحتري في وصفه لهذه البركة طاقاته الشعرية؛ حيث انتقل مباشرة من المقدمة التقليدية إلى وصف البركة، فهي في غاية الجمال أُقيم بجانبها مغنى للجواري الحسان، وهي على سعة حوضها تضاهي البحر فهي - لاتساعها - لا يستطيع السمك بلوغ منتهاها . ويستمر في وصف هذه البركة ملتفتاً إلى عناصر الطبيعة الأخرى من الورد والنسيم والشمس والنجوم مجسداً من هذه البركة وما يحيطها عرشاً لبلقيس.

فالقصيدة مظهر من مظاهر الحضارة التي نستشف من خلالها الجمال والألوان الطبيعيّة الحيّة .

ولا ينكر القارئ عذوبة الألفاظ وانسجامها مع المعطى الحضاري المعيش وإشباعها لرغبات الخليفة الجمالية وشفاء مراده من الحديث عن التألق والزهو، وكأن البحتري في أوصافه للبرك يستدعي إعجاب المتوكل، ومن هنا جاءت اللوحة الأخيرة تجمع بين مدح الخليفة ووصف البركة.

وذكر الشعراء قصور المتوكل في بعض مدائحهم، ومن ذلك ما قاله البحتري في إحدى مدائحه للفتح بن خاقان، حين قال:

---

١. **ديوان البحتري ٢٤٢٠/٤**

ومَنْ لي بإذْنٍ حين أغْدُو إليكما ودونَكُما " البرْج" المُطِلُّ وحاجِبُهْ؟ (١)

ويذكر البحتري هنا أسماء ثلاثة قصور من قصورالمتوكل وهي: الزّو، والجوسق (٢)، والصبيح:

كم ليـلةٍ ذات أجْرَاس وأرْوقةٍ كاليمِّ يـقذِفُ أمواجاً بأمواجِ

فـ"الزَّوُّ" و"الجَوْسَقُ" المَيْمُونُ قابَلَهُ غنجُ" الصبيح"الذي يدعَى بصَنّاجِ

بـ"سُرَّ مرا" سَرَى هَمِّي وسَامَرَني لهوٌ نَفَى الهم عن قلـبي بإخْرَاجِ (٣)

ويدل البحتري في هذا المقطع على الموقع الجغرافي لهذه القصور وكيف أنها تُسري نفس المشاهد وتمحو الهم من قلبه .

ووصف البحتري روضة "الصالحية" في إحدى مدائح المتوكل مضفياً عليها طابع الأنسنة ،حيث صور مظاهر الطبيعة فوصف رذاذ مطرها المتساقط بصورة بكاء حسناء، يبتسم محياها وتوردّ ملامحها، فمزج الشاعر بين مظاهر الحضارة ونعومة المشهد فقدم صورة مزخرفة بقطرات المطر وألوان الحشائش والأزهار، مضيفاً لهذه الصورة الرقيقة الملتفة بالألوان صورة الخمر التي تُنتج من خدود الحسان.

فلَعلّني ألْقَى الرَّدى فَيُرِيحُني عمل قليلٍ من جَوى البُرَحَاءِ

أخذَتْ ظُهُورُ "الصالحية" زينةٍ عَجباً من الصفراءِ والحمراءِ

نسجَ الرّبـيعُ لربعها ديباجةً من جوهر الأنوارِ بالأنـواء

بكتِ السّماءُ بها رذاذ دموعها فغدت تبسَّمُ عن نجومِ سماء

في حلّةٍ خضراءَ، نَمْنَمَ وشيها حوك الرّبيع وحلةٍ صفراء

فاشرب على زهرِ الرّياضِ يشُوبُهُ زهرُ الخدودِ وزهرةُ الصّهبَاء(٤)

فيصور الشاعر خضرة هذه الحديقة وكأنه نسيج حيك ليلف ساحتها الواسعة المتلألئة بالنجوم، كما يذكر الشاعر المجالس التي تُقام في هذه الحدائق وسط الرياض بصحبة الحسناوات والشراب.

---

١. **ديوان البحتري** ٢٠٢/١ قال هذه القصيدة في علّة نالت الفتح بن خاقان، ويرجع تاريخها إلى بدء تعرف البحتري إلى الفتح أي سنة ٢٣٣هـ، ينظر حاشية الديوان.

٢.الجوسق : من القصور التي أنشأها المتوكل وأنفق عليه خمسمائة ألف درهم الديارات ،ص٣٦٨ وهو اسم فارسي معرب / تصغير قصر " كوشك" أي صغير كما ذكر الجواليقي ينظر حاشية الديوان ٢ ، ٤٣١/١

٣. السابق ٤٣١/١، وهذه المقطوعة مشكوك في صحة نسبها للبحتري، ينظر حاشية الديوان.

٤. السابق ١/ ٦ الأنواء: جمع نوء وهي النجوم المائلة إلى الغروب، وهي السحب، ينظر حاشية الديوان.

ويطالعنا في خلافة المتوكل شاعر آخر وصف مظاهر العمارة وهو علي ابن الجهم؛ فدارس ديوان ابن الجهم يكاد يجزم أن الشاعر قد وصف قصرا واحدا في عهد المتوكل " الهاروني"[١]، كما وصف البركة أيضا وتميزت أوصافه بالصدق والعفوية، إذ وصف الأشياء عفوا كما تعرض نفسها عليها . فيصف بركة المتوكل مصورا إيّاها أعجوبة من أعاجيب الدنيا ، سحرت الناس بجمالها ، فيشبهها بعروس تجلّت في غاية الروعة أمام خاطبها ،مصورا التفاف الرياض بها والأمواج والبساتين ، قائلا :

أنشأتَها بِرْكةً مــباركةً فبـــارَكَ اللهُ في عواقِبها
حُفّتْ بما تشتهي النُّفوسُ لها وحَارَتْ النَّاسُ في عجَائِبها
لمْ يخلق ِاللهُ مَثْلَهَا وطناً في مَشْرقِ ِالأرضِ أو مغاربها
كأنَّهَا والرّياضُ مُحْدِقَةٌ بــها عَرُوسٌ تُجلى لخاطِبِها
من أيِّ أقطارها أتيتَ رأيـ ـتَ الحُسْنَ حيرانَ في جوانِبِها
للموجِ فيها تلاطُمٌ عَجَبٌ والجَزْرُ والمدُّ في مشاربِهــا
قدّرهـــا اللهُ للإمامِ وما قدّر فيها عيْـباً لعائــبها [٢]

ويمدح ابن الجهم المتوكل ويصف القصرذاته - الهاروني - مفتتحاً قصيدته بالحديث عن الحضارات القديمة ومجال بنائها ببنيان المتوكل الذي فاق بناء الفرس والروم :

مــازلتُ أسمع أنّ الملوك تبني علـــى قدر أخطارِها
وأعلمُ أنّ عقول الرجالِ يُقضــــى عليها بآثارِها
فللـرّوم ما شـادهُ الأوّلون وللفـرسِ مأثورُ أحرارِها

---

١. القصر الهاروني : سمي بذلك نسبة لاسم الخليفة هارون الواثق بالله ، ينظر موقعه معجم البلدان ٣٨٨/٥، د. أحمد سوسة ري سامراء ٧١/١+٧٢. وأكد الطبري أن الواثق هومن أمر ببناء القصر ووصفه ابن الجهم في زمنه ، ويذكر المسعودي أن المتوكل أخذ القصر وأنفق عليه مع الجوسق والجعفري مائة ألف ألف درهم ،**مروج الذهب** ١٢٢/٤، وينظر طالب الشرقي ، **قصور العراق** ، ٢٨٦-٢٨٩.

٢. **ديوان ابن الجهم** ،ص٨٠

فلمـــا رأينا بناءَ الإمـــامِ رأيـــنا الخلافةَ في دارِها

بـــدائعَ لم ترها فـــارسٌ ولا الروم في طول أعمارها[١]

ويصف القصر:

وقبّةُ ملــكٍ كـأنّ النّجــو مَ تفـضي إليها بأسرارها

إذا لمعـــت تسّتبين العيـو نُ فيهـــا منابتُ أشفارِها

وإن أوقـــدت نارها بالعرا قِ ضـاءَ الحجازَ سنا نارِها

وأما الشرفات فيقول في جمالها وزينتها :

لها شُرفـاتٌ كأنّ الرّبـيعَ كـَسَاها الرَّياضُ بأنوارِها

نظَمْنَ الفُسيْفسَ نَظمَ الحُليّ لـعونِ النّساءِ وأبكارِهـا

فهن كمصطلحاتِ بَرَزْنَ بفصح النّصارى وإفطارها [٢]

حشد ابن الجهم طاقاته الشعرية والفنية الهائلة في وصف هذا القصر، حين وصف مظاهر الحضارة ومباهجها؛ إذ يستغل عناصر الطبيعة ويكمّلها مع بناء القصر ليجعل منها بهجة للعين والنفس، فيصف القصر وصفاً دقيقاً يبين من خلاله شموخه وارتفاعه، فهو يسمو ويرتفع عن مباني الفرس والروم، ويصف لنا قبته التي تطول النجوم في شموخها وتستمع منها إلى أسرارها، ويتحدث عن شرفات القصر التي زخرفت بالفسيفساء الملونة فيحاكي ضياؤها ضياء الشمس ولمعان الذهب، فتتماوج فيها الأنوار وكأنها فتيات للنصارى [٣]خرجن في موكب الفصح للرقص والغناء، ويزيد جمال تصويره باستعارة ألوان الطبيعة لتزيين الفسيفساء لتبدو الصورة أكثر جمالا وروعة، هذه الفسيفساء بألوانها أشبه ما تكون بحلي النساء .

أما الحديقة التي تلف القصر فهي مليئة بالنخل والأثمار وعندما تهب عليها النسمات الخفيفة تداعب أوتار القيان :

وسطحٌ على شاهقٍ مُشْرفٍ عليه النّخيلُ بأثمارِها

---

١. **ديوان ابن الجهم** ١٤٦. أخطارها جمع خطر وهو القدر والمنزلة ،لسان العرب ١٣٧/٤

٢. السابق ص ١٤٦ الشرفات : أعالي القصور ، الأنوار : الأزهار ، الفسيفس : قطع صغيرة ملونة من الرخام وغيره تجمع بعضها إلى بعض ثم تركب ، عون : جمع عوان وهي من النساء النصف في سنها ، **لسان العرب**، ينظر حاشية الديوان

٣. ينظر إسماعيل،عز الدين (١٩٨٠) **في الشعر العباسي الرؤية والفن**،مصر: دار المعارف ص ٤٠٣

إذا الرِّيحُ هَبَّتْ لها أسْمَعَتْ   غناءِ القيانِ بأوتارِها[١]

وفي هذه الحديقة الخضراء النضرة نافورة تتوسطها وتجمع الماء إلى أرضها الخضراء:

وفوّارةٍ ثأرُها في السَّماءِ   فليسَتْ تقصّرُ عن ثارِها

ترُدُّ على المُزْنِ ما أنْزَلَتْ   على الأرضِ مِنْ صَوْبِ مدرارِها[٢]

فيصف الشاعر النافورة التي تدفع بالماء للأعلى بإصرار وقوة كأنها تطلب الثأر منها وهذه الصورة تدل على غزارة مياهها وعمقها وتصور العناية والإتقان بتصميمها . فهذه الفوارة تذهب ماؤها إلى السماء ثم تعيده قطرات غزيرة متدفقة .

وينهي هذا الوصف بالدعاء للخليفة الذي عمّر وشيّد وبنى وجعل من عهده عهداً ذهبياً في العمارة والبناء ، وبهذه النهاية يؤكد وفاءه لممدوحه وولاءه له:

فلا زالتِ الأرضُ معمورَةً   بِعُمركَ يا خيرَ عُمَّارِها [٣]

وذكر إبراهيم بن العباس الصولي قصرين للمتوكل هما : العروس [٤] والبرج قائلا :

تأمّل سماءً أظلّتْ عليكَ فيها مصابيحها تَزْهَرُ

وأرض نقابلها بالعَرو   س والبُرج شمسُها جَعْفَرُ

ومَسْحَبُ نورٍ غَدَاة الرّبيع أنفاسه المسك والعنبر

خلالَ شقائقِه أصفرُ   وأضعافُ أصفرِه أحمرُ

وللماء مُطّرَدٌ بينه   يضيق بآذيِّه المَصْدَرُ

وللناطقات بأكنافِهِ   دَوَاعي اشتياق ومُستَعْبَرُ

يساوقُهُ البَرّ من كلِّ جانبٍ   ومن جانبِ بحره الأخضَرُ

مجال وحوش ومرقى أنيس   فيا عُرْفَ لهو ويا منظرُ

ويا حسن دنيا ويا عِزّ مُلك   يسوسهمُ السائسُ الأكبَرُ

إمام به أمرَ الآمرو   ن بالعُرْف واستُنْكر المنكر [٥]

١,٢,٣ **ديوان ابن الجهم** ص ١٤٦-١٤٩ .

٤. العروس من القصور الجميلة ،شبّه بالعروس بناه المتوكل وأكد ذلك اليعقوبي ،**تاريخ اليعقوبي** ٢٢٣/٣ ، وينظر الحموي، **معجم البلدان** ، الشرقي، طالب **قصور العراق** ، ص٢٩٤+٢٩٥ .

٥. **الطرائف الأدبية** ١٣٣+١٣٤ ، الآذي: الموج الشديد والجمع الواذي لسان العرب ٨١/١.

فيصف الشاعر جمال هذا القصر وسماءه التي تظللت بالنجوم المضيئة، وأرضه كالعروس تعطرت ومزجت بالمسك والعنبر وأضاءت بنور الخليفة جعفر .

وينتقل لوصف الرياض بألوانها المختلفة ومائها الصافي العذب، أما موقع القصر فيحدده بإطلالته البرية من كل جانب والبحرية الملونة باللون الأخضر من جانب آخر ويدل في ذلك على التفاف القصر بالرياض والحدائق التي تعكس لونها في ماء البحر ويختتم وصفه بمدح الخليفة البنّاء المشيد لهذا القصر، سائس الخلافة والرعية الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر .

وقال أيضا في مقطوعة أخرى يصف قصر المطل والعروس :

ولمّا بدا جعفر في الخميس بين المطلّ وبين العَروسِ

بدا لابساً بهما حُـلّة أُزيلت بها طالعات النحوسِ

ولمّا بدا بين أحبابِهِ ولاة العهود وعزّ النفوس [(١)]

فما أجمل منظر الخليفة فبدا لابسا حلته الجميلة التي تبعد كل نحس عنه، وما أجمل ظهوره بين ولاة عهوده الثلاثة! .

وذكر البحتري في إحدى مدائحه للفتح بن خاقان قصوره ووصفها، فقال:

مقاصيرُ مُلْكٍ أقْبَلَتْ بوجوهِهَا إلى منظر من عَرْصِ دِجْلَةَ مُونقِ [(٢)]

كأنَّ الرِّياض الحُوّ يُكْسَيْن حَوْلَـها أفـانينَ من أفوافِ وشْيّ مُلفّقِ [(٣)]

إذا الرِّيحُ هَزَّتْ نورهُنَّ تَضَوَّعَتْ روائحـُهُ من فأر مِسْكٍ مفتّقِ [(٤)]

كأنَّ القبابَ البيضَ والشمس طَلْقَةٌ تُضاحِكُها أنصافُ بيضٍ مُفَلّقِ [(٥)]

---

١. **الطرائف الأدبية** ١٣٣+ ١٣٤.
٢. المونق : المعجب ، **لسان العرب** (أنق) مجلد١/٢٣٩
٣. الحو : التي بها سواد إلى الخضرة (حوا) لسان العرب ٤٠٧/٣ أ أفانين : الضروب والأنواع (أفن) **لسان العرب** ١٦٨/١ ، أفواف : نوع من الثياب
٤. ملفق : مزخرف
٥. ديوان البحتري١٥١٠/٣

ومن شرفات في السماء كأنها قوادم بيضان الحمام المحلّق[١]
رباع من الفتح بن خاقان لم تزل غنى لعديم أو فكاكا لموثق [٢]
فلا الهاربُ اللآجي إليها بمسلم ولا الطّالب الممتاح منها بمخفق [٣]

تصور هذه القصيدة مظهرا من مظاهر الحضارة العباسية، وترسم صورة دقيقة ومفصّلة لمقاصير الفتح بن خاقان وزير المتوكل، ويشير الشاعر في هذا الوصف إلى عجائب الصنعة في القصر، فهو يقع بالقرب من نهر دجلة محوطاً بالرياض الخضراء، تتلاعب الرياح بأزهار رياضها فتُخرج رائحة عطرة فوّاحة كرائحة المسك .

ويسترسل في وصف أجزاء أخرى في القصر فيصف القباب بلونها الأبيض اللامع كأنها أنصاف بيض مفلق، فيجمع بين الشكل واللون ليعطي القارئ صورة واضحة .

ثم يمضي ليصف شرفات القصر العالية فهو قوادم الحمام البيض المحلّق المرتفع في السماء . ويخلص بالنهاية للغرض من هذا الوصف كلّه وهو مدح الوزير وكأنه اتخذ من أوصافه وسيله للمدح، فهذا القصر مقصد للسائلين والطالبين والمحتاجين وهو منزل العدل والاستقامة .

وأبدع البحتري في هذا الوصف المزج بين الألوان والأصوات والروائح فوصف الرياض بالوانها الخضراء والزهور بألوانها المتنوعة الزاهية ووظف عنصر الصوت لبيان حركة الرياح وهي تداعب هذه الأزهار وتلاطفها وتخرج منها روائحها الطيبة .

ولم يقتصر شعر الحضارة المتوكلية على وصف القصور والرياض والبرك وإنما تجاوز ذلك لوصف بيوت القيان والغانيات ،فالشاعر العباسي يصف الحياة الاجتماعية بكل تفاصيلها وأحداثها ، ومن هذا ما وصفه ابن الجهم لأحد بيوت القيان في " باب الكرخ" [١]مصورا جو اللهو والشراب والطرب ،وحرية التصرف في مجلسه دون خجل أو استحياء ، فيقول :

---

١. القوادم : الريش في مقدم الجناح ، المحلّق : المرتفع ، فأر المسك : وعاء المسك
٢. الرباع : الديار والمنازل (ربع) **لسان العرب** ٥/١١٥ ، العديم : الفقير ، فكاكا : تخليص الأسر .
٣. الممتاح : من تح الماء نزعه . **ديوان البحتري** ٣/ ١٥١٠
٤. باب الكرخ : اسم منطقة ، متنزه يقع بالقرب من قصر وضاح وبركة زلزل ، قصر وضاح : قصر بني في عهد المهدي قرب رصافة بغداد وتولى النفقه عليه رجل يدعى وضاح .

نزَلْنَا ببابِ الكَرْخِ أفضلَ منزلٍ   على مُحسناتٍ من قيان المُفضّلِ
فلا بن سريجٍ والغريضِ ومـعبدٍ   ودائع في آذاننـــا لم تُبدَّلِ

يظهر في هذه الأبيات أن الشاعر كان ينادم جماعة في منطقة يقال لها باب الكرخ وأن أصوات المغنين المشهورين أمثال ابن سريج والغريض .... ما زالت في أذن الشاعر ، ويصف هذا المتنزه ويحدد موقعه قائلا :

سَقَى اللهُ بابَ الكرْخِ من متنزَّهٍ   إلى قصرِ وضّاحِ فبركة زَلْزَلِ [١]

ولم يقتصر هذا الترف العمراني على بناء القصور والحدائق وإنما تجاوز ذلك إلى حفر الأنهار والجداول. وأشار إلى ذلك البحتري في إحدى مدائحه للفتح بن خاقان ذاكراً نهر نيْزَك الذي حفره المتوكل ليروي حير الحيوانات التي أنشأها:

يحصّنهُ من " نهر نيْزكَ"معقلٌ   منيعٌ تسامى غابُهُ وتأشَّبا[٢]

١. بركة زلزل : بركة بقع بين الكرخ والسراة في بغداد ، حفرها زلزل ووقفها على المسلمين .
٢ . **ديوان ابن الجهم** ص١٨٨

رثاء العمارة العباسية:

لم يكتف الشاعر العربي بندب أهله وأقاربه وإنما عبّر عن حزن الجماعة وصور المحن الكبرى التي حلت بالناس؛ إذ صور الشاعر سقوط الدول والأوطان واصفاً المأساة والمحنة والكارثة، وصور البحتري هذا في رثاء المتوكل إذ تعد مرثيته صرخه من الأعماق. يرثي بها أيام المتوكل وعمارته وقصوره كما يرثي في الوقت ذاته أيام أنسه ونعيمه مع المتوكل.

ويشيع في هذا النوع من الرثاء ألفاظ تظهر الفجيعة الكبرى التي حلت بالمسلمين، وصروف الدهر وتقلباته، وهي في الوقت ذاته تعجّ بالألفاظ ذات المدلولات الحضارية والعمرانية التي خلّدت صاحبها ، فجاء هذا الرثاء حضاريا ممزوجا بشتى ألوان الترف والرونق والاناقة ، ممزوجا بصور الحضارة ومظاهر الطبيعة، فقد أبدت حياة العمران الشعر الوصفي بكثير من الموضوعات وأغنت قرائح الشعراء وفي الوقت ذاته قدمت لهم مادة للرثاء والبكاء على تلك المباني وأصحابها.

وهذا القصر المعتمر بأجمل ألوان الحياة، المفعم بالجمال والأبهّة، المحُلّى بحلاوة أيام المتوكل، يبدو في قصيدة أخرى للبحتري حزيناً واقفاً لا حول له ولا قوة مُذكّراً بعهد الجلالة والعظمة - عهد المتوكل-، وذلك حين قال في مرثيته للمتوكل فوصف القصر ذاته –الجعفري- كيف تغير حاله وتبدّل، فالمصيبة أذهلت الشاعر وهزّت شغاف قلبه وجعلته يتوسم الجزع والحزن

تَغيّرَ حُسْنُ"الجعفري" وأُنْسُهُ   وقُوِّضَ بادي "الجعفري" وحاضِرَهْ

تَحَمَّلَ عنهُ ساكِنُوهُ فُجاءَةً   فَعادَتْ سَوَاءٌ دُورُهُ ومقابِرُهْ

إذا نحن زُرْنَاهُ أجدَّ لَنَا الأُسى   وقد كان قبل اليوم يَبْهَجُ زائرُهْ [١]

ويذكر حال الحيوانات كيف تبدل في حيرها [٢]، وما آلت إليه بعد وفاة المتوكل من وحشة وقفر

١.**ديوان البحتري** ١٠٤٦/٢

٢.حير الحيوانات : حديقة للحيوانات بناها المتوكل في قصره ، وقال البحتري واصفا هذا الحير في إحدى مدائحه :   يرعن منك إلى وجه يرين له   جلالة يكثر التسبيح رائيها

وذكر الصولي القصر الذي في الحير وهو يصف سر من رأى :

بسر من رأى بلاد الملك طاب لنا   معرّس عيشه باللهو منظوم ، الصولي، **الأوراق** ، ١٨١/٢ .

فيصف ذعرها وما طالها من الأسى والتفرقة كحال القصر الذي تحول من مكان للسعادة والفرح إلى مكان للحزن والفناء فقد أصبح كل شيء ساكنا ينادي الموت :

ولم أنسَ وَحْشَ القَصْرِ إذ ريعَ سِرْبُهُ   وإذ ذُعِرَتْ أطْلاؤُهُ وجآذِرُهْ [١]

وَوَحْشَتَهُ حتّى كـأن لـم يُقمْ بهِ   أنيسٌ، ولم تَحْسُنْ لعينٍ مَنَاظِرُهْ

كـأن لم تبتْ فيهِ الخِلافَـةُ طَلْقةً   بِشَاشَتُها، والمُلكُ يُشْرِقُ زاهِرُهْ

ولـم تجمع الدنيا إليـه بَهَاءَهـا   وبَهْجَتَها والعَيْشُ غَضٌّ مَكاسِرُهْ [٢]

ويتساءل في هذه المرثية مثيراً الحركة في جوانب القصر الصامتة مستذكرا أمجاد الممدوح، محلّقا بخياله إلى الماضي العريق، حيث أعاد الحياة ومحافل الأنس والسمر والشراب ، قائلا :

وأينَ عميدُ النّاسِ في كلِّ نَوْبَةٍ   تنوبُ وناهي الدَّهر فيهم وآمرُهْ [٣]

وينهي البحتري مرثيته بدموع حارة تعتصر حزنا وألما على النعيم المفقود والترف الزائل وكأنه يترجم مأساة قتل المتوكل بشعر صادق . فهو يصور مقتل ممدوحه الحبيب، ويصور القصر وحاله بعد رحيل الخليفة، وكأن الخليفة عكس شخصه على جدران القصر وكأنه أشبه ما يكون بالمعبد من حيث عظمته ووقاره ومنزلته .

---

١. الطلي : ابن الظبية، الجؤذر : ابن البقرة الوحشية ، بنظر حاشية الديوان.

٢. غض المكاسر : دلالة على رفاهية حياة المتوكل، ينظر حاشية الديوان.

٣. **ديوان البحتري** ١٠٤٦/٢-١٠٤٧

البـــاب الثاني

الدراســة الـفـنـيـة

الفصل الأول :

بنية القصيدة شكلاً ومضموناً

أولاً : **المعاني**

تقسم الأشعار التي عرضت لبعض مظاهر الحياة السياسية والاجتماعية والعمرانية والمذهبية بجملة من السمات نوجزها فيما يأتي:

أ- وضوح المعاني :

إن مسألة وضوح المعاني و غموضها مسألة قديمة شائكة خاض سجالها النقاد القدامى، فمنهم من حرص على وضوح المعنى (١) وانتقد الغموض، ومنهم من راقته ظاهرة الغموض والعمق، وهي قضية شغلت النقاد الذين وقفوا على شعر أبي تمام والبحتري ممالا فائدة من إعادة القول فيها في هذا السياق.

و الناظر في أشعار حقبة الخلافة المتوكلية يجد السمة الغالبة على معانيها و أفكارها الوضوح التام في الموضوع و الغرض.

و قد يعود وضوح أشعار تلك الفترة لعدد من الأسباب منها أسباب البيئة الاجتماعية و معطيات الحياة الحضارية المترفة التي ابتعدت عن ما هو غليظ و متروك، فاستخدمت المعاني المطروحة للناس جميعاً و قد نعيد أحد أسباب ذلك إلى المقام الذي يُقال فيه الشعر وطبيعة الموقف الذي فرض التجربة الشعرية .

و يصل الوضوح أحياناً حد السطحية والتقريرية المباشرة والخطاب المنكشف البعيد عن التصوير وقوة التأثير كما نجد ذلك في بعض شعر علي بن الجهم :

قالَ و أينَ البحرُ من جودِهِ   قلتُ و لا أضــعافه أبحُرُ

البحرُ محصورٌ له برزخٌ   والجود في كَفَّيْهِ لا يُحصرُ (٢)

وقد مرت أمثلة كثيرة على ذلك في باب الحديث عن الشعر وشؤون السياسة :

ب_ مصادر المعاني

وقد تعددت المصادر التي نهل منها شعراء الخلافة المتوكلية معاني أشعارهم فمنها الدينية والتاريخية والفلكية، فتنوعت صورهم و تعددت معانيهم بتعدد ثقافاتهم ، ويمكن إجمال مصادر المعاني والأفكار إلى :

---

١. ينظر الخفاجي،ابن سنان ، **سر الفصاحة** ص٢٠٩

٢. **ديوان ابن الجهم** ص ١٢٨

أ_ القرآن الكريم :

تأثر الشعراء بالنزعة الدينية السائدة في خلافة المتوكل، و احتوت أشعارهم ألفاظاً قرآنية ، ومنه ما قاله علي بن الجهم عند وصفه مشهداً من مشاهد القتال في أرجوزة :

ضَرْباً طِـلَفْحاً ليس بالقليلِ ومَنْجنَـيقٍ مثل حَلْقِ الفيلِ

تَرْفَضُّ عن خرطُومهِ الطّويلِ صـواعِقٌ من حَجَرِ السِّجيِّلِ(١)

فهو متأثر بقوله تعالى :" ترميهم بحجارة من سجيل ". (سورة الفيل ٤)

و يقول البحتري في إحدى مدائحه للفتح بن خاقان :

قد جاءَ نَصْرُ اللهِ و الفَتْح و شَقَّ عنا الظُّلمةَ الصُّبْحُ

وزيُر مَلْكٍ و رجا دولةٍ شَـِيمتُهُ الإنعامُ و الصّفْحُ (٢)

وفي مدحه قال الفتح بن خاقان :

كأنما "هارُوتُ" في أجفانهِ يُنْصِفُ إن شاءَ ، و إن شاءَ غَصَبْ (٣)

فهو متأثر بقوله تعالى :" و ما أنزل على الملكين ببابل هاروت و ماروت " (البقرة١٠٢)

وتأثر الشاعر بقصص القرآن الكريم وكتب التفسير، ومن ذلك قول البحتري متأثراً بقصة السقب أي ولد الناقة التي طلبها قوم ثمود من نبيهم صالح ،وقال البحتري في مدح الفتح بن خاقان :

من ذاك قيل لكعب يوم سؤدده "رد كعب انك وراد فما ورد "!(٤)

ويستحضر البحتري من القرآن الكريم مثلا نبي الله سليمان وما سُخر له من الجن عند حديثه عن إبداع بركة المتوكل وإتقانها .

كأنّ جِنَّ سليمانَ الذين وَلُوا إبْدَاعَها فأدَقُّوا في مَعَانِيهَا(٥)

ويقول البحتري في قتل نجاح بن سلمه :

وأبقاه إلاله بقاء "نوح" لتشييد المكارم والسماح (٦)

---

١. **ديوان ابن الجهم** ١٩٢ ، طلفحاً : شديداً، السجيل: حجارة كالمدر

٢. **ديوان البحتري** ج ١ ص ٤٧٤

٣. السابق ١٥٤/١ هاروت : اسمم اشتهر بالسحر

٤.كعب هو كعب بن مامة الايادي الجواد ، من اياد بن معد ، ضرب المثل به في ايثاره الناس على نفسه فقد آثر رفيقا من النمر بن قاسط يقال له شمر بن مالك ، ينظر حاشية القصيدة، **ديوان البحتري** ٧٢٠/٢

٥. السابق ٢٤١٧/٤ ٦. السابق ٤٦٤/١

ب _ التاريخ :

تعددت الإشارات التاريخية في أشعار هذه الفترة و جاءت على شكل إحالات خاطفة لقضايا تاريخية بعينها لما لها من ارتباط وعمق معنوي ورمزي في نفس الشاعر . هذا الرمز أو الحدث التاريخي يغني عن الكثير من التفصيل ، ومن ذلك ذكر ابن الجهم للردة الأولى في إحدى مدائحه للمتوكل:

يا أعظمَ الناسِ على مُسلمٍ حقاً و يا أشرف من يفخرُ
الردةُ الأولى ثنى أهلُهَا حزمُ أبي بكر و لم يكفروا
و هذه أنــتَ تلافيتَها فعادَ ما قَدْ كـادَ لا يُذكَرُ [١]

فابن الجهم يماثل بين حزم أبي بكر الصديق وحزم المتوكل فالخليفة الراشدي أنهى الردة عند وفاة الرسول والخليفة العباسي تلافاها من جديد حين قضى على فتنة خلق القرآن التي اصطنعها المعتزلة.

و يقول البحتري في قتل نجاح بن سلمه ذاكراً مسيلمة الكذاب وزوجته ودورهما في نشر الردة

و أكذبُ من "مسيلمةَ بن صعبٍ " و أفضحُ في العشيرة من "سجاح"[٢]

و ذكر ابن الجهم الأعور الدجال في هجائه للرّخجي مشبها الأول بالثاني فكلاهما نقمة على الدين :

زارٍ على سنن النبـ ـيّ يجدّ في إطفائها
و الرّخجي الأعور الدجـ ـال من أمرائِها[٣]

و استعاد الشاعر العباسي رموز القوة الفارسية والروحية مستذكراً بها هيبة ملوك كسرى فذكر البحتري في إحدى أوصافه لقصور المتوكل - الجعفري-

أزرى على همم الملوك و غضَّ من بنان "كسرى" في الزمانِ و قَيْصَرِ[٤]

فهو يستحضر بنيان كسرى الفارسي وبنيان قيصر الروحي لاعتقاد في أذهان السامع مدى جماله مع ذلك فإن بناء المتوكل فاق هذا الجمال ، فالشاعر وظف مخزون المتلقي في سبيل بيان ضخامة القصر .

وذكر البحتري الحجاج بن يوسف الثقفي وزياد بن أبيه كشخصيتين تاريخيتين متمثلا بقوله :

ونصح لم تجده "عبد شمس" لدى "الحجاج" قبل ولا "زياد" [٥]

---

١. **ديوان ابن الجهم** ، ص ١٣١
٢. **ديوان البحتري** ٤٦٣/١، سبق التعريف بهما
٣. **ديوان ابن الجهم** ص ٦٣
٤. **ديوان البحتري** ١٠٤١/٢
٥. السابق ، ٧٢٥/٢

ج_ الشعر العربي :

تأثر الشعراء أيام المتوكل بمن سبقهم ونتاجهم الشعري، و بدوا أحياناً متأثرين بمعانيهم يعيدون صياغتها لتبدو بشكل جديد (١)

فقال ابن الجهم في إحدى مغامراته الغزلية متأثراً ذاكراً امرأ القيس :

مناز لُ لا يَسْتَتَبِعُ الغيثَ أهلَهُا   ولا أوجُهُ اللذاتِ عنها بمَعْزِلِ

منازل لو أنّ امرأ القيس حَلَّها   لأقصَرَ عن ذِكْرِ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ(٢)

وفي القصيدة نفسها يقول :

إذا الليلُ أدنْى مَضْجَعي منه لم يَقُل   عَقَرْتَ بعيري يا امرأ القيسِ فانْزِلِ (٣)

و قد يذكر الشاعر شعراء بأعينهم من الشعراء القدامى كقول ابن الجهم في إحدى مدائحه المتوكلية :

و ما غاية المثني عليه لو انه   زهير و الاعشى و امرؤ القيس بن حجر (٤)

و يقول البحتري ذاكراً الشاعر الصعلوك السليك بن السلكة في مدحه لأبي سعيد الثغري:

مفازَةُ صَدْرٍ لو تُطَرَقُ لم يَكُنْ   لَيَسْلُكَها فَرْداً " سليكُ المقانِبِ" (٥)

---

١. تفاوتت هذه المسألة في النقد فمنهم من عدها شرطاً من شروط إجادة الشاعر (ينظر جيمس، سكوت **صناعة الأدب** ١٩٨٦م ، ترجمة هاشم الهنداوي ، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة بوزارة الثقافة والإعلام، ط ، ص ١٠٩. وأصبحت في رأي نقاد العصر الحديث علماً بذاته تحت عنوان " التناص" ينظر خشاب ، وليد، **دراسات في تعدي النص** ١٩٩٤، المجلس الأعلى للثقافة ، المطابع الأميرية،ص ١٥-١٦ .

٢. **ديوان ابن الجهم** ،ص١٩٠

٣.السابق، ص١٩١ .

٤.السابق، ص١٤٠

٥. **ديوان البحتري** ١٧٨/١

د_ ثقافات مختلفة:

وظهر في شعر بعض الشعراء في هذه المرحلة استذكار أعلام الزمن السابق:

فلابن سريج و الغريض ومعبد ودائَع في آذاننا لم تبَدّل(٣)

وعرف الشاعر العباسي الخرافات والأساطير ووظفها في شعره، من ذلك ما قاله البحتري في إحدى مدائحه للفتح بن خاقان ذاكراً العنقاء:

أَتَتْ دُونَ ذاك العهد أيّامُ "جُرْهُمٍ " وطارتْ بذاكَ العيشِ عَنْقَاء مُغْرِبِ(٤)

وفي هذا البيت يوظف الشاعر الأمثال المتدوالة باستخدام الاسطورة ؛إذ استخدم دلالة المثل طارت بهم العنقاء أي ذهبت بهم الداهية.

ويقول البحتري في مدحه المتوكل مبيناً معرفته بعلم الفلك والتأثر بالفرس :

وفي سَنَةٍ قَدْ طالعتكَ سعودُها وقابلك النّيروز وهو بَشيرها (٥)

فالنيروز أول السنة الشمسية الفلكية عند الفرس

ويقول البحتري مشيراً إلى سعد النجوم :

الرياح التي تهبّ نسيم ، والنجوم التي تطلّ سعودَ(٦)

وقد عرف الشاعر العباسي دور الراحة النفسية والصحية وأثرها على حياة الفرد، فقد وصل الى نوع من الرقي والترف الذي أدرك من خلاله اهمية الوضع النفسي ودوره في الطمأنينة النفس، ومنه ما قاله البحتري واصفاً الشام:

---

١. **ديوان البحتري** ٢٤١٧/٤
٢. السابق ٤٦٤/١
٣. **ديوان ابن الجهم** ١٨٨
٤. **ديوان البحتري** ١٩٠/١، جرهم: حي من العرب البائدة، العنقاء: طائر عظيم ويُقال طارت به عنقاء مغرب أي ذهبت به الداهية
٥. السابق ٩٤٤/٢
٦. السابق ٧٢٣/٢

مِصَحّةُ أبدانٍ ،ونُزْهَةُ أعينٍ   ولَهْوُ نُفُوسٍ دائمُ وسرُورُها [١]

وقد عرف الشاعر الكلمات الدخيلة المعربة واستعملها في نتاجه الشعري ، ومنه استخدام البحتري لكلمة رومانيه الأصل في قوله:

يغضون دون الإشتيام عيونهم   وفوق السماط للعظيم المؤمر[٢]

ووظف الشاعر علم الفلك في أشعاره ومنه قول البحتري:

زُحَليٌّ قد استفادَ من الشّؤ   مِ جليساً ومُؤنِساً وضَجِيعَا [٣]

ب- ظاهرة تكرار المعاني:

تعد ظاهرة التكرار في مضامين الشعر في خلافة المتوكل من الظواهر البارزة لا سيما في شعر المديح السياسي، ويعود ذلك لعدة اسباب نرجعها الى رغبة الشاعر في طرق المعاني المحببة لدى الممدوح والتزام الشاعر بافكار سياسة الدولة ورغباتها ليحقق كسب رضى الخليفة عنه فيحظى بعطاياه .

كأن الأفكار والمعاني في أشعار تلك الفترة كانت محدودة ومكرورة ، بحيث تجد عدداً من الأبيات تحمل مضموناً واحداً وإن جاءت في صيغ متعددة ، ومن ذلك على سبيل المثال : مدح المتوكل بالالتزام وهي القضية التي كرر القول فيها جلّ شعراء المتوكل والبحتري وابن الجهم والصولي وأبو بكر بن الخبَّازة :

---

١. **ديوان البحتري** ٩٤٣/٢

٢.نفسه ٩٨٣/٢، الأشتيام ما تقابل lcthyame في الفرنجية وذكر محقق الديوان أنها كلمة يونانية وفي الأصل رومية، ينظر حاشية الديوان.

٣. نفسه ١٢٨٢/٢، زحلي نسبة إلى زحل السيار، المسمى عند المنجمين النحس الأكبر.

وبَعدْ فإنّ السنة اليوم أصبحَتْ معـززةً حتى كأن لم تُذَلّلِ
تصولُ وتسطو إذ أقيمَ منارها وحطَّ منار الإفك والزورمن عَلِ[١]

ويقول إبراهيم بن المدبر فيمدح المتوكل بالالتزام الديني، ويؤكد أن هذا الالتزام جاء جديداً بتكراره كلمة اليوم في صدر البيت :

اليوم عادَ الدّين غضّ العود ذا ورقٍ نَضــير
واليوم أصبحت الخلا فةَ وهي أرسى من ثبير[٢]

ويقول ابن الجهم مؤكدا تمسك الخليفة بالسنة وإعادتها بعد أنْ ازْفَتَّ عظمها :

أعاد لنا الإسلام بَعْدَ دروسِهِ وقام بأمر الله والأمر مُهْمَلِ[٣]

ويقول إبراهيم الصولي في المعنى ذاته بمقطوعة يشيع فيها التكرار اللفظي في عجز البيتين مؤكدا أن الحال تبدلت في خلافة جعفر المتوكل :

الله أظهر دينـه وأعزّه بمــحمّد
والله أكرم بالخلا فة جعفر بن محمد [٤]

ويقول البحتري :

قد جَعَلَ اللهُ إلى **"جعفرٍ "** حياطَةَ الدّينِ ،وقَمْعَ النّفاقْ [٥]

فالشعراء حمّلوا أشعارهم المعنى ذاته وهو تمسك الخليفة في السنة والتزامه بها

وقد تكررت المعاني في مجالس اللهو والخمر اذ تبادل الشعراء الكلمات ذاتها في وصف ابنة العنب (الخمر) ، ومنه ما قاله البحتري في احدى مقدمات قصائده :

لم أدرِ ما أسكرني :أطرْفُهُ أم التي يدْعُونَها بِنْتَ العنبْ ؟ [٦]

---

١. السيوطي ، **تاريخ الخلفاء** ، ص٢٢١
٢. يونس السامرائي، **شعراء عباسيون** ، ص٣٦٩
٣. **ديوان ابن الجهم** ، ص١٧٤
٤. **الطرائف الأدبية** ، ١٣٢
٥. **ديوان البحتري** ١٥١٤/٣
٦. السابق ، ١٥٤/١

وقد تكررت بعض المعاني التقليدية في أشعار تلك الفترة مثل تشبيه الممدوح بالغيث لكرمه، فقال أحمد ابن أبي فنن مخاطباً الفتح بن خاقان :

فقلْ للكريمِ أتاكَ الغيث   وللضيفِ منزلنا واسِعُ [١]

وقال البحتري في هذا المعنى :

بحرٌ علينا من الغيث هدّاب مزْنِه   أواخرها فيه وأولها عندي[٢]

ويقول ابن الجهم في تصوير كرم المتوكل :

من قال إنّ البحرَ والقَطْرَ أشبها   نَداهُ فقد أثنى على البَحْرِ والقَطْرِ

ولو قُرِنَتْ بالبحرِ سَبْعَـةُ أبحرٍ   لَمَا بلـغَتْ جدوى أنامِلِهِ العَشْرِ [٣]

وقد تكرر استحضار الشعراء واستذكارهم أيام الشباب وما تحمله في طياتها من ذكريات جميلة ومن ذلك ما قاله ابن الجهم في إحدى مدائحه المتوكليه :

خليليّ ما أحلى الهوى وأمرهُ   وأعلمني بالحُلْوِ منه وبالمُرِّ[٤]

وفي مدحة أخرى يقول البحتري:

خليلي إنيّ ذاكر عَهْدَ خِلّة   تولّتْ ولم أذممْ حميد ودادها [٥]

ج- ظاهرة المبالغة :

خرج الشعراء في أشعارهم _خاصة المدحية_ إلى شيء من المبالغة مما أخرجهم أحياناً عن إطار الصدق الفني والواقعي .

ومن المديح المفرط ما ذهب إليه بعض الشعراء في مدائحهم المذهبيه إذ ألبسوا الخليفة صفات الرسول الكريم ومنه ما قاله البحتري في مدائحه المتوكلية :

وشبيهَ النبيّ خَلْقاً وخُلُقــاً   ونسيــب "النبيِّ " جَدّاً فجَدّا[٦]

---

١. السامرائي، يونس ، **شعراء عباسيون** ص١٥٩
٢. **ديوان البحتري** ٢/
٣. **ديوان ابن الجهم** ص ١٤٠
٤. السابق ص ١٣٨
٥. **ديوان البحتري** ٧١٤/٢
٦. السابق ٧١٣/٢

ويقول ملبساً إياه صفة النبوة :

عليكَ ثيابُ "المُصْطَفى " ووقارُهُ   وأنت به أولى إذا حَصْحَص الأمرُ[١]

ويبالغ ابن الجهم في مدحه المتوكل قائلا

بك تزكو الصلاةُ والصومُ والحَـ   ـجُّ ويزكو التسبيحُ والتَهليلُ[٢]

ويقول : ولن يُقبلَ الإيمان إلا بِحُبِّكُمْ   وهلْ يَقْبَلُ اللهُ الصلاةَ بلا طُهْرِ [٣]

هكذا يتضح سيطرة المعاني الاسلامية على شعر المديح والشعر السياسي وذلك تجاوب مع التيار الديني السّني آنذاك، إذ سعد الخليفة بمدحه بالصفات الدينية التي أضفت على خلافته طابعا مميزاً مقارنة بمن سبقه من أتباع المذهب الاعتزالي .

أما شعر الحرب فكانت معانيه في الإشادة بالفتوحات و الانتصارات ومدح القادة الذين استطاعوا أن يسجلوا مفخرة تاريخية سُطّرت في التاريخ الإسلامي، ونمثل على ذلك ما نظمه البحتري واصفأ المعركة البحرية فقال:

---

١. **ديوان البحتري** ٩٩٣/٢

٢. **ديوان ابن الجهم** ص١٨٢

٣. السابق ، ص١٤٠

٤.ابن الجهم ص٥٩

بأحْمَدَ أحْمَدْنَا الزَمَـانَ وأسْهَلَـتْ   لنا هَضَبَاتُ المَطْلَـبِ الـمُتَوعِّرِ
فَتَىَ إن يَفِض في ساحةِ المَجْدِ يَحْتَفِلْ   وإن يُعْطِ في حَظِ المَكَـارِمِ يُكْثِرِ
هو الغَيْثُ يَجْـرِي من عَطَاءٍ ونائلٍ   عَلَيْكَ، فَخُذْ من صَيِّبِ الغَيثِ أو ذَرِ [١]

كما اتضح في شعر الغزل والمرأه أنه لم يتجاوز معاني العفة ولم يبتعد كثيرا عنها ليصبح غزلا صريحاً وإنما بقيت معانيه في أسوار العفة ولاتتجاوزها، رغم ما ذُكر من غزل الغلمان والجواري.

أما موضوعات الحكمه فاسترسلت على لسان عدد من الشعراء اقتضتها موضوعاتهم التي تعكس نظراتهم في الحياه وتأملاتهم فيها

كما كان لشعر الوصف مجال واسع لا سيما في وصف العمارة العباسيه و لفت النظر لإبداع الخالق وجمال الطبيعة والرياض

ثانيا : الشكل :

يتناول هذا المبحث عدداً من المحاور التي تدرس الهيكل الخارجي لعدد من النصوص الشعريه زمن المتوكل ، ومن أبرز هذه المحاور المطلع، والتخلص والخاتمة وطول النص أو قصره إضافة إلى وحدة النص.

أولا : - المطلع : حظي المطلع باهتمام النقاد، لذلك كتب العديد من النقاد حول المطلع ودوره في التأثير والحكم على النص، ومن ذلك ما قاله العسكري مخاطبا الكتّاب : " احسنوا معاشر الكتاب الابتداءات ؛ فإنهن دلائل البيان "[١]، واعتبر ابن رشيق في كتابه العمدة المقدمات سببًا من أسباب النجاح فالابتداءات مفاتيح النصوص وأول ما يقع في أذن السامع[٢]، ويعد صاحب منهاج البلغاء المطلع معيار الجمال للنص ففيه لفت الأسماع والأنظار ومدعاةٍ الى الاستماع والانتباه[٣] .

---

١. **ديوان البحتري** ٩٨١/٢
٢. **الصناعين** ص ٤٣١
٣ . **العمدة** ١/ ٢١٧-٢١٨
٤ . **منهاج البلغاء** ، ص٣١٠

وانقسمت مقدمات القصائد في عهد المتوكل لقسمين قسم منها ما كان مباشراً وآخر غير مباشر، فغدت المقدمات ألوانا مختلفة يستحضرها الشعراء فيحاكون ما هو قريب لنفوسهم ويستحضرون مشاهد مختلفة، وهكذا أصبحت المقدمات لوحات فنيه تستمد من الموروث وتحاكي الجديد .

تعددت أشكال المطالع الشعرية في حقبة خلافة المتوكل ويمكن الوقوف على أبرز أشكال تلك المقدمات وهي :-

أ- المقدمة الطللية : وهي اللوحة التي يستحضرها الشاعر مثيرا بها عدداً من الأحاسيس، ومستفزاً بها عواطفه فيمر بديار المحبوبه ويستذكر الأيام الخالية والحياة الماضية ويشكو فراقها ويتألم لبعده عنها مع إحساس ورغبة منه بإعادة هذه الايام والليالي.

*وجاءت مثل هذه المقدمات في ديوان البحتري الذي عرف عن المحافظة على عمود الشعر العربي [(١)]في مدائحه للخليفة ووزيره الفتح بن خاقان، ومنه ما افتتح مدحيته في الفتح بن خاقان:

سُقِيتِ الَغَوادي من طُلُولٍ وأرْبُعِ! وحُيِّيتِ من دارٍ لأسماءَ بَلْقَعِ !
وان كنتُ لا مَوْعُودُ "أسماءَ "راجعي بِنُجْحٍ،ولا تسويفُ أسماءَ مُقْنِعي
ولا نافعي سَكْبُ الدُّمُوعِ التي جَرَتْ لديها،ولا فَرْطُ الحنينِ المُرَجَّعِ[(٢)]

فيدعو الشاعر لديار أسماء الخالية ،أسماء التي لم توفِ بمواعيدها وغير ذلك من معالم الوقوف على الطلل، فرسم في هذه المقدمة لوحة طللية تغمرها حسرة على الأيام الماضية ورغبة بالعودة للأيام الجميله والليالي الرائعة.

ويقول في مطلع قصيدة مدح بها يوسف بن محمد :

أراك تَسْمَعُ لَلحـمامِ الهُتّفِ شَجْواً يكون كشجوكَ المُسْتَطْرَفِ ؟
للهِ حِـلْمٌ "بُبرْقَةِ ثهْـمَدٍ" يَهْفُو به بَيْنُ الـغَزَالِ الأهْيَفِ
أُنْسٌ تجَمَّـعَ ثم بدّدَ شَمْلَهُ شَمْلٌ من الأُلاّفِ غَـيْرُ مُؤَلَّـفِ
ولقد وقَفْتُ على الرُّسُومِ فَلَمْ أجدْ عَتباً على سَنَنِ الدُّمُوعِ الـذُّرَّفِ [(٣)]

---

١. يعود ذلك لأن قصائد البحتري كانت عبارة عن مطولات، وندرت فيها المقطوعات، أما سائر قصائد عهد المتوكل التي تناولتها الدراسه فكانت مقطوعات لا تتجاوز الموضوع الواحد .

٢. **ديوان البحتري** ١٢٣٧/٢.

٣. السابق ١٤١٥/٣

ويقول مفتتحا أحدى مدائحه المتوكلية :

قِفِ العيس قد أنى خُـطَاها كَلالُهَا   وسلْ دارَ "سُعْدَى " إن شفاك سُؤالُها
وما أعرف الأطلالَ من بَطْنِ "تُوضِحٍ"   لِطُـولِ تَعَفِّيها، ولكن أخالُهَا
اذا قُلْتُ :أنسى دارَ "ليلى" على النّوى   تَصَوّر في أقصـى ضميري مثالُهَا
وقد كنتُ أرجو وصلَها قَبْلَ هَـجْرِها   فَقَدْ بـانَ مِنّي هَجْـرُها ووِصَالُها(١)

ويذكر الشاعر مشهد الظعائن والرحلة في احدى مدائحه مصوراً حاله يوم الرحيل:

أكنتَ مُـعنّفي يومَ الرّحيلِ   وقد لجّتْ دُمُوعي في الهُمُولِ ؟
عَشِيّـةَ لا الفِراقُ أفاءَ عَزْمي   إليّ ، واللّـقاءُ شَفَى غليلي
دَنَتْ عند الوداع لو شْـكِ بُعْدٍ   دُنُو الشّمس تَجْـنَحُ للأصيلِ
وَصدَت لا الوصَالُ لها بِقَصْدٍ   ولا الإسْعَافُ منها بالمُـخِيلِ (٢)

ويصف مشهد الظعائن في مرثية ليوسف بن محمد:

أقولُ لـعنس كالعـلاة أمون   مضـبّرة في نسعة ووضين
تقي السّيف ان جاوزت قلّة ساطح   وضمّك والمعروف بطن طرون
ولا توغلي في أرسناس فتعثري   بمنـدرس الأحجار – ثمّ - دفين (٣)

ووظف الشاعر هذا المشهد ليرثي بطل المعارك وقائدها، صاحب الانتصارات فهو حارب وقاتل الروم بعدد من المواقع وحقق النصر للمسلمين ويتضح من ذلك بذكره(ارسناس؛طرون) وينتقل من هذا الوصف إلى رثاء البطل. ويفتتح مدحية أخرى برسم صورة للظعائن :

شُغْلانِ : مِن عـذَل و من تَفنيدِ   ورَسيسُ حبٍّ : طارِفٍ و تليد
وأمـا و أرامِ الظّبـاءِ لقد نأتْ   بهـواكَ أرْآمُ الظّباءِ الغيِدِ
طالَعْنَ " غَوْراً من "تِهامةً " و اعتلى   عَنُـهنَّ رمْلا "عالجٍ" و "زرُودِ"
لمّا مَشَيْنَ بـذي الأراكِ ؛ تشابَهَتْ   أعطـافُ قُضْبـانٍ به وقدُود (٤)

---

١. **ديوان البحتري** ١٦٢٩/٣+١٦٣٠

٢. السابق ١٧٣٦/٣

٣. السابق ٢١٨١/٤

٤. السابق ٦٩٧/٢، العذل: الملامة، التفنيد: التكذيب، الرسيس: اول الحب والشيء الثابت، الطارف: المال الحديث، التليد: المال كالإبل، أرام: جمع رئم، الظبي الأبيض، هو يكنى به عن المرأة، الغيد: اللينات الاعطاف، تهامة، عالج، زرود: اسماء مواضع، ذو الأراك: وادي قرب مكة.ينظر حاشية الديوان

ومن الأمثلة على وصف الرحلة إلى الممدوح مانظمه البحتري في مدح اسحاق بن ابراهيم المُصعبي صاحب الشرط ببغداد:

ورَمَتْ بنا سَمْتَ العراقِ أيانقٌ   سُحْمُ الخدود لُغَامُهُنَّ الطُّحْلبُ
من كل طائرةٍ بخَمْس خَوافِق   دُعــجٍ كما ذُعِرَ الظْليِمُ المُهْذِبُ
يحْمِلْن كلَّ مُفَرَّقٍ في همةٍ   فُضُلٍ يضيق بها الفضاءُ السَّبْسَبُ [١]

فوصف الشاعر ركوب السفينه إلى الممدوح وما آل حالها إليه وتغير لونها لطول مكوثها بالماء وكما يصف جريانها وسرعتها ودفع الرياح لشراعها وينتقل لوصف رفاقه الذين ركبوا معه.

وبعد هذا الاستقراء للمقدمة الطللية في عهد المتوكل كما نجدها في شعر البحتري مثلاً لا نلحظ أن المقدمات عموداً فقرياً في بناء القصيدة و إنما جاءت قصائد هذه الفترة مقتصرة على بعض فقرات المقدمة الطللية القديمة أو مزيجاً من بعضها أو إلمامة خاطفة بالقديم و عودة سريعة للغة العصر و تطوره .

وكما افتتح بعض الشعراء قصائدهم بمقدمات غزلية يستذكرون بها المحبوبة و أيام وصلها ، وكان ذكر الطيف والخيال الطريقة التي طغت على مقدمات تلك الفترة . فهي الطريقة التي سلكها البحتري و اشتهر بها .

---

١. **ديوان البحتري** ٧٣/١+٧٤ عطوان ، حسين ، **وصف البحر والنهر في الشعر العربي من العصر الجاهلي إلى العصر العباسي الثاني** ، ص٨٨، السمت: القصد، أبانق: جمع الجمع للناقة، السحم: السود، اللغام: زبد الجمل، الطحلب: الخضرة التي تعلو الماء الآسن، الظليم: ذكر النعام، المهذب: المسرع، السبسب: المفازة، ينظر حاشية الديوان

و يقول مستذكراً خيالاً لزينب في مدحه للفتح بن خاقان ومنازلته للأسد :

أجدَّك ما ينْفَك يسـْري لزينبا   خيـالٌ إذا آبَ الظـلامُ تأوّبا

سرى من أعالي "الشّامِ" يْجلُبُهُ الكَرَى   هُبوبَ نسيمِ الرَّوض تُجلبُه ُالصَّبا

و ما زارنـي إلا وَلِهِْت صبابةً   إليه، و إلا قلتُ : أهلاً ومرحبا ! [١]

و يقول في مدحية أخرى ذاكراً الخيال :

ألمّتْ؛ وهل إلمامها لكَ نافِعُ؟   وزارتْ خيالاً و العُيُونُ هَواجعُ ![٢]

و يبدو أن اهتمام الشاعر بالطيف أو الخيال في مقدماته الغزلية ، يعود إلى أنه يعزي الشاعر عن فقده لمحبوبته و يجعله يتخيل لقاء يجمعه بها .

ب_ المقدمة الخمرية :

و ظهرت هذه المقدمات في مجالس اللهو و استذكار وصل الجواري و الحانات و ليالي الأنس والسمر والحديث عن الخمر و الحانة و الوقوف بأطلالها ، ومنه ما قاله ابن الجهم :

نزلنا بباب الكرخ أفضَل منزلٍ   على محسناتٍ من قيان الُمفَضَّلِ

فلابن سريجٍ و الغريض و معبدٍ   ودائـعَ في آذاننا لم تبدّلِ

أوانس ما فيهن للضيفِ حشمةٌ   و لا ربّهـنّ بالمهيبِ المُبَجَّلِ[٣]

فقد رسم الشاعر العباسي في خلافة المتوكل صورة لمجالس اللهو و الخمر من خلال مقدمات قصائده .فذهب لوصف الحانات ومجالس اللهو التي غدت متنفسا من متاعب الحياة وضيقها.

ج- وصف الطبيعة :

و قد يوظف الشاعر مشاهدته من جمال الطبيعة وأناقة الرياض فيصف الحدائق و ما تزهو بها من ألوان ويفتتح ابن الجهم رثاءه في المتوكل بمقدمة وصفية يصف بها سحابة قائلاً:

---

١. **ديوان البحتري** ١٩٦/١

٢. السابق ١٣٠٢/٢

٣. **ديوان ابن الجهم** ص١٨٨

وساريــة ترتادُ أرضاً تجودها   شَغَلْتُ بهـا عيناً قليلاً هُجـودُها
أتتنا بها ريـــح الصّبا وكأنّها   فتاة تـــزجيّها عـجوز تقودها
تميس بها ميساً فلا هي إن ونت   نهتها و لا إن أسرعت تستعيدها[١]

فاختار الشاعر سحابة يصفها جاءت على أرض العراق ثم ذهبت سريعا ويوظف هذا العنصر في سبيل خدمة غرضه الرئيس، فالشاعر لم يأت بالمقدمة الوصفية فراغا وإنما وظفها لخدمة معاني القصيدة ومساعدته على الولوج في موضوعه الرئيس فاتخذ من هذه المقدمه مدخلاً ليرثي المتوكل اذ اعتبر السحابه خلافة المتوكل وسارت بها الريح كما ذهبت خلافة المتوكل، هذه السحابه المفعمة بالخير ١ذهبت كحال خلافة المتوكل وقال البحتري واصفا الطبيعة في مقدمة قصيدته التي يمدح بها احمد بن دينار ونراه فيها فرحاً مستبشراً مأخوذاً لجمال الطبيعة في فصل الربيع تواطئه التعابير عن شعوره الغامر بالفرح لانتصار جيش الممدوح على البيزنطيين:

ألمْ ترَ تغليسَ الرّبـيـعِ المُبَكِّر   وما حاكَ من وَشْيِ الرياض المُنَشَّرِ؟
وسرعانَ ما ولّى الشتاءُ،ولم يقفْ   تَسَـلُّلَ شخصِ الخائفِ المُتَنَكِّرِ [٢]

هـ_ مقدمة الشيب :

وهي لون من ألوان المقدمات يتناول فيها الشعر الحديث عن قطار الحياة الذي ذهب مسرعاً ونقله من حال إلى حال فهو يتأسف و يبكي على الشباب و ذهابه، كما بين حاله الآن وهو شائب. ويقول البحتري :

بانَ الشّـبَابُ، وكلُّ شـيءٍ بائنُ   و المَـرْءُ مُرْتَهَنٌ بما هُو كائنُ
ظَعـَـنَتْ به أيّامُـهُ و شهورُهُ؛   إنّ المُقيمَ على الحوادثِ ظاعِنُ
ذهب الشَّبابُ و غاضَ ماءُ بِرَنْدِهِ   فالـيومَ مـنه كلُّ وِرْدٍ آجِنُ
دَرَسَتْ محاسِنُهُ ، وطـارَ غُرابُهُ   و لَقَدْ تكـُونُ له عليك محاسِنُ[٣]

---

١. **ديوان علي بن الجهم** ص١١٣
٢. **ديوان البحتري** ٩٨١/٢
٣. نفسه ٢٢٢٢/٤، ظعن : سار، برنده: كلمه فارسيه معربه وشي السيف، الآجن : المتغير لونه وطعمه، طار غرابه:شاب، ينظر حاشية الديوان.

ويقول في مدحه للمتوكل :

لَبّيتُ فيكِ الشَّوقَ حينَ دعاني   لعصيتُ نَهْيَ الشَّيْبِ حينَ نَهاني [١]

و كما يتضح أن مثل هذه المقدمات جاءت تتحدث عن حال الشيب و يتحسر على أيام الشباب الغامرة و لياليه السالفة وكأن الشاعر في هذه المقدمة يحاول عبر ومضة بسيطة استعادة أيام الشباب وما كانت تحمله ويوظف ذلك لايضاح غرضه الرئيس .

***قصائد بلا مقدمات :**

وهي ظاهرة واسعة وممتدة في شعر هذه الحقبة إذ ذهب الشعراء للحديث عن موضوعهم بشكل مباشر، مبتعدين عن المقدمات التي لا تناسب مقطوعاتهم وقتصارها على فكرة رئيسة واحدة معتمدين على الإيجاز ومبتعدين عن الإطالة التي تعتبر المقدمة من أسبابها .وقد يعود ترك المقدمات لمواءمة التجربة الشعرية والأحداث التي نسجت من أجلها القصيدة .

و من ذلك ما نظمه الشاعر في التهنئة بالنصر والتحريض على الحرب والقتال ، فقال البحتري واصفاً النصر الذي حققه قائد العرب (يوسف بن أبي سعيد الثغري) في إحدى معاركه مع الروم :

يا غادياً و "الثغر" خلف مسائه   يصل السري بأصيله وضحائه

ألمم بساحة "يوسف بن محمد "   وانظر إلى أرض الندى و سمائه ![٢]

وقال القصافي في هجاء نجاح بن سلمة والتشفي به :

ما كانَ يخشى نجاح صَوْلَةَ الزَّمنِ   حـتّى أُدِيلَ لموسى منه الحَسَنِ

غدا على نِعَمِ الأحرارِ يَسـلُبها   فراحَ و هو سَليبُ المالِ و البدنِ [٣]

---

١. **ديوان البحتري** ٢٢٥٢/٤

٢. السابق ٢٧/١)

٣. **تاريخ الطبري** ٣٣١/٥، أحداث ٢٤٥هـ

و قال ابن الجهم في بيعة المتوكل لأولاده :

قل للخليفة جعفر يا ذا الندى   وابن الخلائف والأئمة والهدى
لما أردت صلاح دين محمد   وليت عهد المسلمــين محمدا
و ثنيت بالمعتز بعد محمد   وجعلت ثالثــــهم أعز مؤيّدا (١)

التخلص :

لما جاءت القصيدة متعددة الأغراض تبدأ بمقدمة و ينتقل منها الشاعر إلى موضوع رئيسي أو عدة موضوعات كان لا بد للنقاد أن يدرسوا هذا الانتقال ،الذي اصطلحوا عليه مصطلح التخلص فكيف كان هذا التخلص ؟ هل كان هذا الانتقال متدرجاً أم كان بتحول مفاجيء من غير تدرج و هو ما يسمى انتقالاً هجومياً .وقد اسماه القدماء اقتضاباً أي أن يقطع الشاعر كلامه ويستأنف كلاماً غيره من مدح أو هجاء ولا يكون للثاني علقة بالأول(٢)، ونمثل على هذا الانتقال بالبحتري الذي وصف بقلة التجويد في الخروج ولذا عدّه ابن رشيق كثير الانقطاع والطفر كما في قوله:

لولا الرجاء لمت من ألم الهوى   لــكن قلبي بالرجاء موكل
إن الرعية لمتزل في سـيرة   عمرية من ساسها المتوكل(٣)

ومن روائع الانتقالات في عهد المتوكل ما نظمه البحتري في مدح أحمد بن دينار واصفاً مركبه وغزوه للروم . فافتتح القصيدة بمقدمة يصف بها جمال الطبيعة و ينتهي بوصف سير المعركة . فيقول :

ألم تَرَ تغـــليسَ الرّبيعِ المبكــر   و ما حاكَ من وشي الرياض المُنَشَّرِ ؟
و سرعانَ ما ولّى الشتاءُ ، ولم يَقِفْ   تَسَلُّلَ شخص الخــائفِ المُتَنَكِّــرَ
مَرَرْنَـا على " بطياس" و هي كأنّها   سَبَائبُ عَصْــبٍ أو زرابيٌّ "عبقَرِ"
كأنَّ سقـــوطَ القطرِ فيها إذا انْثَنَى   إليها سُــقوطُ اللــؤلؤ المُـتَحَدِّرِ

---

١. **ديوان ابن الجهم** ص٩٨ و ينظر **مروج الذهب**، المسعودي ٨٧/٤
٢. بكار،حسين، **بنية القصيدة العربية** ١٩٧٩ القاهرة : دار الثقافة ص٣٠٠
٣. **العمدة ٢٣٩/١**

و في أرجُــوانيٍّ من النّورِ أحْمَرٍ　　يُشَـابُ بإفرندٍ من الرّوض أخْضَرِ
إذا ما الندى وافاهُ صُبحاً تمايلتْ　　أعــاليـهِ من دُرٍّ نثَيرٍ و جَوهَرِ

و ينتقل من وصف الربيع إلى الغزل بمجبوبته علوة :

إذا عطفتْهُ الريحُ قلتُ التفاتةٌ　　لـ " علوةَ" في جاديّها المُتَعَصْفِرِ
بنفسي ما أبدتْ لنا حينَ وَدَّعتْ　　ومـا كَتَمـتْ في الأتحميِّ المُسَيَّرِ

و ينتقل بنا من مشهد الغزل إلى مدح القائد أحمد بن دينار .

وخاطِرُ شـوقٍ ما يـزالُ يَهجيُنا　　لبادينَ من أهل " الشآم" و حُضَّر
"بأحمدَ" أحْمَـدْنَا الزمانَ و أسْهَلَتْ　　لنا هَضَبَاتُ المَـطْلَبِ المُتَوعِّرِ
فتىً إن يفض في ساحةِ المجدِ يَحْتَفِلْ　　وإن يُعطِ في حَظِّ المكارمِ يُكْثِرِ

و بعد ذلك يصف لنا القائد على المركب الميمون .

غَدَوْتَ على "الميمونِ" صُبْحاً وإنما　　غدا المركبُ الميمونُ تحتَ المُظفَّرِ
أطَـل بعطـفَيْهِ ، ومــرَّ كأنَما　　تَشَـوَّفَ من هادي حِصَانٍ مُشَهَّرِ

و يصف الجنود من حوله :

و حولكَ ركّابُونَ للهول عاقَرُوا　　كؤوس الردى من دارعين وحُسَّر

و يتخلص بعد ذلك إلى وصف الأسطول :

يسوقونَ أسطولاً كأن سفينَةُ　　سحائبُ صَيْفٍ من جَهَامٍ ومُمْطِرِ

أما اشتباك الأسطولين فيقول فيه :

تقــارب من زحفيهــمِ فكأنّما　　تؤلِّفُ من أعناقِ وَحْشٍ مُنَفَّرِ
فما رِمْتَ حتى أجْلَتِ الحَرْبُ عن طُلىً　　مُقَطَّــعةٍ فيهمْ وهَامٍ مُطَيَّرِ

و بعد ذلك ينقل تدريجياً لبيان مصير الروم و يختتم القصيدة بمدح القائد .

و كنا متى نصعد بجدك ندرك الـ　　معالي ، و نستنصر بسيفك ننصر(١)

أبدع البحتري في وصف المعركة البحرية البرية وما يتصل بها فوصف البحارة المقاتلين والقائد، ثم أبدع في وصف المعركة البحرية بعد نشوبها فالبحارة الدراعون وغير الدراعين يركبون أهوال البحر، ويصف زحف السفن العباسية المنتصرة ويشبهها بأعناق الوحوش النافرة ويبدع في وصف نهاية الروم وتصوير هزيمتهم وتطاير أعناقهم .

---

١. **ديوان البحتري** ٢ / ٩٨٠-٩٨٥

ومن الأمثلة على التخلص التدريجي ما نراه في مرثية علي ابن الجهم للمتوكل ، إذ يفتتح مرثيته بوصف سحابة و يتخلص إلى رثاء المتوكل ، و هذا الموقف الشعري يستدعي التأمل و طرح السؤال التالي ، ماذا أراد أو قصد الشاعر بوصف السحابة ؟ وماذا عنى بتوظيفها في مرثية يتفجع بها على الخليفة المغدور؟

ربما ما نذهب إليه أن السحابة هي خلافة المتوكل برخائها و يسرها و ذهبت سريعاً و مرت مرّ السحاب فذهبت بنعيم تلك الفترة و راحتها و ما حملته من أيام سعيدة و هانئة فقال :

وسارية ترتاد أرض تجودها   شغلت بها عيناً قليلاً هجودها
أتتنا بها ريح الصبا وكأنها   فتاة تزجيها عجوز تقودها

و تخلص من هذه المقدمة بعد أن استفاض بوصف السحابة بخمسة عشر بيتاً فقال :

فمرت تفوت الطرف سبقاً كأنما   جنود عــبيد الله ولت بنودها
وخلت أمير المؤمنين مجدلاً   شهيداً ومن ضير الملوك شهيدها[١]

و يفصل في هذا المشهد و يرسم تفصيلات اغتيال المتوكل ويبين المؤامرة التي حيكت ضد الخليفة المغدور، ويبعث الشاعر في هذه المرثية إشارات وعظية لمن يتبعه و يحذرهم مما سبق

الخاتمة :

اهتم القدماء بخاتمة القصيدة و كأنهم يأخذون الأعمال بخواتيمها، وعلل ابن رشيق هذا الاهتمام في كتابة العمدة بأن قال الخاتمة "قاعدة القصيدة و آخر ما يبقى في الأسماع" [٢]، وتعتبر الخاتمة نهاية العمل الإبداعي الذي نسجه الشاعر و أحكم بناءه منذ البداية ، وباستقراء القصائد في خلافة المتوكل و الاطلاع على عدد من النماذج نرى اهتمام الشعراء بالخاتمة .

و يمكن قسم هذه الخواتيم لأنواع أبرزها :

١. قفل النص و ارتباطه بالغرض و المناسبة :

---

١. **ديوان ابن الجهم** ص١١٣-١١٨

٢. **العمدة** ٢٣٩/١ و ينظر **الصناعتين** ص ٤٤٣-٤٤٤

و منه ما أنهى به البحتري مدح أحمد بن دينار ووصف معركته مع الروم و تحقيقه للنصر فقال :

وكنا متى نصعد بجدك ندرك الـ معالي ، و نستنصر بسيفك ننصر (١)

ومنه ما أنهى به أبو بكر بن الخبازة مدحه للمتوكل و تصوير إحيائه للسنة :

شفى الله منهم بالخليفة جعفر خليفته ذي السنة المتوكل(٢)

٢. ختم النصوص بأساليب مثيرة و مؤثرة .

وهو ضرب من الخواتيم يعمل على تماسك القصيدة و إضافة مسحة فنية على النص ترسخ في ذهن المتلقي و منه أن ينهي الشاعر موقفه الشعري. إذ قد يختتم الشاعر نصه الشعري بإجراء حوار يعكس موقفه، ومنه ما قال البحتري في مدح أبي يوسف بن أبي سعيد الثغري

خطب المديح ، فقلت : خل ّّ طريقه ليجوز عنك فلست من أكفائه ! (٣)

ومن الأساليب التي اختتمت بها الشعراء قصائدهم الدعاء ، و يكثر ذلك في الدعاء للممدوح و منه ما قاله ابن الجهم في مدحه للمتوكل :

رعاك الذي استرعاك أمر عباده و عافاك عنا المنعم المتفضل (٤)

ومنه ما قاله البحتري :

بقيت أمير المؤمنين ! فإنما بقاؤك حسن للزمان و طيب (٥)

وقد يختزل الشاعر تجربته و يضعها في خاتمة الموقف الشعري فيجسد في هذا الموقف معنى من معاني الحكمة ، ومنه قول ابن الجهم .

و انتظار الرضى فإن رضى السا دات عزّ و عتبهم تقويم (٦)

---

١. ديوان البحتري ٩٨٥/٢
٢. تاريخ الخلفاء ،ص ٢٢١
٣. ديوان البحتري ٢٩/١
٤. ديوان ابن الجهم ١٧٥
٥. ديوان البحتري ٢٠٤/١
٦. ديوان ابن الجهم ١٩٧

طول النص أو قصره :

بات طول النص و قصره موضوعاً للجدل عند النقاد القدماء ، و ساحة للرفض والتأييد، فمنهم من عاب قصر النص و كتابة المقطوعات معللين ذلك بضعف توليد المعاني و إنتاج الصور و الأبيات، ومنهم من يستحسنها بكونها أكثر إيقاعاً في النفوس و أكثر إبلاغاً و إيجازاً [١] .

وفي دواوين كبار الشعراء منظومات طويلة وأخرى مقطوعات قصيرة و هذا لا يعني قصر أو عجز الشاعر و لكن لكل من الطول و القصر أسبابه ،فنظم المقطوعات لا تقلل من شأن الشاعر وشاعريته.

والمتأمل في شعر الفترة المتوكلية يجد غلبة المقطوعات على المطولات؛ إذ باستقرائها يجد أنها الأكثر، وربما يعود ذلك لأسباب قد لا تتعلق بقدرة الشاعر و مدى شاعريته وبل هي مرتبطة –غالباً- بمؤثرات و عوامل أخرى فرضتها التجربة الشعرية من نظم ومن مناسبتها مع اللحن والغناء.

وكانت غالبية قصائد البحتري و ابن الجهم في خلافة المتوكل من القصائد الطويلة – نوعاً ما– وغلب على سائر أشعار هذه الفترة المقطوعات، و قد يعود – كما ذكرنا آنفاً – لعدة أسباب تتصل بالموقف الشعري و التجربة التي فرضت صياغة النص سواء أكانت تجربة نفسية أو فنية و غير ذلك .

وعلى سبيل التمثيل لا الحصر نرى اتساع المقطوعات في الموضوعات المذهبية، وكما نراها في أشعار مجالس تلك الفترة و المناظرات.

أما المطولات فنراها في أشعار الرثاء – كما في رثاء البحتري للمتوكل و ابن الجهم و أحمد الأسدي – ونلحظها في شعر الوصف (وصف الرياض و العمارة) .

---

١. ينظر **مناهج البلغاء** ص ٣٢٣وما بعدها و **الصناعتين** ١٧٣+١٧٤

*** الوحدة في النص :**

تعرض الدارسون إلى الوحدة في النص وتناولوها بوصفها ظاهرة فنية تحمل النظر إلى العمل بأكمله ، رغم ما نراه عند الكثيرين – النظرة السائدة – بالنظر إلى وحدة البيت فقط (١) واعتنى المحدثون بوحدة النص (٢) وتجاوزوا ذلك للحديث عن الوحدة العضوية التي أعطت اهتماماً لوحدة المشاعر ووحدة الموضوع.

نجح عدد من شعراء الخلافة المتوكلية بتحقيق الوحدة في النص بمعناها البسيط الميسر، وطبع ذلك في مقطوعاتهم؛ إذ بدت وحدةً متلاحمة متسلسلة.

*** الأوزان والقوافي :**

تعتبر الأوزان والقوافي علامات فارقة ومميزة بين الشعر والنثر، وهي إحدى المقاييس النقدية للشعر، وأشار القدماء لأهميتها ودورها في النص، ومن ذلك ما قاله ابن رشيق " الوزن أعظم أركان حد الشعر، وأولاها به خصوصية، وهو مشتمل على القافية وجالب لها ضرورة".

والمتتبع للشعر في عصر الخلافة المتوكلية(٢٣٢-٢٤٧هـ) يجد أن الشعراء لم يخرجوا عن دوائر الخليل العروضية ووجدوا في هذه الأوزان والبحور توافقاً مع عواطفهم وأفكارهم.

ونظراً لتعدد أغراض الموضوعات في أشعار ذلك العصر استوعبت جميع البحور العروضية التي أوجدها الخليل فنجد البحتري مثلاً نظم في البحور جميعها باستثناء المضارع والمقتضب والمتدارك وفيما يلي إحصائية لشعر البحتري في الخلافة المتوكلية:

---

١. ينظر **العمدة** ٢٦١/١+٢٦٢، البيان و التبيين ٦٧/١

٢. ينظر هلال ، محمد غنيمي، **النقد الأدبي** ص ٣٩٤، بكار، يوسف، **بناء القصيدة**

البحر	رقم القصيدة [١]
الطويل	٤٤، ٦٦، ٦٥، ١٤٠، ٤١، ٤٥، ١٨٠، ٢٨٢، ٢٥٧، ٣١٤، ٣٣٩، ٣٨٩، ٣٧٤، ٥١٧، ٥١٦، ٤٩٧، ٥٤٢، ٥٨١، ٦٠٠، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٦، ٧٤٧، ٦٣٧، ٧٦٢، ٧٤٩، ٧٦٧.
الوافر	٩٠، ٢٨٥، ٦٣١، ٦٧٣، ٧٦٩، ٨٦١.
المتقارب	٥١.
الكامل ومجزوءه	٢٧، ٤٨، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٦، ٤٢١، ٤١١، ٥١٨، ٥٢٠، ٥٦٦، ٦٢٩، ٦٧٥، ٦٣٥، ٧٦٦، ٨٤٣ .
الرجز	٥٢، ٤١٢ .
البسيط ومخلعه	١٧٨، ١٧٩، ٢٨٠، ٢٨٣، ٣٩٨، ٤١٤، ٧٢٦، ٨٤٤، ٩١٤، ٩١٥ .
السريع	١٩٦ .
الخفيف ومجزوءه	٢٨١، ٢٨٤، ٢٧٩، ٣٥٧، ٤٨٨، ٦٩٣، ٧٦٨، ٨١٦، ٩٢٩ .
الهزج	٨٤٠ .

ومن خلال هذا الاستقراء يلاحظ أن البحر الطويل يأتي في مقدمة الأوزان التي نظم عليها وغلب عليها موضوع المدح، فاتسع هذا البحر وتناسب مع الموضوع فاستخدم الشاعر معجمه اللغوي الضخم في المدح بشكل يسير، وبقدرة فائقة على توليد المعاني، والصور والخيال وتطويع الألفاظ الموحية الدالة.

وبعد استقراء شعر هذه الفترة لا يمكن تحديد وزن ما لغرض معين فلا يمكن القول بوجود ارتباط بين الوزن والموضوع، ولذلك نخالف ما ذهب إليه إبراهيم أنيس بتخير وزن من الأوزان تحت عاطفة خاصة [٢].

القافية:

ولا تقل القافية أهمية عن الوزن إذ اعتبرها ابن رشيق مكوناً أساسياً من مكونات الشعر.

---

١. كما وردت في الديوان، تحقيق حسن الصيرفي

٢. ينظر ضيف، شوقي ، **الفن و مذاهبه في الشعر العربي** ص١٢٢ينظر أنيس، إبراهيم، **موسيقى الشعر**

وقد استخدم شعراء تلك الفترة بأشعارهم السهل والصعب من القوافي باستثناء الذال والشين والظاء، وغلبت على قوافيهم الحروف التي تتلاءم والتنغيم الموسيقي ومفردات اللغة كالدال واللام والراء والباء.

وتجدر الإشارة إلى أن شعر تلك الفترة يخلو من المحاولات التجديدية في القافية مثل تعدد القوافي في القصيدة الواحدة أو الإزدواج أو استعمال المخمسات وغير ذلك.

ومن خلال دراستنا نماذج من شعر الخلافة المتوكلية نرى تنوع ألوان الموسيقى الداخلية وعناية الشعراء بنوع من المواءمة بين الصوت والمعنى والمشاكلة بين اللفظ والمعنى .

فنرى في مرثية المتوكل ربط القافية (الهاء الساكنة) بسكون نفس البحتري ونرى الشاعر يراوح بين الارتفاع والانخفاض وكأنه نائح على حال المتوكل نادباً عرشه فيقول : [١]

محل على القاطول أخلق دائره　　　و عادت صروف الدهر جيشنا تغاوره [٢]

وتظهر الموسيقى الداخلية في تكرار كلمات بعينها منها في مدح إبراهيم الصولي :

الله أظهر دينــه　　　وأعــزه بمحمد

و الله أكرم بالخلا　　　فة جعفر بن محمد

و الله أيد عهده　　　بمـحـمد ومحمد [٣]

فيكمن التشكيل الموسيقي بالتكرار لفظ (الله ومحمد)

و مما أحدث نوعاً من التنغم الموسيقي بعض الاشتقاقات مثل :

فهو الغاية و المأ　　　مول يرجوه المؤمل [٤]

وقال ابن الجهم :

مَنْ يَكُنْ شُغْلُهُ بغيرِك يُرْضِيـ　　　ـهِ فإني عن شغلِهِ مشغولُ [٥]

---

١. وينظر الصليحي، صلاح علي ، **التقليد والتجديد في الشعر العباسي** ١٩٩١ ،الاسكندرية : دار المعرفة الجامعية، ص١٧٦

٢. **ديوان البحتري** ١٠٤٥/٢

٣. **الطرائف الأدبية** ص ١٣٢

٤. **الأغاني** ٣٨٢/١٤

٥. **ديوان على بن الجهم** ص١٨٢

الفصل الثاني

الصـــورة الشعـرية

الصورة الفنيـــة:

الصـورة الشـعرية هـي التعبيـر الفنـي الـذي يقـدم لنـا عصـارة التجربـة الشـعرية بطريقـة فنيـة، فالصورة كيان ناطق يترجم تجارب الشاعر وأحاسيسه، وهي جوهر التعبير الذي ينقل المعنى السطحي إلى المعنى العميق الأكثر دلالة وإيحاء.

وتكمن أهمية الصورة الفنية في كونها طريقة خاصة من طرق التعبير أو وجهاً من أوجه الدلالة تنحصر أهميتها فيما تحدثه في معنى من المعاني من خصوصية وتأثير، وتمثل أهمية الصورة الفنية في الطريقة التي تفرض بها نوعاً من الانتباه للمعنى الذي تعرضه وطريقة تجعلنا نتفاعل مع ذلك المعنى ونتأثر به .

ولهذه الصورة الشعرية وظائف عدة تكمن في تأثيرها في المتلقي إذ تحدث فيه نوعاً من المتعة الذهنية الخالصة وتثيرها إثارة خاصة تدفعه لسلوك بعينه وقد أثر في الصورة وظيفة الشعر الاجتماعية والصورة هي الوسيلة التي يظهر بها الشاعر براعته وهي ايضا ً تهدف إلى اقناع المتلقي بفكرة من الأفكار أو معنى من المعاني [1]

وشعراء الخلافة المتوكلية كغيرهم من الشعراء عمدوا إلى استخدام الصورة الشعرية في أشعارهم عاكسين فيها واقع حياتهم وأجواءهم الفكرية ومؤكدين أفكارهم ومعانيهم وقد تفاوتت مستويات صورهم فنيا ً تبعا ً لتفاوت مستوياتهم الإبداعية، وتبعاً لمصادر ثقافتهم، وتبعاً أيضاً للمضامين الشعرية التي عبرت عنها أشعارهم.

---

١. عصفور، جابر، **الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب**١٩٩٢م،، بيروت: المركز الثقافي العربي، ط٣ ، ص٣٣٢

مصادر الصورة :

ومعلوم أن لكل عصر شعرائه، ولكل بيئة مبدعيها، وفي محاولة لتصنيف المصادر النابعة من نبض الصورة في خلافة المتوكل يمكن أن قسم ذلك إلى قسمين هما؛ المصادر المستمدة من التراث وأخرى مستمدة من الحياة المعاصرة (الواقع) .

المصادر المستمدة من التراث:

- الطلل:

تأثر الشعراء في خلافة المتوكل بخطى أسلافهم، فاستلهم عدد منهم تراث السابقين بالوقوف على الطلل، فتأثروا بهم، وعاشوا أجواءهم، فرسم بعض الشعراء صورة الطلل والظعائن، كقول البحتري واقفاً على الطلل مستحضراً معالمه في إحدى مدائحه:

قِفِ العيسَ َفقدْ أَدْنَى خُطَاهَا كَلَالُها وسَلْ دارَ "سُعْدَى " إنْ شَفَاكَ سُؤَالُهَا

وما أعرِفُ الأَطلَالَ من بَطْنِ " تُوضِحٍ" لِطُولَ تَعفِّيها ، ولَكِنْ إخَالُهَا

اذا قُلْتُ : أنْسَى دارَ " ليلى"على النَّوَى تَصَوَّرَ في اقْصَى ضميري مِثَالُهَا [(١)]

فيقف البحتري مستحضراً صورة متكاملة لديار خالية من أهلها، مصوراً هذا الطلل وما به من العيس ، ويصور تعفيها وعدم معرفته بها لمرور زمن على رحيل أهلها عنها فهذه الصورة تقليدية يتضح ارتباط القديم بالحديث وتأثر الشعراء في فترة المتوكل بمن سبقهم والسير على نهجهم، وبخاصة ما عرف عن البحتري من التزام بعمود الشعر العربي.

---

١. **ديوان البحتري** ١٦٢٩/٣ ، الكلال: الإعياء، التعفي : الدرس والإمتحاء

وحاول الشعراء إدراج صورهم القديمة بقالب جديد يحاكي ما يعيشونه في هذا الزمن المتحضر المترف، ونمثل على ذلك ماقاله البحتري في وصف بركة المتوكل :

تنحَطّ فيها وفودُ الماءِ مُعَجَلةً كالخيلِ خارجةً من حَبْلِ مُجريها [١]

فقد أخذ هذه الصورة من وصف امرئ القيس لفرسه:

مَكِرٍّ مِفَـرٍّ مُقْبِلٍ مـُدبر مـعاً كجلمود صخرٍ حَطَّهُ السيلُ من عَلِ [٢]

فقرن البحتري سرعة تدفق الماء بالخيل السريعة، فالشاعر لم يقف عند أبعاد الصورة الرئيسة فقط بل تجاوز ذلك للسير على الطريقة الأسلوبية للقدماء فاستعان بمعاني القدماء وصورهم للتعبير عن صوره ومعانيه المعاصرة .

وصف الرحلة والناقة

ومن تلك الصور القديمة التى استقاها الشعراء في خلافة المتوكل من تراثهم الأدبي صورة الناقة والرحلة إلى الممدوح، فهي صورة قديمة عالجها الأولون، وطرقها شعراء خلافة المتوكل ومن أمثلة ذلك ما قاله البحتري واصفاً الناقة التى ارتحل بها طلباً لمدح أمير المؤمنين حين قال:

تَشكّــى الوَجا والليلُ مُلتَبِسُ الدُّجى غُرَيْرِيَّــة الأنْسَابِ مَـرْتَّ بَقيعُهَا
ولَسْـتُ بزَوّارِ المُلُوكِ على الوَجَا لَئْنِ لَمْ تَجُلْ أغراضُها ونُسُوعُها

١. **ديوان البحتري** ٢٤١٧/٤

٢. الزوزني ، أبي عبدالله الحسين بن أحمد ،**شرح المعلقات السبع**، مكتبة المعارف، بيروت، ط١ ، ٢٠٠٤، ص٣٣، الجلمود:الصخرة، الحجر.

تَؤُمُّ القُصورَ البيضَ من أرض ِ بابلٍ بحـيثُ تَلاقىَ غَـرْدُها وبَديعُها
إذا أُشْرَفَ البُرْجُ المُطـِلُّ رَمَيْـنَهُ بأبصـارِ خُوْص ٍ قد أرثّتْ قُطُوعُها
يُضيُء لـــها قَ َصْدَ السُّرى لَمَعانُهُ إذا اسْـوَدّ من ظلماءِ لَيْلٍ هَزيعُها
تزورُ أمـيرَ المــؤمنينَ، ودُونَهُ سُهــوبُ البلادِ: رَحْبُها ووسيعُها(١)

فهو يصف لنا ناقة منسوبة إلى فحل من الإبل يدعي(غرير) ، هذه الناقة التي قطعت القفار والمفاوز تقصد الممدوح _الخليفة- ويصف النوق التي اقتربت من قصر البرج وكيف أنهكها السفر والتعب وتعبت أبدانها والآن بدأ نور القصر يشع لينير درب السير . فقد قاربت الناقة إلى الوصول بعد أن قطعت السهول الواسعة الرحبة .

ووصف لنا رحلة هذه الناقة بعدد من اللوحات الفنية ملوناً هذة الصورة بالحركة فجسد لنا حركة هذه الناقة ومسيرها، ثم عكس لنا الألوان من خلال ضوء القصر الذي ينير طريق المسافر ويرشده في سفره مضفياً على الحركة واللون عنصر الصوت.

الصور الفنية المستمدة من الحياة المعاصرة :

نهل الشعراء من منابع حياتهم المعيشة فأخذوا يستقون منها صورهم ويعبرون عن واقعهم ويُعملون خيالهم في المشاهدات التى يقفون عليها، فصوروا مظاهر حياتهم وقد بدت جميلة في أشعارهم، ومن ذلك ما صوّر به الشعراء القصور والعمران فاستمد الشاعر مادته الأولية من مشاهداته لمظاهر العمران والترف، ومن ذلك ماصوره ابن الجهم في وصفه القصر الهاروني :

---

١. **ديوان البحتري** ٢/ ١٢٩٧+١٢٩٨، المرت: المفازة بلا نبات، البقيع: موضع فيه أصول الشجر من ضروب شتى، الأغراض: جمع غرض وهي للرحل كالحزام للسرج، النسوع: سير ينسج عريضاً تشد به الرحال، الوجا: الحفا والوجا أن يشكي البعير باطن خفه، تؤم: تقصد، الغرد، البديع: قصران بناهما المتوكل، ينظر حاشية الديوان.

وقُبّةُ مُلْكٍ كـأنّ النُّجو م تُفْضِي إليها بأسرارها
تَخرُّ الوُفود لها سُّجداً إذا ما تَجَلَّتْ لأبصارِها
إذا لمَحَتْ تَسْتَبينُ العيو نُ فيها منابِت أشْعارِها[١]

فالشاعر يصور ارتفاع قبة القصر كأنها تطاول النجوم في شموخها وتستمع منها إلى أسرارها، ويزيد هذه الصورة جمالاً بتصوير جمال القبة ولمعانها وإضاءتها البرّاقة.

لقد كانت القصور مصدراً غنياً من مصادر التصوير لدى الشعراء فرسم الشعراء صوراً للحدائق والرياض والبنيان وانطلق فيها عنان الخيال والتصوير فباتت هذه المظاهر الحضارية ملهماً لعدد من الشعراء .واستعان الشعراء بمظاهر البيئة من حولهم ليعكسوا من خلالها الترف الفكري، فأخذوا عناصر الطبيعة وألبسوها صوراً جديدة تعكس ذوقاً حضارياً، ويشبه البحتري أخلاق الفتح بن خاقان بالروض المعطاء الأخضر والمطر المنهمر الدائم دلالة على كرمه كما يشبهه بالكواكب اللامعة في ظلمة الليل فيقول :

غرائبُ أخلاقٍ هي الروضُ جادهُ مُلِثُّ العَزَالَى ذو رَبابٍ وهَيْدَبِ
وقد زادها إفراطَ حُسْنٍ جوارُها لاخْلاقِ أصفارٍ من المَجْدِ خُيَّبِ
وحُسْنُ دَرارِيِّ الكواكبِ أنْ تُرَى طَوالِعَ في داجٍ من الليلِ غَيّهَبِ [٢]

ويقول في وصف القصر الهاروني مصوراً جمال موقعه وارتفاع أرضه ورائحة ترابه المشرب بالمسك والعنبر، كما يصف خضرة أرضه:

في ر أس مشرفَةٍ حَصاها لؤلؤٌ وتُرابُها مِسكٌ يُشابُ بَعْنَبرِ
مُخضرَّةٌ والغيثُ ليسَ بساكِبٍ، ومُضيئةٌ، واللّيلُ لَيْسَ بِمُقْمِرِ [٣]

---

١. **ديوان ابن الجهم** ص١٤٧

٢. **ديوان البحتري** ١٩٢/١+١٩٣، الملث: المطر الذي يدوم أياماً، الأصفار: الخالون، العزالى: جمع العزلاء وهي مصب الماء من القربة ونحوها، الرباب: السحاب الأبيض، الهيدب: المتدلي من السحاب الذي يدنو من الأرض، ينظر حاشية الديوان.

٣. **السابق** ١٠٤٠/٢

فالشاعر استمد هذه الصورة من بذخ القصور العباسية فهي صورة نسجها الخيال المترف كما أنها صورة تكونت من أشياء موجودة هي اللؤلؤ ، والتراب ، والمسك و العنبر، ولكن الجديد هو إعمال خيال الشاعر وحسه في جعل الحصى لؤلؤاً والتراب مسكاً مخلوطاً بعنبر.

ومن ذلك ما ذهب إليه إبراهيم الصولي في وصف قصر العروس حين قال:

تأملْ سماءً أطلّت عليكَ   فيها مصابيحُها تُزْهَرُ [١]

فالشاعر شبه النجوم بالمصابيح لشدة إضاءتها ولمعانها في سماء شديدة الظلمة

وقد يستمد الشاعر صورة من الواقع السياسي والصراعات فيه ومن ذلك ما قاله البحتري في الحديث عن أهل حمص بعد ثورتهم:

وكنتُمْ شَعاعاً من طَريدٍ مُشَرَّدٍ   وثاوٍ ردٍ أو خائفٍ مُتَرِّقبِ[٢]

فقد جعل أهل حمص شعاعاً متفرقاً ومطروداً خائفاً ومقتماً هالكاً.

ومنه ما قاله البحتري في شعره في الصراعات الخارجية مادحاً يوسف ابن أبي سعيد الثغري

تَبْدُو مَواقِــعُ رأيِهِ كأنَّها   غـُـرَرُ السّوابقِ من يَ◌فاعٍ مُشْرِفِ

وإذا استَعانَ بِخَطْرةٍ من فِكْرِهِ   عَنَنٍ، فَسِتْرُ الغَيْبِ ◌َلَيس بِمُسْجَفِ[٣]

كما استمد الشعراء صورهم من الواقع السياسي لحال الخلافة العباسية فرغم مرور العصر العباسي الأول كاملاً (١٣٢-٣٢٣)هـ فقد ظل الشاعر العباسي يستمد صوره من الصراع على الخلافة ومحاولة إثبات أحقية بني العباس بها بجعلها إرثاً لهم ومنه ما نجده في قول البحتري :

وقَدْ سَرّني أنّ الخــلافةَ فيكمُ   مخيّمةٌ ما إن يخافُ انتقالها

لكم إرثها والحقّ منها ، ولم يكن   لغيركم إلا اسمها وانتحالها[٤]

١.**الطرائف الأدبية** ص١٣٣

٢. **ديوان البحتري** ١٩٣/١

٣. السابق ١٤١٩/٣، اليفاع: كل مـاأرتفع من الأرض، الغرر: جمع الغرة وهي بياض في جبهة الرأس، السوابق: الخيل السابق، العنن: الأسم من عن الشيْ إذغ ظهر لك، مسجف: مسدل.

٤. السابق، ١٦٣١/٣، وينظر الباب الأول ص ٢٤٠

ومن خلال ما تقدم نستطيع القول إن مصادر الصورة في شعر الخلافة المتوكلية تنحصر في جانبين هما : التراث، والحياة المعاصرة بكل ما فيها، فقد استقى الشعراء صورهم من الطلل والديار وغير ذلك من المصادر التي تخيلوها وأبحروا فيها ووعوها من خلال مخزونهم القديم.

كما استقى الشعراء صورهم من بيئتهم المعاصرة التي عاشوها حقيقة وصوروا كل ما فيها، من قصور وعمران ورياض وحانات وطبيعة، ثم كان للحياة السياسية دور في تشكيل الصورة، فظهر في صورهم لمحات حول الصراع على الخلافة وإثبات أحقيتها لبني العباس، كما ظهر في صورهم صورة للصراعات الخارجية والداخلية .

واعتنى الشاعر في خلافة المتوكل بعدد من أنواع الصور فقد استخدم الصور الحسية ورسمها في قصائده، فقد حفلت الصور بالحركة واللون والاشارات لحواس السمع والبصر واللمس والشم، وفيما يلي وقفة على أشهر أنواع الصور لدى شعراء المرحلة المتوكلية .

الصور الحركية:

رسم الشعراء في خلافة المتوكل عدداً من الصور الحركية التي استمدوها من البيئة الرغدة، فقد نقلوا حركة الرياح والطيور وهي تداعب أغصان الشجر كما رسموا خفة الاوراق وحركة المياه والدواليب وغير ذلك من العناصر الحركية وبعثوا الحياة والحركة في الساكن والجامد من الأشياء، ومن ذلك ما أعطاه البحتري للربيع حين قال:

أَلَمْ تَرَ تغليسَ الرّبيــع المُبَكِّرِ ... وما حاكَ من وَشْيِ الرياضِ المُنَشَّرِ؟

وسرعانَ ما وَلّى الشتاءُ، ولم يَقِفْ ... تســـلُّلَ شخصِ الخائفِ المُتَنَكِّرِ [(١)]

فالشاعر بعث الحياة والحركة في الربيع فجعله يأتي ضاحكاً طلقاً يختال ويتكلم ،ويبعث لنا صورة الحركة في حركة المياه فيصف البحتري بركة المتوكل وكيف يتحرك فيها الماء ويتموج كأنه بحر تحرك مياه الدواليب الدوارة .

فإذا ما تَوسَّطَ البِركَةَ الخَضْــ ... رَاءَ ألقتْ عَلَيْهِ صِبْغَ الرُّخَام

---

١. **ديوان البحتري** ٩٨٠/٢

فَتَراهُ كأنّهُ مـاءُ بـــحرٍ   يَخْدَعُ العَيْنَ وهُوَ ماءُ غَمَامِ

والدّواليبُ إذْ يـَدُرْنَ ولا نا   ضِخُ يَسْقَي بِهِنّ غَيْرُ النَّعَامِ[١]

ويقول في قصيدة أخرى في وصف بركة المتوكل:

فَرَوْنَقُ الشَمْسِ أحياناً يُضَاحِكُها   وريقُ الغيثِ أحياناً يُبَاكيها

إذا النجوّم تراءَتْ في جوانِبِها   ليلاً حَسِبْتَ سماءً رُكّبتْ فيها [٢]

فالشاعر يجعل من الثوابت السواكن صوراً متحركة فصور حركة الماء في البركة وكيف أن الدواليب تحرك المياه.

كما يصور انعكاس لمعان أشعة الشمس بالشخص الذي يضاحك البركة أما الغيث والمطر فيبكيها؛ ويصور لنا انعكاس إضاءة النجوم وحركتها في السماء وكيف انعكست هذه الحركة في البركة، فيصف الشاعر تلألؤ الماء في البركة وكأنه فضة لامعة بّراقة عندما تمر بها حركة الريح تداعب الماء فتصبح دوائر أشبهت صور الدروع المجلوّة.

كأنما الفضّةُ البيضاءُ ســائلةً   من السَّبائِكِ تَجْري في مَجَاريـها

إذا علتْهَا الصّبا أبدت لها حُبُكاً   مثل الجَواشِنِ مصقُولاً حواشيـها [٣]

ويصور ابن الجهم حركة الماء في وصفه لفوارة الماء التي تتوسط القصر الهاروني فيقول:

وفوارة ثأرُها في السّماء   فليسَتْ تقصّرُ عن ثارها[١]

فالشاعر يصور حركة الماء في هذه النافورة وكيف يرتفع ماؤها كأنها تطلب ثأراً من السماء فتوغل سعياً إليها.

---

١. **ديوان البحتري** ٢٠٠٦/٣

٢. **السابق** ٢٤١٦/٤

٣. **السابق** ٢٤١٦/٤

٤. **ديوان ابن الجهم**، ص١٤٩

الصور اللونية :

وعكس الشعراء صورهم المرئية وأغنوا هذه المشاهدات والتجارب الشعرية بمشاكلة الألوان ومزجها مع بعضها ومن ذلك قول البحتري راسماً صورة للجيوش في مدحه لأحمد بن دينار :

كأن سقوطَ القَطْر فيها اذا انْثَنَى إلـيها سقوطُ اللؤلؤ المُتَحَدِّرِ

وفي أرْجُوانيّ من النّورِ أحْمَرٍ يشاب بإفْرِنْدٍ من الرّوضِ أخْضَرِ (٢)

وبهذه الألوان بعث الشاعر نبض الحياة في قصيدته.

ويرسم الشاعر في قصيدة أخرى اللون الأحمر فهو الخضاب الذي لونت به أظفار الدرّاج :

تحدر بالدّراجِ من كلّ شاهِقٍ مُخضبَّةٌ أظفارُهُنَّ دَوامِ (٣)

وقد يستخدم الشاعر الضوء للحديث عن اللون فيقول :

قُصورٌ كالكَواكِبِ لامعاتٌ يَكَدْنَ يُضئِنَ للسّاري الظّلاما(٣)

فالشاعر يصور لنا اللون بلمعان الكواكب البرّاقة التي تضيء للمسافر ظلامه،ويمزج الشاعر الالوان في قوله :

فإذا ما توسَّط البِرْكَةَ الخَضْـ ـراء ألقتْ عَلَيْهِ صِبْغَ الرُّخام (٤)

فالشاعر جمع بين الألوان إذا لفّ الماء الأزرق بالرياض الخضراء ويصور ابن الجهم قصر الهاروني وكيف أن شرفاته تلفها الرياض

لها شُرفاتٌ كأنّ الرّبيعَ كَسَاها الرِّياضُ بأنوارِها(٥)

ويقول إبراهيم بن أحمد الأسدي في رثاء المتوكل مصوراً حزنه على المفقود وإن المنابر تكتسي ملابس الإظلام بعد رحيل المتوكل بالصورة اللونية إذ جعل اللون يتحدث

خَلَتْ المنابر اكتست شَمْسُ الضّحى بَعْدَ الضياء ملابسَ الإظلامِ(٦)

---

١. **ديوان البحتري** ٩٨١/٢

٢ السابق ٢٠٠٢/٣

٣.**ديوان البحتري** ٢٠١١/٣

٤.السابق ٢٠٠٦/٣

٥. **ديوان ابن الجهم** ، ص١٤٦

٦. الخاقاني، **شعراء بغداد** ، ص٣

إذ صوّر حزنه بالملابس المظلمة السوداء فكان اللون معبراً عن كثير من المعاني

وقول إبراهيم بن العباس الصولي :

تأملْ سماء أظّلــتْ عليكَ فيها مصـــابيحها تَـزْهَرُ

ويتابع وصف أرض القصر :

خلال شقائقه أصفرُ وأضعافُ أصفرِهِ أحمرُ[١]

فالشاعر يصف سماء القصر المضيئة كأن بها مصابيح لامعة تضيء أرضه ويصف رياض القصر وما به من ورود ملونة من كل لون أصفر وأحمر وغير ذلك من المزيج اللوني.

الصور السمعية:

لم يقتصر الشعراء في إبداع صورهم على الصورة المرئية وإنما تعدوا ذلك بإثارة الأصوات فصور الشعراء مشاهد كأنهم يسجلون ما يسمعون ومن ذلك ما نظمه البحتري مصوّراً ضجيج البحر في وصف المعركة البحرية:

كأنَّ ضجَيجَ البحرِ بين رِماحِهْم إذا اختلفَتْ ترجيعُ عَوْدٍ مُجَرْجَر[٢]

فينقل لنا الشاعر صورة المعركة واشتداد وطيسها عبر الأصوات، إذ رسم صورة اشتباك الجيشين من خلال تصوير أصواتهم المرتفعة وضجيج البحر من رماحهم واشتباكهم .

وقول ابن الجهم عاكساً مداعبة الريح الرقيقة لأوتار القيان فعكس من خلال صوت الأوتار هدوء الجلسة ومداعبة النسمات اللطيفة للجالسين ويتخللها عزف الأوتار:

إذا الرّيحُ هَبّتْ لها اسْمَعَتْ غناءِ القيانِ بأوتارِها[٣]

ويقول البحتري في مشي الناقة وسيرها مصوراً أصوات أجراسها وحليّها :

فكان العبيرُ بها واشياً وجَرْسُ الحليِّ عليها رَقِيبا[٤]

---

١. **الطرائف الأدبية**، ص١٣٣

٢. **ديوان البحتري** ٩٨٤/٢

٣. **ديوان ابن الجهم**، ص١٤٩

٤. **ديوان البحتري** ١٥٠/١

يقول البحتري في قصيدة أخرى:

كم ليلةٍ ذاتِ أجْرَاسٍ وأرْوقةِ　　　كاليمّ يقذفُ أمواجاً بأمواجِ[١]

ومثل قول ابن الجهم وهو يصور حلاوة اليوم الذي يعيشه بصورة صوتية يستحضر من خلالها أصوات عدد من المغنين الحسان الأداء فما زالت أصواتهم في أذنيه:

فلابن سريجٍ والغريضِ ومعبدٍ　　　ودَائِعُ في آذانِنِا لم تُبدَّلُ [٢]

الصورة الشمية :

ووظف الشاعر الصورة الشمية وعبّر عن المحسوسات بحاسة الشم، من خلال ذكر الروائح والعبير والعبق والعطر والعنبر وغير ذلك.

ومن هذه الصور ما وصفه البحتري :

في رأس مشرّفةٍ حَصَاها لؤلؤٌ　　　وترابُها مِسْكٌ يُشَابُ بِعَنْبَرِ [٣]

فالشاعر يصور هذه الأرض بصورة شمية تعكس رائحة فواحة وهي رائحة المسك الممزوج بالعنبر.

ووصف إبراهيم بن العباس الصولي أرض قصري العروس والبرج بقوله:

ومسحب نورٍ غَدَاة الرّبيع أنفاسه المسك والعنبر[٤]

ويصور البحتري جمال أحد قصور الفتح بن خاقان فيقول :

كأن الرياض ألحَوّ يُكْسَبْنَ حَوْلَها　　　أفانينَ مِنْ أفوافِ وشْيٍ مُلَفَّقِ

إذا الرّيحُ هَزَّتْ نورهُنَّ تَضَوّعَتْ　　　روائحُهُ من فأرِ مِسْكٍ مُفَتّقِ [٥]

فيصور الشاعر جمال هذا القصر من خلال الحديث عن جمال رياضه التي تلفه بالخضرة، ويضفي جمالاً على هذا القصر بالحديث عن روائحه الفوّاحة من المسك والعنبر.

---

١. **ديوان البحتري** ٢٠٢/١

٢. **ديوان ابن الجهم** ، ص١٨٨

٣. **ديوان البحتري** ١٠٤٠/٢

٤. **الطرائف الأدبية** ص١٣٣

٥. **ديوان البحتري** ١٥١٠/٣

الصورة المركبة

وقد يجمع الشاعر عدداً من المشاهدات والصور المتناسقة في لوحة واحدة فتراه يأتي بعنصر الحركة واللون والصوت والشم وغير ذلك بصورة متناسقة وخير ما نمثل عليه وصف البحتري لبركة المتوكل :

تنْحَطُّ فيها وفودُ المَاء ِمُعْجَلَةًَ كالخَيْلِ خارجةً من حَبْلِ مُجْرِيَها

كأنَّـما الفضّةُ البيضاءُ سائلةً من السَّـبائِكِ تَجْري في مَجَارِيهَا

إذا علـتْهَا الصّبا أبدتْ لها حُبُكاً مثل الجَواشِنِ مصـقُولاً حواشِيـها

فـَرَونَقُ الشّمس أحياناً يُضَاحِكُها ورّيقُ الغيثَ أحـياناً يُبَاكيـــها

إذا النُّجُوم تراءَتْ في جوانِبِـها لـيلاً حَسِبْتَ سماءً رَكّبَتْ فيها

لا يبْلغُ السّمكُ المحصورُ غايتَها لبُعْدِ مابيـنَ قاصيِها ودانــيها

يعُمْنَ فــيها بأوساطٍ مجنّحةٍ كالطّـير تنقضُّ في جوٍّ خَوافَيها

لهُنّ صَـحْنٌ رحيبٌ في أسافلها إذا انحـطَطن، وبهوٌ في أعَاليها

صورٌ إلى صورةِ الدُّلْفينِ يُؤنِسُهَا منــهُ انـزواءٌ بعيْنيهِ يوازيها

ثم يتخلص بعد هذا الوصف الرائع المشبع بالحركة والحيوية وبالأنسام العطرة وبالألوان الفضية الخلابة إلى التغني بجمال الرياض والأزهار والحديث عن الماء المنهمر المتدفق :

كأنّها حين لجّت في تدفقها يد الخليفة لمــا سال واديها [١]

فهذه المقطوعة تجمع مشاهدات الشاعر فيصور البركة بعدد من العناصر، تبدأ بالحركة فانصباب الماء كأنه الوفود التي تتدفق بسرعة الخيل و كيف مرّ على هذه البركة نسيم الصبا الذي حرّك ماءها وأصبحت مياهها أمواجاً لامعة تشبه الجواشن، ويصور لنا حركة السمك، ويضيف إلى الحركة اللون بخضرة البساتين التي تلف البركة، وبهذا أعمل الشاعر خياله، فجاء بصورة متمثلة في المشاهد التي تتحرك فيها الأشياء والألوان والحياة وكأنها صورة ناطقة يلمّها نفس شعوري واحد رسمته ريشة فنان.

---

١. **ديوان البحتري** ٢٤١٧/٤

ومن هذه الصور المركبة من عدد من الأجزاء والعناصر قول البحتري ،واصفاً أحد قصور الفتح بن خاقان:

كأنّ الرياضَ الحُوّض يُكسَيْن حَوْلَهَا　　أفانينَ عن أفوافِ وشْيٍ مُلَفَّقِ

إذا الرِّيحُ هَزَّتْ نَوْرَهُنَّ تضَوَّعتْ　　روائـحُهُ من فأرِ مِسْكٍ مفتّقِ

كأنَّ القبابَ البيضَ والشّمْسُ طلقةٌ　　تضاحكها أنصافُ بيضٍ مُفَلَّقِ[١]

فقد أعمل لنا خياله راسماً لوحة مركبة من اللون والرائحة والحركة فيصف لنا خضرة الرياض المحيطة بالقصر ويصور لنا حركة الرياح ومداعبتها للأغصان وكيف تهب معها روائح المسك والعنبر الطيبة كما يشبه القباب البيض والشمس طلقة تضاحكها مضيفاً بذلك عنصر الإشراق واللمعان على هذا المشهد الطبيعي والعمراني المتساوق.

١. **ديوان البحتري** ج٣ ص١٥١٠، الحو: التي بها سواد إلى الخضرة، الأفانين: الضروب والأنواع، الوشي: نقش الثوب، ملفق: مزخرف، النور: الزهر الأبيض منه فأر مسك، وعاؤه المفتق، المستخرج رائحته، ينظر حاشية الديوان.

الفصل الثالث:

اللغة والأسلوب

اللغة والأسلوب :

اللغة وسيلة التعبير الأولى في نقل التجربة الشعرية، وإبرازها للمتلقي ولذلك درس القدماء اللغة فصنفوها إلى اللغة المبتذلة المستعملة واللغة الأدبية المترفعة [١] واللغة الوحشية النادرة [٢] وبحثوا في الألفاظ من حيث السهولة والتعقيد .

وتباين استعمال اللغة من شاعر إلى آخر وأصبحت مأخذاً من مآخذ التقييم ومعياراً من معايير الحكم على العمل الشعري؛ فتميز شاعر عن آخر بلغته وحسن سبكه، وكما تفاوتت اللغة في الفنون الشعرية فألفاظ الرثاء غير ألفاظ الهجاء وألفاظ الغزل غير الفاظ الفخر وهكذا إذ بات لكل فن شعري ألفاظه الخاصة التي تطبعه وتميوه.

والباحث في شعر الخلافة المتوكلية يرى إختلافا في اللغة الشعرية، وتعدداً في الفنون والأغراض الشعرية، وتنوعاً في الاتجاهات. وتبعا لذلك تنوعت اللغة فبعض الشعراء مال للسهولة والبساطة والسلاسة والوضوح مستجيباً لمتطلبات عصره وتلبية لرغباته؛ إذ طلب الناس البساطة والوضوح، ونضرب على ذلك مثلاً ما نصح به الفتح بن خاقان البحتري عند مدحه للمتوكل فقال البحتري مصرحاً: "كنت أمدح المتوكل مقوِّ لفظي، غير مرسل نفسي، فقال لي الفتح_وكان والله ما علمت قويّ الأدب حسن المعرفة بالشعر : ليس بك حاجة في مدح أمير الؤمنين إلى مثل هذا، لينّ كلامك حتى يُفْهم فإنه يلذ ما يفهم، فعلمت أنه نصحني" [٣] وبعضهم مال إلى ضرب من ضروب التعقيد والإطالة لا سيّما في المقدمات التي تسبق الغرض الرئيس من القصيدة. فقد ظهر نوع من التأثر بالقدماء عند البحتري مثلا فوجدناه ميّالاً إلى المطولات والسير على نهج القدماء بإستخدام الألفاظ الغريبة.

وتقسم موضوعات الشعر في الدراسة لقسمين الأول يماشي نهج القدماء ويحذو حذوهم والآخر يواكب عصر التطور والحضارة ويتماشى وروح العصر .

---

١. ذهب ابن رشيق أن هناك ألفاظاً معروفة وأمثلة مألوفة، لا ينبغي للشاعر أن يعدوها، ولا أن يستعمل غيرها، ابن رشيق القيرواني، **العمدة** ١٠٦/١ .
٢. ابن قتيبة، **الشعر والشعراء**، ١٠٢-١٠٤
٣. ينظر الأعرجي ، محمد حسين ،**الصراع بين القديم والحديث في الشعر العربي**، بيروت: المركز العربي للثقافة ، ص١٨٦ .

فالبحتري مثلاً يحاكي صنيع القدماء في كثير من المواضع كوصف المعركة البحرية التي قادها أحمد بن دينار، فذكر عدداً من أوصاف المركب والأسلحة والخطط العسكرية وغير ذلك (١)

ويعدل البحتري إلى لغة سهلة وواضحة عند الوصول إلى الغرض الرئيس من القصيدة ليفهم الممدوح ما يقصد ويريد فهو يعمد إلى استخدام ألفاظ بعيدة عن الغرابة والتعقيد واضحة جلية أمام الممدوح فهو يشيد بأفعال الخليفة أو القائد بلغة سهلة تقع في متناول اليد ، فنجده يمدح الخليفة بكلمات سهلة تشيع فيها العذوبة والخفة ومن ذلك قوله:

قُلْ للخليفةِ جَعْفَرِالـ   متوكّلِ بن المعــتصمْ

المُرْتَضى ابن المجتبي   والمُنْعِمِ ابن المُـــنْتَقِمْ

أمــا الرّعيَّة فهيَ من   أمــناتِ عَدْلِكَ في حَرَمْ(٢)

وإذا نظرنا في جانب آخر وجدنا أن المقطوعات الشعرية تخلو من غريب اللغة إذ عمد أصحاب المقطوعات إلى الولولج لأغراضهم مباشرة مبتعدين عن وحشي الكلام وغليظه.

من ذلك ما نظمه الشعراء في المدح السياسي والهجاء السياسي، إذ ذهبوا إلى المباشرة بعيداً عن التخبط في غياهب اللغة.

وتخلو قصائد الغزل واللهو ووصف مجالس الشراب من غريب اللفظ، فهي تعمد إلى بساطة المعنى وسهولة اللفظ، فهي موضوعات تفيض رقة وعذوبة وتجنح إلى السلاسة والوضوح.ومن الأغراض التي احتفظت بسهولة لغتها الرثاء؛ إذ راح الشعراء يبكون فقيدهم ويرثونه بطابع سهل بعيد عن غريب اللغة.

وراوح شعر الوصف بين ما هو جديد وقديم فمزج الشعراء بين القدم والحداثة معللين بذلك مادتهم الوصفية، فإذا وصف الشعراء الأطلال والدِّمن استخدموا كلمات جزلة، أما إذا وصفوا القصور والبرك والرياض فقد واكبوا الحضارة بألفاظها السهلة ولغتها السلسة الرهيفة .

---

١. **ينظر ديوان البحتري** ٢/٩٨١-٩٨٢

٢. **السابق** ١٩٩٩/٣

أما شعر الصراع الداخلي والخارجي فصور لنا الأحداث بلغة سهلة واضحة تعبر عن المضمون وتبتعد عن الغريب. وتغلب على لغة وصف الحروب الخارجية الأشعار الحماسية لضرورة الموضوع وميل شعرائها إلى شيء من التفصيل.

وكانت لغة الهجاء رصينة اللفظ جزلة تعكس ما يعانيه الناس من سوء الأوضاع، أو ما يعانيه الشاعر من المهجو، وهكذا جاءت ألفاظ هذا اللون الشعري مناسبة للغرض مؤدية للمعنى. فكان الهجّاء يختار معانيه باختيار الشخصية، فإذا كان المهجو رجلاً معتزلياً طعن بمذهبه ونُعِتَ بجهله وحداثته وعدم درايته بالأمور، كقول ابن الجهم في الوزير ابن أبي دؤاد يهجوه بمذهبه الإعتزالي ويطعن معرفته وعلمه:

ما هذه البدع التي سميتــها   بالجهل منك العدل والتوحيدا
أفسدت أمر الدين حين وليته   ورويته بأبــي الوليد وليدا [١]

وتأثرت لغة الشعراء في تلك الفترة بعدة مؤثرات طبعت العصر آنذاك وميزته، فتأثر شعراء الخلافة المتوكلية بألفاظ القران الكريم والسنّة النبويّة تبعاً لطغيان التيار السني على الحكم، فأخذ الشعراء يستخدمون كلمات القرآن الكريم ويتمثلون بآياته الشريفة في شتى أغراضهم في المدح أوالرثاء حتى في غزلهم وطلبهم لوصل الجواري، ومن الطريف أن نورد ما قاله الحسين بن الضحاك في جارية وهو في طريقة إلى الحج :

مررتَ بالقريتينِ مُنْصَرِفًا   من حيث يقضى ذو النُّهى النُّسكا
إذا فــتاة كأنّـــها قمرٌ   للتَمِّ لـمّا تـــوسَطّ الفلكا [٢]

ولم يقتصر تأثر شعراء الفترة على الألفاظ الإسلامية أنّما جاوزوا ذلك للإلمام بمؤثرات العصر مثل اللغة الفارسية ومصطلحات النقد وعلم الكلام. ومن ذلك قول البحتري في وصفه المعركة البحرية أثناء مدحه أحمد بن دينار

يغضونَ دونَ الإشتيامِ عيونهم   وفوقَ السمّاطِ للعظيمِ المؤمَّرِ. [٣]

---

١. **ديوان علي بن الجهم** ص٩٩

٢.**الأغاني** ٧ /١٦١، التَمِّ: هو القمر حين يكون بدراً.

٣.**ديوان البحتري** ٩٨٣/٢

فنجد لغة العصر المتوكلي بشكل عام تميل إلى السهولة والبساطة والوضوح، فمال أهل هذا العصر إلى هلهلة النسج واللفظ العامي السهل والبعد عن وحشي اللفظ[١] تبعاً لمتطلبات العصر بالبعد عن التعقيد والغريب وتلبية لحاجات الغناء التي تتطلب خفة الوزن ورشاقة الكلمة، فالسهولة والعذوبة والرشاقة شرط أساسي في الشعر الذي يُلَحّن[٢]، لذلك اهتم العرب بجرس الألفاظ وموسيقا الكلام لاعتمادهم على السمع والإنشاد كثيرا [٣] .

فنرى عدداً من الشعراء يميلون إلى استخدام الحروف اللينة السهلة المخرج، إضافة إلى تكرار حروف بعنيها توقع شيئاً من الجرس والموسيقا، بل كرروا كلمات بعينها في صدر البيت و في عجزه ومالوا إلى استخدام عدد من المحسنات كالجناس والطباق والترصيع والتنغيم بين مقاطع البيت وقوافيه الداخلية والخارجية.

فمن الايقاعات الجميلة ما نراه من مقاربة حروف القافية مع عدد من أبيات القصيدة نفسها مثل قول البحتري في وصف البركة:

يا مَنْ رَأى البركةَ الحَسْنَاءَ رؤيتَها   والأنسانِ إذا لاحَتْ مَغَانيها
يحسَبها أنّها من فَـضْلِ رُتْبَتَها   تُعَدُّ واحِدةً، والبحرُ ثانيها[٤]

وطلباً لسهولة اللغة وخفتها أخذ الشعراء يبحثون عن ألفاظ تلبي مطالبهم من السهولة وهنا لا نفصل اللغة عن المعنى، فكلاهما واحد وما نقصده دراسة مايتعلق باللغة وألفاظها فإذا سلم المعنى سلم اللفظ.

---

١. ينظر الأعرجي، محمد حسين، **الصراع بين القديم والحديث في الشعر العربي**، ص١٨٦

٢.ينظر الخفاجي، محمد عبد المنعم **البناء الفني للقصيدة العربية** ط١، القاهرة: دار الطباعة المعمدية ، ص٩٥

٣.ينظر العبيدي جمال نجم، **لغة الشعر في القرن الثاني والثالث الهجريين**، ٢٠٠٦، عمان: دار زهران، ص٣٩

٤. **ديوان البحتري** ٢٤١٦/٤

ومن الأساليب التي أغنت الجرس الموسيقي إيراد الجمل المتوالية مثل ماقاله ابن الجهم في رثاء المتوكل: وكان اضاعَ الحَزْمَ واتّبه الهوى ووكَّل غِرَّ ًّ بالجُيوشِ يقودُها[١]

(أضاع الحزم، اتّبع الهوى، وكّل غِرّاً) فجاءت الجملتان الأولى والثانية مقدمة للجملة الثالثة، إذ إن صناعة الحزم واتباع الهوى كان السبب في توليه غرّ الجيوش.[٢]

ومال الشعراء آنذاك إلى الاستعمال الشعبي للألفاظ في بعض موضوعاتهم كالذي نلحظه في المناظرات والمداعبات مثل ما دار بين أبي العبنس الصيمري [٣] والبحتري في أحد مجالس الخليفة فقال :

من أي سَلْحٍ تلتقم وبأيِّ كــــفٍّ تلتطم
أدخلتُ رأس البحتر ي أبي عبادة في الرحم [٤]

كما استخدموا ألفاظ الحضارة والترف، والألفاظ، التي تدل على الخلافة والحكم، ويلفت النظر ما كرره البحتري في ديوانه من كلمة "الخليفة" ومن ذلك قوله في مدحه للمتوكل:

أحيا الخليفةُ جَعْفَرٌ بفعالهِ أفعالَ آباءٍ له وجدُودِ [٥]

---

١. **ديوان ابن الجهم** ص١١٥

٢. ينظر النجار، الهادي عمر، **قصيدة الرثاء في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري**، ٢٠٠٤ رسالة ماجستير غير منشورة ليبيا، جامعة قاريونس. ص٣٠٧،

٣.محمد بن اسحاق بن ابراهيم أبي العبنس المغيرة بن ماهان الشاعر، أحد الأدباء الملحاء، قدم بغداد ونادم المتوكل،**تاريخ بغداد** ص٢٥٣

٤.**مروج الذهب**٩٢/٤ وورد في رواية أخرى ينظر الصولي ،أبي بكر محمد بن يحيى، **أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم من كتاب الأوراق**، ١٩٧٩،عُني بنشره ج. هيورُت ، ط٢ ، دار المسيرة، بيروت.

٥. **ديوان البحتري** ٧٠٠/٢

وكما تكررت في ديوانه لفظة أمير المؤمنين من ذلك:

تزورُ أميرَ المؤمنينَ ودُونَهُ   سهوبُ البلادِ :رَحْبُها ووسيَعُها [١]

واستخدمت ألفاظ الولاية وبيعة العهد كالذي نظمه الشعراء في بيعة المتوكل العهد لأبنائه. وذكرت ألفاظ المذاهب كالزندقة والمعتزلة وغير ذلك وذكرت ألفاظ علم الفلك كيوم النيروز [٢] والكواكب [٣] وغير ذلك. وذكرت الألفاظ الأعجمية والدخيلة[٤] وألفاظ الأماكن وأسماء الأشخاص والعلماء [٥]

ففي مقدمة القصيدة نرى آثار القدماء بكلماتهم وأساليبهم كالوقوف على الطلل ووصف الرحلة وغير ذلك. ونلحظ الكلمات العذبة والسهلة المختصرة في التعبير عن قصصهم الغرامية وأيام لهوهم كما هو الحال في التعبير عن الترف العمراني آنذاك.

ظواهر أسلوبية:

إن الأسلوب هو الطريقة التي يسلكها الشاعر في سبك نصه وإحكام قوافيه فهو النهج الذي يتبعه في تجميع ما نظم وكتب ونقل خلجات نفسه وتصويرها "وهو طريقة الكتابة واختيار الألفاظ للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير" [٦]

---

١. **ديوان البحتري** ١٢٩٨/٢

٢. ينظر الشعر والعادات الأجتماعية.

٣. ينظر الفصل الأول/ الباب الثاني الثقافة الفلكية.

٤. السابق

٥. مثل ماذكره البحتري "كسرى، قيصر" عند مدح المتوكل ووصف بنائه.

٦. شايب، أحمد، **الأسلوب** ١٩٧٦، ط٧ ،القاهرة :مكتبة النهضة المصرية، ، ص٤٤

واحتفت طائفة من الأشعار في خلافة المتوكل بأساليب مميزة لها أسرارها البلاغية وإنعكاساتها الجمالية التي تخدم الشاعر في نقل تجربته وإنفعالاته وتسهم في إضفاء أثر على المتلقي.

ومن الظواهر الأسلوبية في الشعر الذي نظم في خلافة المتوكل أسلوب الإستفهام وأسلوب النداء وأسلوب التكرار والحوار والأسلوب القصصي وغيرها من الأساليب التي أغنت أشعارهم.

ومن هذه الأساليب أسلوب الاستفهام الذي عبر عن عدد من المعاني، وصور عدد من الحالات وترجم عدة من الحالات النفسية والأغراض التي يحددها سياق الكلام. ونمثل على هذا الأسلوب ما استخدمه الشعراء في رثاء المتوكل ومنهم محمد بن يزيد المهلبي:

هلّا أتتْهُ أعاديهِ مُجاهَرةً   والحربُ تُسعَرُ والأبطالُ تجتلِدُ [١]

واستفهام البحتري الذي أخرجه من الإستبعاد في قوله:

فأينَ الحِجَابُ الصَّعْبُ حيث تَمَنَّعَتْ   بِهيْبَتِها أبوابُهُ ومقاصِرُهْ؟

وأيْنَ عَمِيدُ النَّاسِ في كلِّ نَوْبَةٍ   تَنُوبُ،وناهي الدَّهْرِ فيهمْ وامِرُهْ؟ [٢]

وقد يقصد الاستفهام إلى التأكيد مثل ما قاله إبراهيم الصولي مؤكدا حق المتوكل بالخلافة:

مَنْ بالخلافة أولى   مِنْ جعفر بن محمّدْ؟

ومن أحقّ بعهده   من الأمير المؤيّد؟[٣]

وقد يأتي الأستفهام مكملاً لمعاني المدح دالاً على عظم الممدوح مثل قول البحتري في مدحه للمتوكل:

وكيف لا يأمل راجيك الغنى   وأنت رْأسُ المجد، والناسُ ذَنَبْ؟![٤]

---

١. السامرائي، يونس ، **شعراء عباسيون**، ص٢٤٥

٢. **ديوان البحتري**، ج٢، ص١٠٤٧

٣. **الطرائف الأدبية**، ص١٣١

٤. **ديوان البحتري** ١٥٦/١

وقوله في ممدوحه مبيناً جوده وطيب عوده وبطولته :

ألست أعمَّهُمْ جوداً، وأزْكَـــا　　　هُمُ عُوداً، وأمْضَاهُمْ حُسَامَاً (١)

وصرّح الشعراء باستخدام لفظ القسم كقول البحتري في مدحه للمتوكل :

فأقسم ما ينفكُّ بالفضل عائداً　　　علينا ، ولاننفكُّ من فضل مفضلِ (٢)

ومن الأساليب التي استخدمها الشعراء أسلوب النداء الذي أضفى عدداً من المعاني ومن ذلك ما استخدمه الشعراء في قصائدهم المدحية لإضفاء صفات الهيبة والجلال على ممدوحيهم .كقول ابن المدبر

ياجعفر المتوكلُ الـــ　　　ـعالي على البدر المنيرِ

يـــارحمة للعالميـــ　　　ـن وياضياء المستنيرِ

يـــــاحجـــة الله التي　　　ظهرت له بهدى ونورِ (٣)

وقد يُستخدم أسلوب النداء لإفادة الدعاء ومنه ماقاله البحتري في مدح المتوكل :

يا أمامَ الهُدى الذي احـــ　　　تاط للدِّين واجَتَـــهْد

سِــــــرْ بِسَعد السُّعودِ في　　　صُحبَة الواحدِ الأحدْ (٤)

وقول مروان بن ابي الجنوب :

ياعاشر الخلفاء دمت ممتّعاً　　　بالملك نعقد بعدهم للعاشر (٥)

---

١. **ديوان البحتري** ٢٠١٠/٣، ينظر الزبيدي صلاح مهدي ، **بنية القصيدة العربية البحتري أنموذجاً** ٢٠٠٤ ، ، ط١، الأردن: الجوهرة للنشر ، ص١٨٠

٢. **ديوان البحتري**١٩٢٣/٣

٣. **الأغاني**١١٠/٢٢+١١١

٤. **ديوان البحتري**٧٠٨/١

٥.**مروج الذهب** ١٣٦/٤

وقد ياتي النداء مفيداً التوكيد مثل ما قاله ابن الجهم مؤكداً حق المتوكل بالخلافة

ياوارثَ الأرضِ الذي أصبحتْ أقطارُها من نُورِهِ تَزْهَرُ (١)

وظهر في أساليب هذه الشعراء أسلوب النهي الذي أفاد عدة معانٍ منه ما خرج إلى الدعاء كما قاله البحتري في مرثيه للمتوكل :

فلا مُلِّي الباقيِ تُرَاثَ الذي مَضَى، ولا حَـــــمَلَتْ ذاكَ الدُّعَاءَ منابرُهْ!

ولا وَألَ المَشْكُوكُ فيه ولا نَجَـــا من السَيفِ ناضي السَّيفِ غَدْراً وشاهِرُهْ (٢)

وكقوله داعياً على دمشق :

فلا سُقِيتْ غَيْثاً "دمشق" ولا غَدَتْ عليها غَوادي مُزْنَةٍ لِعِهَادِها (٣)

وقد يخرج النهي إلى التهديد والتقليل من شأن الآخرين ومنه ما قاله البحتري مادحاً المتوكل مقللاً من شأن أنداده :

لا تعرِضَنَّ بجعفرٍ متَشَبِّهاً بندى يديه فَلَسْتَ من اندادِهِ (٤)

وقد يستخدم النهي للتأكيد وأثبات الحقائق ومنه قول مروان بن أبي الجنوب في مدح المتوكل وإثبات أحقية بني العباس في الخلافة

لــــــــيس التـــــــراث لغيــــــــركم لا والإلــــــــهِ ولا كَرَامَــــــــهْ (٥)

١.**ديوان علي بن الجهم،** ص١٢٦

٢. **ديوان البحتري** ١٠٤٩/٢

٣. **السابق** ٧١٥/٢ العهاد أول مطر موسمي.

٤. **السابق** ٧٠٣/٢

٥. تاريخ الطبري ٣٣٩/٥

واستخدم الشعراء في قصائدهم أسلوب الأمر الذي تجلى بعدد من المعاني كخروجه إلى الدعاء ومن ذلك ما قاله البحتري مادحاً المتوكل :

فاسعدْ بمغفرةِ الاله فلم يزَلْ يَهَبُ الذنوبَ لمن يشاءُ ويغفرُ (١)

ويتناسب هذا الأسلوب بخروجه لإفادة الدعاء مع طبيعة الممدوح فالشاعر يطمع في كسب مرضاته باستخدام أسلوب الأمر بطريقة غير مباشرة تخرج للدعاء .

ومن الأساليب التي استخدمها الشعراء زمن المتوكل التنوع في أساليب الخبر وإفادته عدة معان مثل التوكيد، ومنه ما قاله البحتري في مدحه للمتوكل :

اللهُ مكّنَ للخليفةِ جعفرٍ مُلكاً يُحَسِّنُهُ الخليفة جعفر (٢)

وقد يكون الأسلوب الإخباري مفاده أن المتوكل عالم مايحوي هذا الخبر:

نعمى من الله اصطفاهُ بِفَضلها واللهُ يرزقُ من يشاءُ ويَقْدِرُ (٣)

وقد يفيد الخبر التحسر وإظهار الحزن ومنه ما قاله البحتري مستذكراً مشهد مقتل المتوكل :

صريعٌ تقاضاهُ السيوفُ حشاشةً يـــجود بها والموتُ حمرٌ اظافِرُهُ
أدافِـــع عنه باليدين ولم يكنْ ، ليثْنَي الأعادي أعزلُ الليل حاسِرُهُ (٤)

ويعد أسلوب الحذف من الأساليب التي أغنت التجربة الشعرية وأخصها بنوع من الجمالية وقد تتعدى الجمالية إلى شيء من الأهمية والتركيز على صفات الممدوح كقول البحتري في مدح المتوكل:

ملكٌ تبوّأ خير دار إقامةٍ في خيرِ مَبدىً للأنام ومحضَرِ (٥)

إذ حذف الشاعر الضمير في صدر البيت وأعطى كل الأهمية للصفة التي ألبسها للممدوح.

---

١. **ديوان البحتري** ١٠٧٣/٢
٢.السابق ١٠٧١/٢
٣.السابق ١٠٧١/٢
٤.السابق١٠٤٨/٢
٥. **السابق** ١٠٤٠/٢

ومن الظواهر الأسلوبية أسلوب الحوار الذي ظهر في شعر تلك الفترة لا سيما في المقدمات، ومنه الحوار الذي أجراه البحتري مع أحد الأطلال في مقدمة قصيدته التي مدح بها المتوكل

قف العيس قد أدْنَى خُطَاهَا كَلَالُهَا   وَسلْ دارَ "سُعْدَى" إن شفاك سُؤَالُهَا

إذا قُلْتُ: أنْسَى دارَ "ليلى" على النّوى   تَصَوّرَ في أقْصَى ضَميري مِثَالُهَا (١)

ومن الأساليب أيضاً الأسلوب القصصي إذ يبدو الشاعر سارداً لقصة ما ومن الطريف أن نذكر قصة علي ابن الجهم اذ قص لنا يوماً من أيام أنسه وعبثه فقال:

نزلنا بباب الكوخ افضل منزل   على محسنات من قيان المفضل

فلابن سريج والغريض ومعبد   ودائـــــــع في آذاننا لم تبدل

أوانس ما فيهن للضيف حشمة   ولا ربهن بالمـــــــهيب المبجل (٢)

وهكذا فان هذه مجموعة من الأمثلة تصور لنا بعض الظواهر الاسلوبية المستخدمة في شعر هذه الفترة وتبين المستجدات التي طرأت على هذه الأساليب مع إختلاف معانيها.

١.**ديوان البحتري** ١٦٢/٣

٢. **ديوان علي ابن الجهم** ص ١٨٨

***المحسنات البديعية:**

ومال الشعراء آنذاك لاغناء نصوصهم الشعرية بضرب من الجمال والخفة التي تتناسب وعصرهم المتحضر المترف، فاستخدام الشعراء الألوان البديعية بقصد تلوين أشعارهم وإثرائها. ومن هذه المحسنات الطباق الذي استخدموه بشكل غير معقد ومنه ما قاله البحتري مادحاً الفتح بن خاقان:

منّـي وصلٌ ومنك هَجُر   وفيَّ ذلٌّ وفيــك كِبْرُ
قد كنتُ حُراً وأنتَ عبدٌ   فصرت عبداً وأنت حرٌّ

فهو يطابق الوصل بالهجر والذل بالكبر والحرية بالعبودية ومن خلال هذه المتطابقات أعطى البحتري المعنى للقصيدة المدحية.

والجناس الذي استخدمه الشعراء لاعطاء جوّ من الموسيقيا الذي يناسب مع اللحن والغناء، ومن الأمثلة على التجنيس ما جاء به البحتري في رثائه للمتوكل كقوله:

وهل أرتجي أن يَطلُبَ الدّمَ واترٌ   يدَ الدهرِ، والموتورُ بالدم واتِرُهْ

فجانس بين ثلاث لفظات هي واترلا وموتور وواتره.

وغير ذلك من الألوان البديعية كرد العجز على الصدر والترصيع والتقسيم والتكرار والاستطراد.

الخاتمـــة:

تعد فترة خلافة المتوكل مليئة بالأحداث الجسام والتغيرات؛ فهي فترة انتقال بين عصرين: العصر العباسي الأول، والعصر العباسي الثاني وفترة صدام بين السنة والاعتزال؛ فقد تولى المتوكل خلافته في ظل ظروف يسودها التذمر والاضطراب في استمرار محنة خلق القرآن وتعاظم نفوذ الأتراك في الدولة وتحت تأثير هاتين الظاهرتين رغب المتوكل في إعادة هيبة الخلافة والأعلاء من الأسرة العربية العباسية والعرب كافة فأراد إعادة الدولة إلى سابق عهدها.

ولذا بات هذا الصراع حركة فكرية وسياسية نشيطة سُجلت في أشعار تلك االفترة فتحدث الشعراء عن إعجابهم بهذا الخليفة الذي استمال أهل الحديث والعامة من خلفهم وأمر بإلغاء المحنة وإنهاء الجدل وبهذا كسب قلوب شعبه وبدأ يحارب التراك ومن ورائه شعبه فقد حاول انهاء نفوذهم وسطوتهم ثم بدأ باتباع سياسة تقلل من نفوذ أهل الذمة والشيعة بما أصدره من قرارات.

وسجل الشعر هذه الصراعات فاستمال المتوكل الشعراء إلى جانبه لمحاربة الاتراك والعلويين وإثبات حق العباسين في الخلافة .

وخلاصة القول: إن المتوكل أراد استرداد هيبة الخلافة العباسية ومكانة العرب وكسب الصراع ضد أعدائه وإنهاء الفوضى العسكرية وسجل الشعر كل هذه الصراعات السياسية والمذهبية .

كما حملت أشعار تلك الفترة صورة للحياة الاجتماعية باختلاف تياراتها ومناحيها وصورة للترف المعماري والحضاري السائد آنذاك .

وقد خلصت الدراسة إلى جملة من النتائج من أهمها:

-أولاً: سجل الشعر في الخلافة المتوكلية(٢٣٢-٢٤٧هـ)، جوانب مهمة من الحياة بمختلف جوانبها السياسة والاجتماعية والحضارية والمذهبية في ذلك العصر.

-ثانياً: تأثر الشعر آنذاك بمختلف التيارات السائدة وببعض متغيرات الحياة.

-ثالثاً: كشفت الأشعار في هذه الفترة عن التحام الشعر وتجاوبه مع الواقع وقدرته على رسم ملامح عامة لحقبة الدراسة وكما رصد الشعر في هذه الفترة بعض مظاهر التطور الفني في لغة القصيدة العباسية وصورها ومبناها.

المصـــــادر والمراجع:

١. ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم (ت ٦٣٠هـ) ، **الكامل في التاريخ**، ط١، (تحقيق خليل مأمون شيح)ا، دار المعرفة، بيروت٢٠٠٢م.

٢. إسماعيل، عز الدين،١٩٨٠م، **الشعر العباسي الرؤية والفن**، مصر، دار المعارف.

٣. الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، **الأغاني**، ط١، (تحقيق مكتب دار إحياء التراث العربي)، دار إحياء التراث العربي، بيروت،١٩٨٦م.

٤. ابن أبي أصيبعه، موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم السّعدي الخزرجيّ ، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**،(ضبطه وصححه محمد باسل عيون السُّود): دار الكتب العلمية، بيروت،١٩٩٨

٥. الاعرجي، محمد حسين ، د.ت، **الصراع بين القديم والحديث في الشعر العربي**، بيروت: المركز العربي للثقافة.

٦. أمين،أحمد، ١٩٦٢، **ظهر الاسلام** ، الطبعة الثالثة،ج١، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية.

٧. البحتري، ١٩٦٣,١٩٦٤، تحقيق حسن كامل الصيرفي، مصر، دار المعارف.

٨. البصير، كامل حسين، ١٩٨٧م، **بناء الصورة الفنية في البيان العربي**، بغداد، مطبعة المجمع العلمي العراقي.

٩. بكار، يوسف حسين، **بناء القصيدة العربية** ١٩٧٩، القاهرة، دار الثقافة.

١٠. ترتون،د.أ.س،١٩٦٧، **أهل الذمة في الإسلام**، الطبعة الثانية، دار المعارف، ترجمة وتعليق د. حسن حبشي.

١١. التميمي، قحطان رشيد، د.ت، **اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري**، دون طبعة، بيروت، دار المسيرة.

١٢. التنوخي، أبي علي المحسن بن علي، ٢٠٠١م، **من نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة،** دمشق، اختار النصوص وقدم لها، د. عبد الاله نبهان، منشورات وزارة الثقافة السورية.

١٣. ثويني ، علي، ٢٠٠٥م، **معجم عمارة الشعوي الإسلامية**، بغداد، بيت الحكمة.

١٤. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، د.ت، **البيان والتبيين**، د.ط، دار الفكر، تحقيق وشرح عبد السلام هارون.

١٥. الجراح، خالد أحمد ١٩٩٦م، **شعر الفتن في القرن ٣هـ**، رسالة ماجستير جامعة مؤتة، د. ن.

١٦. ابن الجراح أبو عبد الله محمد بن داوود، (د.ت) **الورقة**، ط٣، (تحقيق د. عبد الوهاب عزام، عبد الستار أحمد فرّاج)، دار المعارف ،القاهرة.

١٧. ابن جريج ، أبو الحسن علي بن العباس، ١٩٧٤م، **ديوان ابن الرومي**، تحقيق حسين نصار، مطبعة دار الكتب العلمية، مصر .

١٨. الجهم، علي بن الجهم، ١٩٩٦م، **ديوان علي بن الجهم**، الطبعة الثالثة، بيروت، دار صادر.

١٩. ابن الجوزي، جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن(ت ٥٩٧)، **المنتظم في تواريخ الملوك والأمم**، (تحقيق سهيل زكّار)، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٩٢م.

٢٠. جيمس، سكوت، **صناعة الأدب**، ١٩٨٦م، ترجمة هاشم الهنداوي، بغداد: دار الشؤون الثقافية.

٢١. الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، ١٩٧٩م، **معجم البلدان**، بيروت، دار صادر.

٢٢. الخاقاني، علي، ١٩٦٢م، **شعراء بغداد من تأسيسها حتى اليوم**، بغداد، مطبعة أسعد، منشورات البيان.

٢٣. الخزاعي، دعبل، **ديوان دعبل الخزاعي**، ١٩٦٢م، بيروت، دار الثقافة، تحقيق د. محمد يوسف نجم.

٢٤. خشاب، وليد، **دراسات في تعدي النص**، ١٩٩٤م، المجلس الأعلى للثقافة المطابع الاميرية.

٢٥. الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي. ت ٤٦٣هـ ، **تاريخ بغداد أو مدينة السلام**، ط١، نحقيق عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت،١٩٩٧م.

٢٦. خفاجي، د. عبد المنعم، د.ت، **البناء الفني للقصيدة العربية**، الطبعة الأولى، القاهرة، دار الطباعة المحمدية.

٢٧. ابن خلدون،عبد الرحمن بن محمد الحضرمي المغربي، **تاريخ ابن خلدون** المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط١، (تحقيق تركي فرحان المصطفى،)، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي بيروت،١٩٩٩م.

٢٨. ابن دحية، **النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس**، الكلبي ت ٦٣٣هـ، تحقيق مديحة الشرقاوي، ط١، ٢٠٠١م، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

٢٩. الديار بكري، حسين بن محمد بن حسن ت ٩٦٦هـ، **تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس**، دار صادر، بيروت، د.ت.

٣٠. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، ١٩٩١م، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام**، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، تحقيق عمر بن عبد السلام.

٣١. الربايعة، حسن محمد، ١٩٩٩م، **حرب الاساطيل في ديوان البحتري قراءة جديدة،** ط١، عمان: المركز القومي للنشر.

٣٢. ابن رشيق، القيرواني، **العمدة في محاسن الشعر وآدبه ونقده،** تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الجيل،ط٥، ١٩٨١م.

٣٣. الزبيدي، د.صلاح مهدي الزبيدي،٢٠٠٤م، **بنية القصيدة العربية(البحتري أنموذجاً)،** الطبعة الأولى، عمان، الأردن، دار الجوهرة للنشر.

٣٤. ابن الزبير، القاضي الرشيد، **الذخائر والتحف،** تحقيق محمد حميد الله، التراث العربي، الكويت، ١٩٥٩م.

٣٥. الزوزني، أبو عبد الله الحسين بن أحمد، ٢٠٠٤م، **شرح المعلقات السبع،** الطبعة الأولى، بيروت، مكتبة المعارف.

٣٦. ابن الساعي، تاج الدين أبي طالب علي بن أنجب المعروف الخازن البغدادي، **نساء الخلفاء المسمى جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء،** تحقيق: د. مصطفى جواد، الطبعة الثانية ، دار المعارف.

٣٧. السامرائي، ابراهيم، **سامراء في أدب القرن ٣هـ.**

٣٨. السامرائي، يونس، ١٩٨٦م، **شعراء عباسيون،** الطبعة الأولى، بيروت، عالم الكتب، مكتبة

٣٩. سلامة، د.يسري، ١٩٩٤م، **الأدب في القرن ٣هـ(** ظواهر فنية واجتماعيه عند شعرائه) الإسكندرية، دار المعرفة.

٤٠. السلمي، أبو عبد الرحمن، ١٩٩٧م، **طبقات الصوفية،** الطبعة الثالثة، القاهرة، مكتبة الخانجي، تحقيق نور الدين شربيه.

٤١. سوسة، د. أحمد، **ري سامراء،** الجزء الأول .

٤٢. أبو سويلم، د.أنور، **أبو العيناء، دراسة وتوثيق في حياته وشعره ونوادره وأخباره ومروياته،** الطبعة الأولى ، دار عمار، الأردن،١٩٩٠م.

٤٣. السيوطي، جمال الدين، تاريخ الخلفاء، ط١،(نحقيق ياسر رمضان، محمد يوسف)، دار الأسرة، دار عالم الثقافة الأردن،٢٠٠٦م.

٤٤. الشابشتي، أبو الحسن علي بن محمد، ١٩٦٦م، **الديارات،** الطبعة الثانية، بغداد، مطبعة المعارف، تحقيق كوركيس عواد.

٤٥. الشايب، أحمد،١٩٦٧م، **الأسلوب،** الطبعة السابعة، القاهرة.

٤٦. الشرقي، طالب علي، ٢٠٠١، **قصور العراق العربية والاسلامية حتى نهاية العصر العباسي٦٥٦هـ،** الطبعة الاولى، بغداد،دار الشؤون الاسلامية.

٤٧. الشكعة، مصطفى، **الشعر والشعرء في العصر العباسي.**

٤٨. الشيباني، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكرم بن عبد الواحد، ٢٠٠١، **الكامل في التاريخ،**الطبعة الاولى،بيروت، دار المعارف.

٤٩. صقر، نادية حسين، **الاتجاهات السياسية والفكرية في خلافة المتوكل(مطلع العصر العباسي الثاني).**

٥٠. الصليحي، صلاح علي، **التقليد والتجديد في الشعر العباسي**١٩٩١م، الاسكنرية: دار المعرفة الجامهية.

٥١. الصولي، أبو بكر عمر بن يحيى، ١٩٧٩م، **أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم من كتاب الأوراق**، الطبعة الثانية، بيروت، دار المسيرة.

٥٢. ضيف، شوقي، ١٩٩٦م، **العصر العباسي الثاني**، الطبعة العاشرة، القاهرة، دار المعارف.

٥٣. ضيف، شوقي **الفن ومذاهبه في الشعر العربي** ،الطبعة الاولى، بيروت، دار الكتب العلمية.

٥٤. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، ت٣١٠هـ، **تاريخ الرسل والملوك**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.

٥٥. عايش، د.،ياسين يوسف، ١٩٩٣م، **الشعر في بلاد الشام والجزيرة من قيام الدولة العباسية حتى القرن الثالث الهجري**، الطبعة الاولى، عمان، دار البشير، بيروت، مؤسسة الرسالة.

٥٦. عبد الباقي، أحمد، ١٩٩١م، **معالم الحضارة العربية في القرن الثالث الهجري**، الطبعة الاولى، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.

٥٧. عبد الرحمن، د. نصرت، شعر **الصراع مع الروم في ضوء التاريخ.**

٥٨. عبد الله، د. صلاح مصليحي، ١٩٩١م، **التقليد والتجديد في الشعر العباسي**، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية.

٥٩. ابن العبري، **تاريخ المختصر الدول**، غريغيوريوس الملطي المعروف بابن الحبري، الطبقة الأولى، دار المسيرة، بيروت .

٦٠. العبسي، هدى أحمد، **قضية ولاية العهد منذ تأسيس الدولة العباسية حتى وفاة المتوكل،** رسالة ماجستير، اشراف د. سهيل زكّار، دمشق، دون نشر.

٦١. ابن عساكر، ، ثقة الدين أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي، **تاريخ دمشق الكبير** تحقيق أبو عبد الله علي عاشور الجنوبي، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان،٢٠٠١م

٦٢. العسكري، أبو هلال،١٩٧١، **الصناعتين**، الطبعة الثانية، القاهرة، مطبعة عيسى الحلبي، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم.

٦٣. عصفور، جابر، ١٩٩٢م، **الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب،** الطبعة الثالثة، بيروت، المركز الثقافي العربي.

٦٤. عطوان، حسين، **وصف البحر والنهر في الشعر العربير من العصر الجاهلي للعصر العباسي الثاني.**

٦٥. ابو غزالة، د. ضاهر، **الشعر والعمارة توأما حضارة(دراسة عباسية)،** ٢٠٠١م، الطبعة الأولى، دار المنهل اللبناني، بيروت.

٦٦. غنيم، فداء محمدو ١٩٩٨م، شعر **الفتن والثورات في بلاد الشام والجزيرة الغرانية من قيام الدولة العباسية حتى نهاية القرن الثالث الهجري**، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، دون نشر.

٦٧. فوزي، د.فاروق عمر، **الخلافة العباسية،** ٢٠٠٣م، الجزء الأول(عصر القوة والأزدهار)، الطبعة الأولى، الأصدار الثاني، رام الله، دار الشروق.

٦٨. القرطاجني، حازم، ١٩٦٦م، **مناهج البلغاء وسراج الأدباء**، تونس، دار الكتب الشرقية، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة.

٦٩. قط، مصطفى البشير، ١٩٩٤م، **الحياة الأدبية في مجالس الخلفاء العباسيين حتى نهاية القرن الثالث الهجري**،رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، دون نشر.

٧٠. القفطي، علي بن يوسف، ١٩٧٠م، **المحمدون من الشعراء واشعارهم**، الرياض، دار اليمامة، تحقيق حسن معمري، راجعه محمد الجاسري.

٧١. القلقشندي، احمد بن علي (ت ٨٢١هـ)، **صبح الاعشى في صناعة الأنشا**،(تحقيق محمد حسن)، دار الكتب العلمية، بيروت.

٧٢. الكتبي،محمد بن شاكر أحمد بن عبد الرحمن، ٢٠٠٠م، **فوات الوفيات**، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، تحقيق علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد

٧٣. ابن كثيرالدمشقي، **البداية والنهاية ومعه نهاية البداية والنهاية في الفتن والملاحم**، تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، الطبعة الأ؟ولى، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م.

٧٤. كحالة، عمر رضا، ١٩٨٥م، **معجم قبائل العرب القديمة والحديثة**، ط٥، بيروت، مؤسسة الرسالة.

٧٥. الكساسبة، حسن فلاح، ١٩٩٢م، **المؤسسات الادارية في مركز الخلافة العباسية**، منشورات جامعة مؤتة.

٧٦. كشاجم، أبو الفتح محمود بن الحسن، **المصايد والمطارد**،(تحقيق محمد أسعد)، دار المعرفة، بغداد

٧٧. الكندي، محمد بن يوسف، **ولاة مصر**، (تحقيق حسين نصار)، دار صادر، بيروت.

٧٨. المثاني، موسى مصطفى، ٢٠٠-٢٠٠١م، **الصراع السياسي والفكري في عهد الخليفة العباسي المتوكل على الله (٢٣٢هـ -٢٤٧هـ)** رسالة ماجستير، اشراف أ.د فاروق عمر فوزي، جامعة آل البيت.

٧٩. المحاسني، د. زكي، ١٩٦١م، شعر **الحرب في أدب العرب في العصرين الأموي والعباسي الى عهد سيف الدولة**، مصر، دار المعارف.

٨٠. المحمد، روضة، ١٩٨٣م، **اتجاهات الرثاء في القرن الثالث الهجري من خلال أعلامه:أبي تمام ديك الجن_دعبل الخزاعي_ البحتري_ابن الرومي**، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، دون نشر.

٨١. المرزباني، عبيد الله محمد بن عمران بن موسى، ١٩٦٠م، **معجم الشعراء**، الطبعة، دون مكان، دار إحياء الكتب العربية، تحقيق عبد الستار أحمد فرّاج.

٨٢. المسعودي، أبي الحسن علي بن الحسين بن علي، دون تاريخ، **التنبه والإشراف**، المكتبة التاريخية، صححه محمد الصاوي.

٨٣. المسعودي، ١٩٥٨م، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، الطبعة الثالثة، مصر، مؤسسة السعادة، تحقيقي محمد محيي الدين عبد الحميد.

٨٤. ابن المعتز(أبي العباس عبد الله بن المعتز العباسي)، **طبقات الشعراء**، قدم له وشرحه د. صلاح الدين الهواري، دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان،الطبعة الأولى ٢٠٠٢م.

٨٥. ابن منظور،أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، **لسان العرب** ،الطبعة الرابعة،بيروت، دار صادر.

٨٦. النجار،الهادي عمر، ٢٠٠٤م، **قصيدة الرثاء في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري**، رسالة ماجستير، ليبيا، جامعة قاريوتس، دون نشر.

٨٧. نصر الله،نضال، ١٩٨٦م، **شعراء عباسيون**، الطبعة الأولى، بيروت، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية.

٨٨. هدارة، د. محمد مصطفى، ١٩٦٣م، **أتجاهات الشعر في القرن الثاني الهجري**، دار المعارف.

٨٩. هلال، محمدج غنيمي، ١٩٧٣م، **النقد الادبي الحديث**، بيروت، دار الثقافة.

٩٠. هياجنة، د. محمود سليم، ٢٠٠٩م، **الخطاب الديني في الشعر العباسي وأشعارهم إلى نهاية القرن الرابع الهجري**، الطبعة الأولى، عمان، دار جدارا للنشر، عالم الكتب الحديث.

٩١. وهدان، ثروت أحمد محمود،٢٠٠٣م، **وصف القصور في الشعر العباسي**، فلسطين، نابلس، جامعة النجاح، رسالة ماجستير، دون نشر.

٩٢. اليعقوبي، ١٩٦٠م، **تاريخ اليعقوبي**، بيروت،دار بيروت، دار صادر.١٩٢٦م،

٩٣. اليعقوبي، **مشاكلة الناس لزمانهم**، بيروت، دار الكتاب الجديد، تحقيق وليم فلورد.

POETRY IN AL-MUTAWAKKILS CALIPHATE
ASTUDY IN THE CONTEXT OF HISTORY

By
Ala'a khalil Adel Sara

Supervisor
Dr. Yassin Y. Aayish

ABSTRACT

This study tackled the subject of poetry in the Abbassid period of AL-Mutawikkil's caliphate (232-247 A.H)

It consists of an introduction, preface, two chapters and conclusion.
The preface discussed the caliph, his name, neckname, and the changes he brought in the political, religious and architecture, togother with the most distinguished of his statesmen.

The first chapter exposed the poetic themes which reflected the reign of Al- Mutawikkil in all aspects life, political, social, architectural, and religious fanaticism.

The second chapter discussed the artistic traits of the poetry of the period, the form, and the content, the styles and the images, The characteristics of this poetry were pin-pointer and the individual creative works were exposed .